تُراث

torathehc

تراثية ثقافية منوعة تصدر عن هيئة أبوظبي للتراث العدد 297 يوليو 2024

تحديات حفظ حسابات الدرور مع التطور الحضري

تسجيلات نادرة مع شيخين

«صاحب السمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي وصاحب السمو الشيخ حمد الشرقي»

زمن السيداف.... رواية توثق تاريخاً من صمود الأجداد

القيم الجمالية في مسرحية

«مجلس الحيرة»

تجليات الرياح

في الموروثين العربي والغربي

النخلة في عيون شعراء الإمارات

الدرور مركز أرصاد الأجداد على الأجهزة الذكية

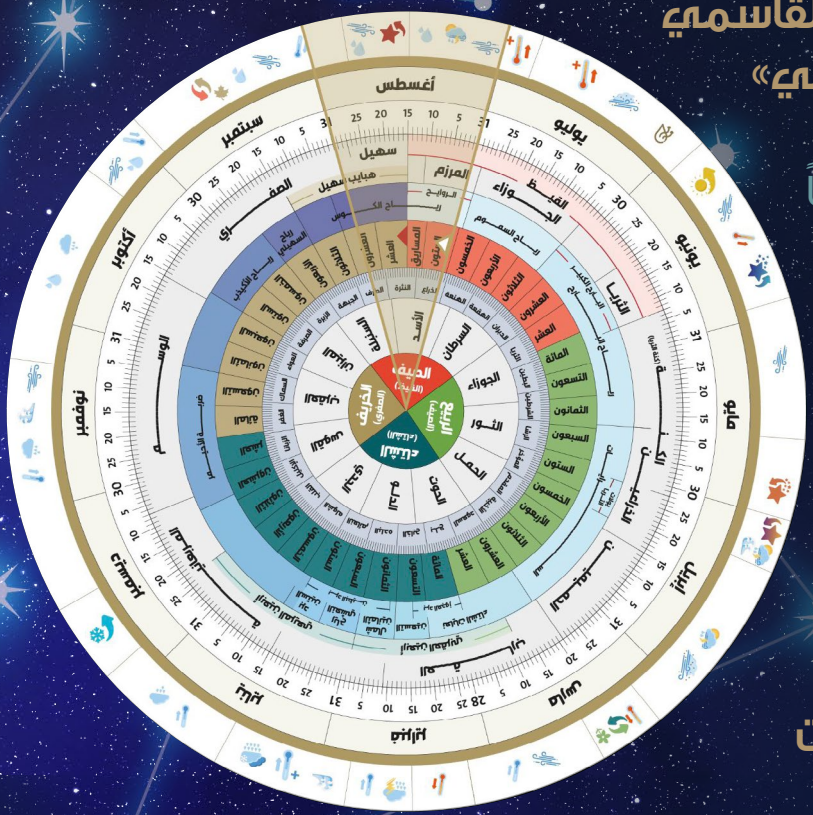

«سهيل» أسطورة فلكية تثير مخيلة الشعراء

تحديات حفظ حسابات الدرور في وجه التطور الحضري

تعد «الروزنامة» المعروفة بالدرور في الإمارات، بأنها حساب فلكي تقليدي ابتكره سكان الإمارات القدامى وأهل الخليج، وهو يعمد إلى تقسيم أيام السنة بشكل عشري إلى 36 قسماً وكل قسم عشرة أيام تعرف بالدُّرويبدأ هذا النظام بظهور نجم سهيل، ويأتي توزيع الفصول وفق هذا التقويم إلى أربعة فصول، وهي: الأصفري والشتاء والصيف والقيظ. ويستفاد من استخدام هذا التقويم في تنظيم الحياة اليومية ولفهم جوانب تغيرات الطقس كافة ومواسم الزراعة والحصاد والصيد، وحركة الغيوم، وتقلبات البحر، والعلاقة المترابطة بين هذه العوامل والمظاهر الفلكية. حيث يشمل ذلك تغيرات انعكاس الشمس على الأرض ومراحل القمر، ومواقع النجوم اللامعة وتواريخ الأحوال الجوية، والعلاقة المتبادلة بينها وبين البروج الشمسية. ويعرف هذا النظام الحسابي الفلكي بـ«حساب الدرور».

ولأن الأدب هو دائماً وسيلة للحماية والتطويع وتخليد الأثر، نجد أن النجم «سهيل» له دور مهم في توثيق حسابات الدرور منذ القدم. فقد كان العرب يستبشرون بظهوره، حيث تنضج الفواكه وينتهي القيظ. لذا، من الطبيعي أن نجد ذكره في أشعارهم وأمثالهم وقصصهم. وقد عبّر العديد من الشعراء عن فرحتهم بظهور نجم سهيل، ومنهم الشاعر الإماراتي الكبير الماجدي ابن ظاهر، الذي تناول الحدث في أبياته: «وجات الصفاري وزلّ المقيظ وبانت غبيشة لواضي سهيل/ وعاد البدو للمفالي تشوم/ ودنّوا لشوقي عبيه ثليل/ حسين التهادي بالأظعان شادي/ وإلى سمع حادي تعدّى المقيل». وتقول العامة: «إذا دلق سهيل لا تأمن السيل»، و«إذا طلع سهيل برد الليل»، كناية عن تغيرات الطقس المرتبطة بنجم سهيل. ويحيط بالنجم سهيل العديد من الأساطير والحكايات الشعبية، ما يعكس مكانته المهمة لدى العرب.

وبفضل جهود الهيئات والمؤسسات والأفراد في دولة الإمارات العربية المتحدة لتوثيق حسابات الدرور وإبرازها في الحياة المعاصرة، قام مركز جامع الشيخ زايد الكبير بإصدار سلسلة شهرية لديرة الدرور والطوالع، التي تتيح التعرف على الطوالع والدرور والمواسم ومظاهرها وطبيعتها. كما قامت هيئة الفجيرة للثقافة والإعلام بتطوير تطبيق «الدرور» على منصة أندرويد، كوسيلة مبتكره للحفاظ على هذا الجزء المهم من التراث الإماراتي. وفي منطقة الشندغة في إمارة دبي، نجد آخر أعمال الفنان الإماراتي مطر بن لاحج، وهو عمل فني بعنوان «الدرور»، بطول يصل إلى 5 أمتار، ويتميز بتصميمه المذهل من النحاس والحديد.

ولأهمية هذا الموضوع كموروث ثقافي وبيئي غني، جاء اختيارنا ليكون محور ملف عدد تراث لهذا الشهر. ونأمل أن تستمتعوا بموضوعات العدد المتنوعة، التي نسعى من خلالها إلى تقديم إجابات وافية حول أهمية حسابات الدرور في وقتنا الحاضر، ومدى قدرتها على الصمود أمام التطور الحضاري.

شمسة الظاهري
رئيسة التحرير

هيئة أبوظبي للتراث
Abu Dhabi Heritage Authority
السلسلة التراثية الثقافية
torathehc www.torath.ae

60
وجهة سفر

مدينة العروس النهرية (بودابيست)

كانت قبائل (السلتيون) أول من استقر في منطقة بودابست في القرن الثالث قبل الميلاد، واشتهرت المدينة آن ذاك بالتجارة مع الرومان والشعوب المجاورة الأخرى حتى سقوط الإمبراطورية الرومانية وكانت المنطقة لا تزال مأهولة بقبائل مختلفة بما في ذلك (الهون والأفار والسلاف) على امتداد القرن التاسع، ووصل المجريون الغزاة إلى المنطقة وأسسوا إمارة المجر الجديدة واختارت القبيلة الحكم بقيادة (أرباد) ومنطقة أكوينكوم لتكون مكان إقامتهم في هذا المركز الجغرافي الطبيعي للبلاد وكان التراث الروماني (لأبودا وبيست) وأطلال آلاف المباني مرئياً لعدّة قرون ... ضياء الدين الحفناوي

67
ارتياد الآفاق

«كشف المُخبَّا عن فنون أوربا» لـ أحمد فارس الشدياق

خلال حياته التي كانت عبارة عن رحلة طويلة من الأسفار والتحولات، لم تنتهِ حتى بعد وفاته؛ إذ ولد في لبنان، لأسرة مارونية، ثم خرج من لبنان إلى دمشق، ومنها ارتحل إلى مصر، وفيها درس بالأزهر، وتزوَّج من «وردة الصولي». ثم رحل إلى «مالطة»، فقضى فيها أربعة عشر عاماً.... ثم سافر إلى إنجلترا وفرنسا فقضى فيهما عشرة أعوام، ثم غادر أوروبا واتجه إلى تونس، فأعلن إسلامه فيها عام 1857م واختار لنفسه اسم «أحمد فارس». ثم ارتحل إلى «إسطنبول» وأطلق جريدته الشهيرة «الجوائب» عام1881م .... محمد عبد العزيز السقا

74

78

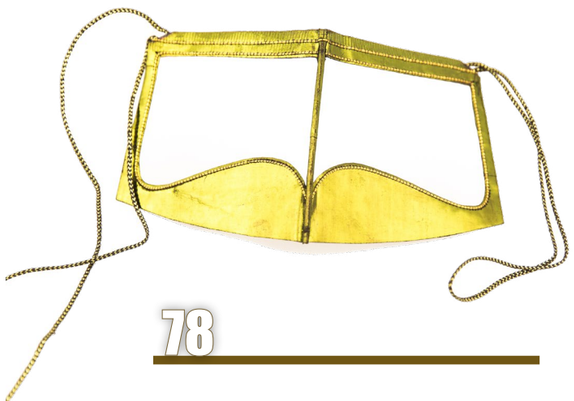

78
سوق الكتب

زمن السيداف .... رواية توثق تاريخاً من صمود الأجداد

تشي العتبة الأولى للنص، بفضاء زمني، عانى فيه سكان الإمارات من قلة الموارد، وكان نبات السيداف أحد وسائلهم لمقاومة شح الغذاء، وظروف صعبة زاد من وطأتها؛ أفول مهنة الغوص، بعد تراجع تجارة اللؤلؤ، وكسادها نتيجة حروب عالمية، لم تكن الإمارات طرفاً فيها، لكنها تضررت منها، نظراً لوجودها تحت الحماية البريطانية حينذاك. وقد اعتمدت الكاتبة بناءً دائرياً في سرد الأحداث، فانطلقت من انهيار الشخصية المحورية «موزانة»، أمام دار الاعتماد البريطانية. وسلكت زمناً عكسياً عبر تقنيات التذكر، والفلاش باك، لتستعيد البطلة تاريخاً من المرارة والألم.... نشوة أحمد

88

98

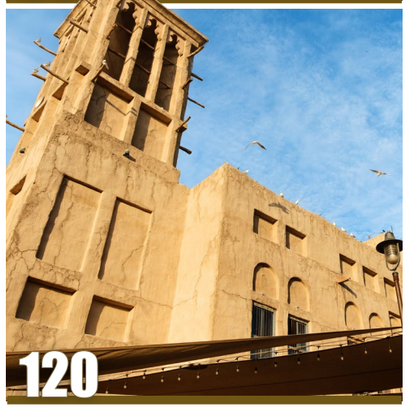

120

94
دراسة

تجليات الرياح في الموروث العربي والغربي

لم يخلُ الأدب الإنجليزي من استخدامات وتوظيف للرياح في الشعر والنثر التي تعد من العناصر الطبيعية المستخدمة بشكل واسع لأغراض رمزية وجمالية على مر العصور. من خلال الأعمال الأدبية، نجد أن الرياح تعكس مجموعة متنوعة من المشاعر والموضوعات مثل التغيير، الحرية، القوة، وحتى الغموض. فنجد خلال عصر النهضة، أن الشعراء والكُتّاب استلهموا من الرياح لأغراض وصفية ورمزية. على سبيل المثال، في أعمال ويليام شكسبير، تظهر الرياح لتجسد مشاعر التوتر والتحول. .... نوزاد جعدان

58 أبواب الحياة - **عبد الفتاح صبري**

65 توثيق الشعر العربي بين الفن والتاريخ (2/2) - **حمزة قناوي**

66 الدنيـا - الشاعر كميدش بن نعمان الكعبي - **إعداد: نايلة الأحبابي**

74 ذكريات زمن البدايات: تسجيلات نادرة مع شيخين
«صاحب السمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي
وصاحب السمو الشيخ حمد الشرقي» - **خليل عيلبوني**

82 النخلة في عيون شعراء الإمارات - **قتيبة أحمد المقطرن**

88 الفن الشعري وتساؤلات الوجود الإنساني
تجليات الفكر الوجودي في ديوان «خَجِلاً آتيكِ» - **عـادل نيـل**

98 القيم الجمالية في مسرحية (مجلس الحيرة) المسرحيّة التي ألّفها
سموُّ الشيخ الدكتور سلطان محمد القاسمي - **سمر علي زليخة**

103 (دِعِيَـة) - **جميع سالم الظنحاني**

106 توظيف الأدب الشعبي
في النص المسرحي الخليجي - **هيثم يحيى الخواجة**

111 رباعيات روحانية - **شعر: الدكتور شهاب غانم**

112 قراءة في كتاب «محمد الجويلي»
«الرَّجُل الذي حَبَل»..
تحقيق شهوة المعرفة عبر الخرافة - **خالد عمر بن ققة**

116 الوباء المعلوماتي... جائحة الوعي - **شريف مصطفى محمد**

118 الريّال سيل والحرمه مُغنى - **شيخة الجابري**

120 التغنّي بالمكان معشوقاً - **خالد صالح ملكاوي**

124 الشاعر والمغني محمد سهيل الكتبي (1931 - 1978) - **مريم النقبي**

130 خروفة أمّ اليحة - **فاطمة حمد المزروعي**

أسعار البيع

الإمارات العربية المتحدة: 10 دراهم - المملكة العربية السعودية 10 ريالات - الكويت دينار واحد - سلطنة عمان 800 بيسة - مملكة البحرين دينار واحد - اليمن 200 ريال - مصر 5 جنيهات - السودان 250 جنيهاً - لبنان 5000 ليرة - سورية 100 ليرة - المملكة الأردنية الهاشمية ديناران - العراق 2500 دينار - فلسطين ديناران - المملكة المغربية 20 درهماً - الجماهيرية الليبية 4 دنانير - الجمهورية التونسية ديناران - بريطانيا 3 جنيهات - سويسرا 7 فرنكات - دول الاتحاد الأوروبي 4 يورو - الولايات المتحدة الأمريكية وكندا 5 دولارات.

الاشتراكات

للأفراد داخل دولة الإمارات: 150 درهماً / للأفراد من خارج الدولة: 200 دولار - للمؤسسات داخل الدولة: 150 درهماً / للمؤسسات خارج الدولة 200 دولار.

ما ورد في هذا العدد يعبر عن آراء الكتاب ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو هيئة أبوظبي للتراث

104
فنون

التشافي بالموسيقى عبر العصور

شيّد نور الدين زنكي مستشفى في دمشق، حيث استخدمت فيها الموسيقا كوسيلة علاجية في قسم الأمراض العقلية والنفسية. وذكر المستشرقون إلى أن العرب كانوا رواداً في مجال الطب والموسيقا، وأكدوا فعالية المعالجة بالموسيقا في المناطق التي كانت تحت حكم العرب والأتراك،و تراجعت فكرة إدراج العلاج بالموسيقا في المستشفيات في المنطقة العربية خلال حقبة الاستعمار، وجرى تبنيها في أوروبا، وقد تم إخال فكرة التشافي بالموسيقا بالتحديد في زمن الحرب العالمية بغرض التخفيف عن المرضى، كما أدرجت الدول الأوروبية تخصصاً علمياً يؤهل الخريج أن يكون معالجاً موسيقيا، مما مكنه من العمل في القطاع الصحي بالمستشفيات .... نورة صابر المزروعي

126
حوار خاص

موزة المنصوري:أعادت الشاعرة الإماراتية تراثها برؤى جديد

تقول موزة المنصوري: «للتراث مكانة خاصة لدى الشاعر الإماراتي المعاصر، الذي عدّه مصدراً للمعرفة والثقافة والإلهام. لهذا السبب، وظّفه في تجربته الشعرية برؤى جديدة وصياغة عصرية مختلفة، فتحول التراث لدى الشاعر إلى أداة من أدوات التعبير، متجاوزاً مرحلة التعبير عن التراث إلى مرحلة توظيفه بوعي ونضج، ليصبح علاقة احتواء وفهم عميق للمعنى الإنساني والقيمة الشاملة للعناصر التراثية» .... حاورها: هشام أزكيض

تراثية ثقافية منوعة

تصدر عن:

هيئـــة أبوظبـــي للتـــراث
Abu Dhabi Heritage Authority

رئيس التحرير
شمسة حمد العبد الظاهري

الإشراف العام
فاطمة مسعود المنصوري
موزة عويص علي الدرعي

الإخراج والتنفيذ
غادة حجاج

سكرتير إداري وشؤون الكتاب
سهى فرج خير
torath@ehcl.ae

التصوير:
- مصطفى شعبان

عناوين المجلة

الإدارة والتحرير:
الإمارات العربية المتحدة - أبوظبي
هاتف: 024456456 - 024092336

هب السهيلي

الشاعرة موزة بنت جمعة المهيري

هـــب السهيـــلي يـــاب ريعـــان[1]
يذكـــر القلـــب العليلـــي
ونّيـــت مـــا بـــي زود نقصـــان
يـــا غيـــر بـــي هَيْـــرٍ طويلـــي
بـــدوٍ تعلّـــت روس نِجْيـــان[2]
يسقـــون مِ الوبـــل الهميـــلي
مـــن مرعـــدٍ فـــي الليـــل دنّـــان
مـــن عَطْيـــة اللـــي هُـــب بخيلـــي
بشهـــد يَلَـــنْ الوقـــت منّـــان
لـــي يـــاب منســـوع اليديلـــي
غـــر ريـــا فـــي غرســـة عْمـــان
يسقـــى من البجـــس[3] الظليلـــي
صبـــاه لا عـــرّق ولا شـــان
محـــروز عن جمـــع الضويلـــي
لـــه الثنايـــا حَـــب رمـــان
واللـــي خِلِـــجْ مثلـــه جليلـــي
هـــاي السنـــة لا تقـــول حـــرّان
وغيـــر السنـــة شـــورك دليلـــي
وغيـــر السنـــة بَنْريّـــع سُمَـــانْ
شِقْـــرٍ مـــن الظلـــة يفيلـــي
وان هَـــبْ شرتـــان بْريـــح[4] ذنّـــان
عليـــك بالثـــوب الهيليلـــي[5]
محـــلا مسيـــرٍ عنـــد الأخـــوان
إن جـــاب روف ولا عيبلـــي
يوم القمـــر وســـط السمـــا زان
أول شهـــر زيـــن المسيـــري
والشـــور مـــن تُـــوْلاه خـــلاَّن
كـــلٍ عليـــه اللـــه وكيلـــي

المفردات: (1) ريعان: الريح القوية، وريعان الشباب: أوله، (2) نجيان أو عراجيب: الكثبان الرملية، (3) البجس: النخل متوسط العمر والطول، (4) بريح: الهواء الغربي، (5) الثوب الهليلي: الثوب الخفيف.

القصيدة للشاعرة موزة بنت جمعة المهيري ، عميدة الشعر الشعبي في دولة الإمارات. ولدت في عام 1900 وبدأت بنظم الشعر في مرحلة مبكرة من حياتها. وشاع شعرها بين الناس وتناقله رواة الشعر الشعبي وحفظته. وشعرها يخلو من التعقيد والتكلف. وفي هذه القصيدة، تصف الشاعرة هبوب رياح السهيلي الموسمية وما تثيره في النفس من ذكريات.

تحديات حفظ حسابات الدرور مع التطور الحضري

10 «حساب الدرور».. أصالة بروح العصر - خالد صالح ملكاوي
16 الدرور... نشرة الأجداد الجوية - سرور خليفة الكعبي
20 «الدرور» مركز أرصاد الأجداد على الأجهزة الذكية
حكم وأمثال تؤكد تجذّره في الثقافة الإماراتية - أماني إبراهيم ياسين
26 الدرور مرايا التغيّرات المناخية في التراث الإماراتي - أحمد حسين حميدان
32 المواسم والدرور.. ذاكرة بحاجة إلى التوثيق - مريم سلطان المزروعي
36 ملامح حفظ «الدرور» عبر الفن والأدب والتكنولوجيا - لولوة المنصوري
40 القيمة الفنية والتراثية لمعجم الدرور
وطوالع النجوم في الشعر النبطي الإماراتي - أحمد عبد القادر الرفاعي
46 «درور» شعرية تحمل البشرى والفأل الحسن
«سهيل» أسطورة فلكية تثير مخيلة الشعراء - الأمير كمال فرج
54 درور المواسم نسايم وعزايم - محمد نجيب قدورة

«حساب الدرور».. أصالة بروح العصر

خالد صالح ملكاوي

كما هي الحال عند العرب منذ القدم، وفي المجتمعات الخليجية التقليدية، استطاع أهل الإمارات ضبط الحساب الفلكي بطريقة محكمة، مكّنتهم من معرفة شتى فصول السنة، والتحكّم في أوقات الغرس والحصاد والإبحار للصيد والتنقل والأسفار، معتمدين في ذلك على ظهور النجوم المتعاقبة على امتداد السنة، ومخضعين معرفتهم هذه إلى حساب فلكي دقيق لعب دوراً مهماً في تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وغدا الدرور تقويماً سنوياً وجزءاً لا يتجزأ من التراث الثقافي، يعكس الحكمة والمعرفة التقليدية التي تم تطويرها عبر الأجيال، وحافظ على ديمومته حتى اليوم محظياً باهتمام رسمي وعناية شعبية يستحضران أصالته بروح العصر.

فمنذ سنين بعيدة، حين كانت مجاهيل الحياة تفوق بكثير معلومها، وكان الناس يعتمدون في سيرورة حياتهم على المعرفة العميقة بالأنماط الطبيعية والقدرة على التكيّف معها، كان توقّع حالة الطقس وفصول السنة ومواسم الزراعة والحصاد والصيد والرعي هو الهاجس الرئيسي لأهل البر والبحر على حدٍّ سواء. ولم يكن ثمة أكثر من مواقع النجوم تعينهم في تحديد حركة الطقس ودخول الشتاء ومواسم العواصف، فابتكر أهالي المنطقة حسابات نظّموها بطريقة معينة ووزّعوها على أيام السنة لتساعدهم في مختلف مفاصل حياتهم الاقتصادية والاجتماعية، سمّوها «حسابات الدرور»، واعتمدوها مرجعاً سنوياً التصق بحياتهم، ما دامت الزراعة والصيد والإبحار والتنقل من مقومات عيشهم. واليوم، رغم قيام هيئات للأرصاد الجوية، ووجود الشبكة العنكبوتية التي يعرف من خلالها الناس أخبار الطقس والحسابات الفلكية والتوقيتات المختلفة، فإن خصوصيات بعض المجتمعات التي لها بيئاتها الطبيعية الخاصة بها ومواسمها المرتبطة بهذه البيئات، تفرض الحاجة للاستفادة من تلك المعرفة التقليدية التي نبعت من تراكم معرفي وإبداعي ثريّ وملاحظة للبيئة البحرية والبرية والنباتية لفترات زمنية طويلة، وأسهمت في التأقلم مع متطلبات الحياة في تلك الفترة من تاريخ المنطقة، وحافظت على أهمية دورها وعلى فعاليتها الناجعة في قراءة تقلبات المناخ والطقس، وظلت تتماشى مع الواقع اليومي حتى اليوم، لما تشكّله من نظام دقيق مجرَّب مستلهم من المتابعات المدارية للفلك والأجرام السماوية. وفي الإمارات اليوم، لم يلغِ التطور الحضري دور «حساب الدرور» في حياة

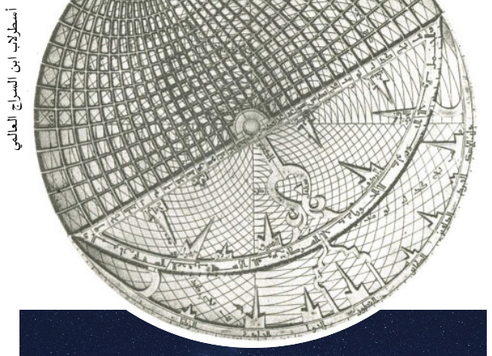

أسطرلاب ابن السراج الحلبي

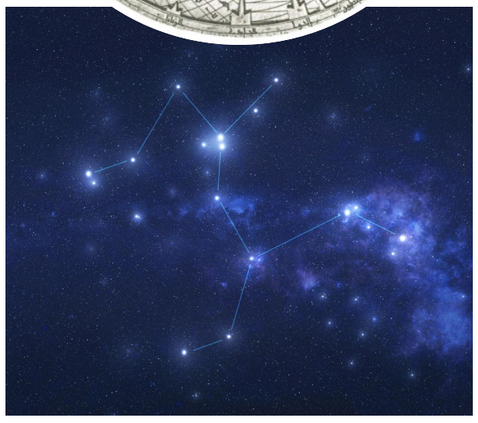

المعنيين به من أهل البر والبحر، ولم يقلّل من أهميته كتقويم تجذَّر في بناء الموروث الذي نهضت على روحه الإمارات تسابق العصر حداثة وإبداعاً، بل وجد هذا التقويم كل رعاية واهتمام، على المستويين الرسمي والأهلي؛ فمفرداته تزيّن الأدب، نثراً كان أم شعراً، وعلومه وتجربته المحلية المبتكرة شكّلت عناوين لعديد الدراسات والكتب، واستخداماته نُقلت إلى تطبيقات عملية وعصرية يتم تحميلها على الأجهزة الذكية، وطرحها في جميع المتاجر الإلكترونية لتصل إلى الجيل الجديد، وتغدو من المراجع الرئيسية للتعريف بهذا الموروث الثقافي.

الدرور.. ماهيتها وأهميتها

وحساب الدرور، هذا الحساب الفلكي القديم والمتوارث في المنطقة، يعتمد على حساب أيام السنة في شكل عشري يقسمها إلى (36) قسماً، والقسم الواحد يتكون من عشرة أيام يعرف بـ(بالدّر) ويبدأ هذا الحساب بطلوع نجم سهيل عند الفجر في منتصف شهر أغسطس من كل عام، أي في 15 أغسطس. ففي «حساب الدرور» تقسم السنة إلى أربعة أقسام (المئة الأولى، والمئة الثانية، والمئة الثالثة، والمئة الرابعة)، بحيث يضم كل قسم مئة يوم، عدا المئة الرابعة فهي ستون يوماً. وتُقسّم كل مئة إلى عشرة أقسام، يتكون القسم الواحد

منها من عشرة أيام، يُسمى «الدُّر»، ويعرف كل درّ بالمجموعة العشرية التي ينتمي إليها، فيطلق عليها على التوالي: درّ العشرة، درّ العشرين، درّ الثلاثين، وهكذا وصولاً إلى درّ المئة. وبذلك تتكون السنة من (36) درّاً. ويرتبط بحساب الدرور عدد من الظواهر الطبيعية، مثل: الطوالع، والبروج؛ فللقمر منازل، وهي أماكن محددة في السماء ينزل القمر في واحدة منها كل ليلة، وقد تكون نجمة، أو مجموعة من النجوم، أو منطقة خالية في السماء. والطالع هي منزلة القمر التي تظهر جهة الشرق عند طلوع الفجر، وهي آخر منزلة تُرى قبل شروق الشمس، وقد استخدم العرب الطوالع قديماً لمعرفة أوقات السنة وأحوال الطقس. أما البروج فهي مجموعات نجمية محددة تعبر فيها الشمس خلال السنة أثناء دوران الأرض حولها. ويبلغ عددها اصطلاحاً اثني عشر برجاً، وهي في الحقيقة ثلاثة عشر برجاً. ومُيّزت هذه البروج عن غيرها، كون مسار الشمس الظاهري في السماء يمر خلالها، وتسير بقربها جميع كواكب المجموعة الشمسية والقمر. ومنذ القدم مثّلت هذه البروج التقويم الشمسي في العديد من الحضارات، وكانت تستخدم لمعرفة الظواهر الطبيعية، مثل: أوقات الزراعة، وأحوال الطقس، وغيرها. وصُنّفت فصول السنة حسب هذه البروج؛ فيبدأ بحلول الشمس في رأس برج الحمل، فصل الربيع، ويكون موعد الاعتدال الربيعي. وبحلول الشمس في برج السرطان يبدأ فصل الصيف، ويكون موعد الانقلاب الصيفي. فيما يبدأ، بحلول الشمس في أول برج الميزان، فصل الخريف، ويكون موعد الاعتدال الخريفي. وبحلول الشمس في أول برج الجدي يبدأ فصل الشتاء، ويكون موعد الانقلاب الشتوي.

وظل «حساب الدرور» يلعب دوراً مهماً في تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الإمارات وفي غيرها من المجتمعات التقليدية في الخليج، وهو ينقسم إلى نوعين رئيسيين، يعكس كل منهما احتياجات وأنشطة مجتمعية مختلفة: الأول يتعلق بأهل البحر؛ وكان يُستخدم بشكل أساسي من قِبل الصيادين والبحارة. ويعد هذا التقويم حيوياً لأهل البحر لأنه يوفر فهماً عميقاً للظواهر الطبيعية التي تؤثر بشكل مباشر على سلامتهم ونجاحهم في أنشطتهم البحرية، وهو يعتمد على دورات القمر والمد والجزر، مما يساعد في تحديد أفضل الأوقات للإبحار والصيد. والتقويم الآخر يخدم أهل الزراعة، فيساعد المزارعين في تحديد الفترات المثالية لزراعة المحاصيل وتحسين الإنتاجية وضمان الحصول على أفضل النتائج، إذ يركز على الزراعة والمواسم الزراعية، ويُستخدم لتحديد أوقات الزراعة والحصاد وغيرها من الأنشطة الزراعية بناء على الدورات القمرية والتغيّرات الموسمية.

اهتمام رسمي وشعبي

كان لـ نادي تراث الإمارات «سابقاً»، هيئة أبوظبي للتراث «حالياً»، قصب السبق في إحياء هذا الموروث بشكل علمي

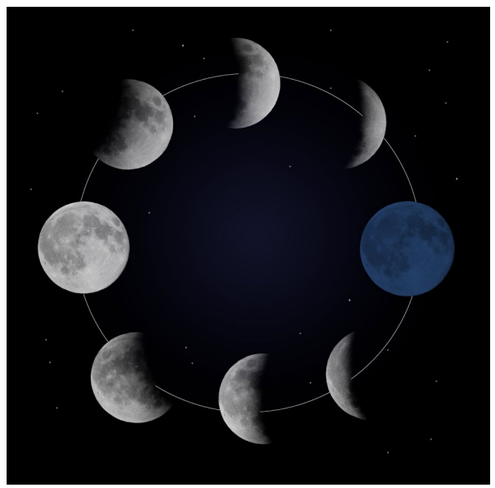

وممنهج قبل أكثر من عقدين، اتساقاً مع رسالته التي كانت تعكس توجيهات القيادة الحكيمة في الحفاظ على مفردات التراث الإماراتي، والعمل على نشر المعرفة بها وتعزيزها في نفوس النشء. وقد أنشأ النادي حينها ضمن وحداته لهذه الغاية رابطة هواة الفلك، وأوكل إليها إصدار كتاب سنوي يحمل اسم «التقويم الهجري»، يُعنى، إلى جانب التقويم نفسه، بحساب الدرور والطوالع والمواسم، وذلك بالتعاون مع خبراء الفلك من المواطنين وكبار السن من أهل الخبرة والمعرفة في هذا الموروث، واستمرت نسخ هذا الإصدار لسنوات تصل إلى المزارعين والمعنيين والجهات الرسمية في مختلف مناطق الدولة.

وحديثاً، بادر مركز جامع الشيخ زايد الكبير إلى إطلاق تطبيق يمكن تحميله على الأجهزة الذكية، يتيح الاطلاع على «ديرة الدرور والطوالع» كسلسلة شهرية، في قالب تفاعلي، يعرّف بملامح كل درٍّ شاملاً حساب سهيل والبروج والطوالع والمواسم، والملامح المناخية والطبيعية لكلٍّ منها. كما يقدم أجندة التقويم الهجري بكل ما تحويه (الروزنامة الورقية) من أجندة ومعلومات إضافية وخصائص فريدة في قالب تقني فريد سهل الاستخدام.

ويأتي هذا الإنجاز استكمالاً لدور مركز جامع الشيخ زايد الكبير المحوري في مشروع التقويم الهجري، وتعزيز منظومة منجزات المشروع بإصدار كتاب سنوي خاص، يتميز بثراء محتواه وتكامله ودقته، الذي يصل عراقة الماضي بمعطيات العصر الحديث في حاضرنا، ويقدم للأبناء خلاصة العلوم التي اعتمد عليها الآباء، من فوائد علمية وفلكية قيّمة، كالدرور

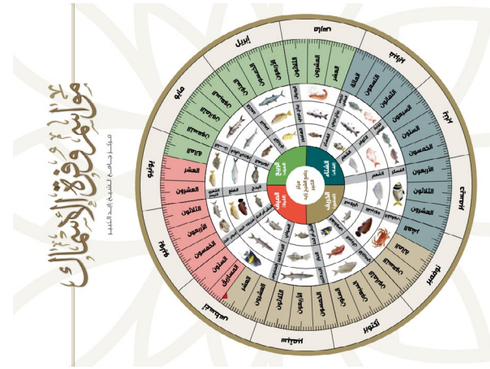

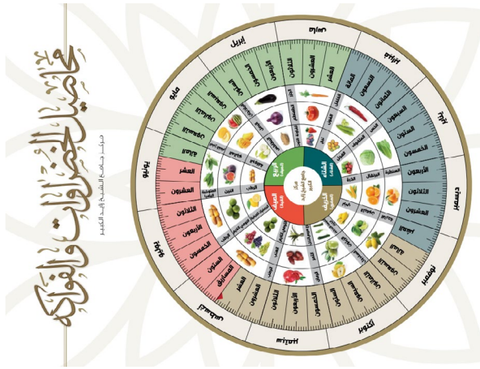

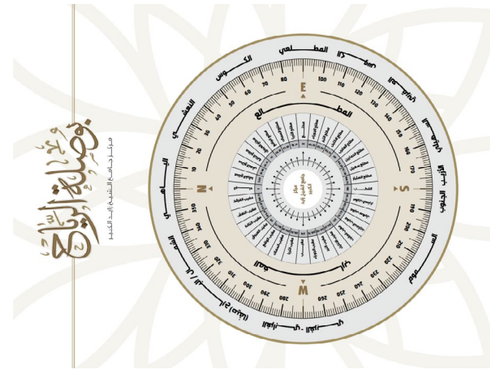

والطوالع والمواسم، والملامح الطبيعية للبرج، وأهم الأحداث الفلكية الشهرية والكواكب المرئية، وحركة المد والجزر والمعدلات المناخية، وأوقات ظهور نجم سهيل. وأثرى المركز كل ذلك بمواقيت الصلاة بالتوقيتين الزوالي والغروبي لمدن ومناطق الدولة جميعها، وبفضائل الشهور، وما شهده كل شهر هجري من أهم الأحداث والوقائع الإسلامية؛ شاملاً بذلك كل ما يحتاجه المهتمون والباحثون في مجال الفلك، وفق ما تعارف عليه أبناء الإمارات منذ القدم، بطرحٍ سهل وواضح يجعله في متناول الجميع. وفي الفجيرة، لم يزل «حساب الدرور» حتى اليوم يساعد سكان الإمارة وما حولها في معرفة أنسب الأوقات للزراعة وجني الثمار وللصيد، وكذلك المتغيرات المناخية من رياح وأمطار، إذ ترتبط أعمال أهالي المنطقة وشؤون حياتهم وبانتظام مستمر بحساب الدرور على مدار السنة لسهولته ودقة توافقه بحركة ومجريات الطبيعة من حولهم. وقد دأب المكتب الإعلامي لحكومة الفجيرة منذ سنوات على إصدار «تقويم الدرور»، في خطوة تهدف إلى تسليط الضوء على التقويم الفلكي القديم، الذي لايزال يُعمل به لدى المزارعين وأهالي البحر في الإمارات. ووُزّع التقويم على معظم الدوائر الحكومية المحلية والاتحادية في الإمارة، في إطار المحافظة على الإرث الثقافي والاجتماعي الإماراتي، ونقله إلى أوساط الأجيال الشابة لتتعرف إلى أهم الابتكارات الفلكية التي أبدعها أجدادهم سابقاً. ولدعم هذه الخطوة الرسمية في نشر هذا التقويم، تبنَّت إذاعة الفجيرة بثَّ حلقات صوتية تشرح للمستمع التقويم حسب كل درّ وما فيه على مدار العام.

ولنقل هذا الموروث التاريخي إلى تطبيقات عملية وعصرية تصل إلى الجيل الجديد، وحتى يتسنى للجميع الاستفادة منه، أطلقت هيئة الفجيرة للثقافة والإعلام منذ عام 2017م، تطبيق «حساب الدرور» لتحميله على الأجهزة الذكية، وطرحه في المتاجر الإلكترونية جميعها ليصبح أحد المراجع الرئيسية للتعريف بحسابات الدرور واستخداماتها، ويكون التطبيق الأول من نوعه في المنطقة، بل والعالم، لشرح ومتابعة حسابات الدرور، التي استخدمها الأقدمون لمعرفة أخبار الطقس والحسابات الفلكية والتوقيتات المختلفة، التي ارتبطت بالبر والبحر والرياح والصيد والزراعة ونجم سهيل، إذ أتى هذا التطبيق ليهتم بتوضيح هذا الارتباط وشرح علاقة حسابات الدرور واستخداماتها.

لقد غدا هذا الموروث أمراً عصرياً وحاجةً يوميةً بفضل الوعي الذي عكسه المعنيون والمهتمون، وبفضل التوجيهات الرسمية الحريصة على إحياء كل المفردات الإيجابية والقيم الفضلى التي يختزنها الموروث الوطني، وباتت الدرور تحتل مكانها ضمن أحدث الابتكارات النوعية وأبرز التقنيات التكنولوجية المواكبة للتطور التقني في مجال التكنولوجيا المبتكرة، فضمن مشاركة حكومة الفجيرة في معرض جيتكس 2020م، واستعراض مختلف الدوائر والهيئات والجهات الحكومية، ابتكاراتها النوعية وتقنياتها التكنولوجية استعرضت هيئة الفجيرة للثقافة والإعلام، أمام زوار المعرض والمشاركين فيه، تطبيق «حساب الدرور» الذي يتم من خلاله التعريف بتقويم الدرور، ويتولى إرسال تنبيهات تلقائية عن الدرّ والحسابات المتوافقة مع اليوم، إذ تم ربطه بهيئة الأرصاد والمواقع المتخصصة بالرياح والبحر، كي يقوم بتزويد المتلقي بأخبار وحالات هذه الظواهر كلها، إلى جانب استعراض الهيئة في المعرض تطبيق «المورّث» المعني بكل ما هو تراثي، ليسلط الضوء حول ما يورّثّ من الجيل القديم إلى الجيل الجديد.

وتنوعت المبادرات الرسمية والشعبية وتعددت في السياق نفسه، في مدن ومناطق مختلفة من الدولة؛ ففي الشارقة، تبنّى معهد الشارقة للتراث إصدار أكثر من كتاب لخبراء الفلك المواطنين، حول حسابات الدرور، وكذا الأمر في دبي التي احتضنت فيها منطقة الشندغة التراثية نموذجاً لآلة «حساب الدرور» برؤية فنية معاصرة، استحضرها الفنان والنحات الإماراتي مطر بن لاحج من ماضي الإمارات وأدرجها ضمن مساحات فنون الشارع، أو الفن في الأماكن العامة كجزء من التعامل الإبداعي المستحق مع التراث ومفرداته.

وهذا العمل الذي حمل اسم «الدرور» بطول خمسة أمتار ووزن أربعمئة كيلو جرام من النحاس والحديد، يعكس مرونة هذا الموروث وملاءمته لحياة مختلف الأجيال، ويؤكد تفاعله مع مفردات الحياة اليومية وتطور التعامل معه، ودوره في الإضافة إلى إنجازات الحضارة في العصور كلها، إذ تمكّن الفنان الذي

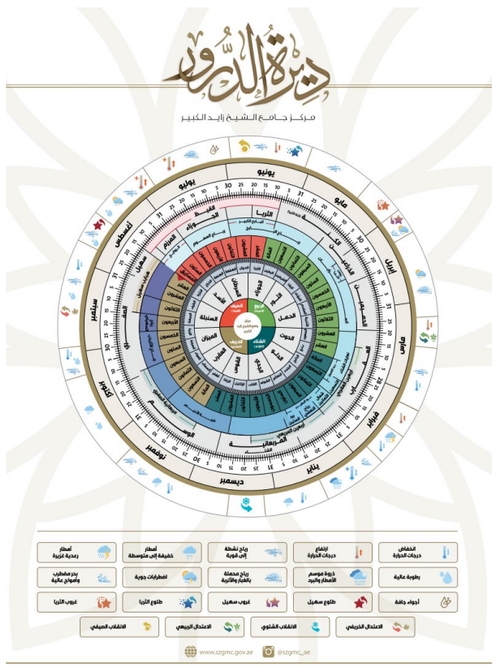

أبدعه من تسليط الضوء على جماليات هذا التراث والفكر الثقافي والإنساني المرتبط به، وأتيح لهذا النموذج الفني المعاصر لهذا الجانب من التراث أن يشمخ في أكثر الأماكن العامة جذباً للزائرين ■

إعلامي مقيم في الإمارات

المصادر والمراجع:

1. حسابات سهيل وحسابات الدرور، صوت من الماضي الأصيل، صخر عبد الله علي سيف، الشارقة، معهد الشارقة للتراث، 2020م.
2. الدرور في دولة الإمارات، علي سلطان المزروقي، دبي، مداد للنشر والتوزيع، 2018م
3. صحيفة «الإمارات اليوم»، أعداد متنوعة.
4. صحيفة «الاتحاد»، أعداد متنوعة.
5. صحيفة «البيان»، أعداد متنوعة.
6. صحيفة «الخليج»، أعداد متنوعة.
7. مدخل تاريخي لدراسة «الدرور» في دولة الإمارات، فهد علي المعمري، أبوظبي، نادي تراث الإمارات، مركز زايد للدراسات والبحوث، 2022م.
8. المواسم والدرور في التراث الإماراتي والخليجي، حماد الخاطري النعيمي، أبوظبي، مركز أبوظبي للغة العربية في دائرة الثقافة والسياحة، 2022م.
9. النجوم والمواسم عند العرب، سهيل والثريا، إبراهيم الجروان، الشارقة، معهد الشارقة للتراث، 2018م.

الدرور... نشرة الأجداد الجوية

سرور خليفة الكعبي

اعتمد الأقدمون في الكثير من المناطق في العالم على النجوم والكواكب في الكثير من متطلبات حياتهم اليومية، لاسيما تلك المتعلقة بالأسفار والأعمال المتصلة بتحديد الأنواء والحالات الجوية المختلفة، خصوصاً في السفر البحري والزراعة. وقد برع الأقدمون في هذا العلم المعقد أيما إبداع وأصبح الفلك شيئاً أساسياً وعلمياً في عمليات استقراء الأنواء والحالات الجوية المتوقعة، وذلك عبر الانتباه للكثير من مكونات الطبيعة وتصرفاتها من حولهم، الأمر الذي جعلهم يستخدمون هذا العلم والمعرفة الفلكية في تضخيم فوائدهم وتقليل الخسائر التي يتعرضون لها إلى أقل درجاتها، دون أن يكون ذلك نتيجة التنجيم لقراءة الطالع أو الطيرة، بل كان علماً يستخدم أفضل وسائل استقراء الأوضاع الفلكية والتموضع الكوني للنجوم

إن هذا العلم يعتمد أساساً على حركة الكواكب وحساب توقيتات الأهلّة طوال السنة مما يمكّن من رسم الخريطة الفلكية الواضحة للمستقرئ الفلكي (وليس المتنبئ)، فأهل المنطقة يؤمنون بالخالق المقدّر الذي وضع موازين كل شيء وقوانينها الأزلية، لهذا فإن هذا العلم ينبع من الإيمان أولاً بالقدرة الإلهية، وثانياً من اتباع الأمر الإلهي في استقراء ودراسة الخلق العظيم في السماوات والأرض حيث يقول المولى عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 164).

ففي هذه الآية الأمر المباشر للعباد العقلاء لاستقراء الحركة الكونية من حولهم بجميع مكوناتها من النجوم والرياح والأمطار وما تفعله من تأثيرات مباشرة على الحياة في مختلف تنوعها، وهي الأساس الذي بني عليه العلم الذي يعرف اليوم بعلم الدرور.

لقد كان الإنسان في العصور السابقة أحوج ما يكون لمعرفة ما تحمله مستقبل الأيام من تحذيرات أو تحفيزات، سواء للقيام بالأعمال كالزراعة أو منع دخول البحر لدخول أوقات اشتداد الرياح من السنة ودخول مواسم الأعاصير والرياح الشديدة كالشمال والأحيمر وغيرها من الرياح القاتلة بالنسبة لأهل البحر وسفنهم، كما أنهم في حاجة ماسة إلى معرفة أوقات دخول الأهلّة للشهور بما ينفعهم في الحسابات والتأريخ للأحداث.

إن هذا العلم يهتم بالغ الاهتمام بالمطالع ووقوع النجوم والكواكب في مساراتها الفلكية وتأثيراتها المباشرة على حركة الرياح والسحب في الأرض، وما يؤدي ذلك إلى حدوث العواصف والرياح والأمطار الغزيرة والسيول، وتسجيل كل ذلك ومقارنته عبر السنوات والشهور والفصول ووجود الكواكب في مداراتها عند حدوثها من عدمه، وذلك لكي يسهل الحصول على بيانات حقيقية ثابتة لا يرقى إليها الشك، وتصلح أن تكون قواعد ثابتة يتم القياس عليها مستقبلاً، ناهيك عن تداخل الكواكب وظهورها معاً ودرجات الميلان التي تظهر عليها لا سيما الشمس والقمر واقتران مشارقهما ومغاربهما عبر الأيام، وهو ما يتبين في قول المولى عز وجل ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝﴾ (يس 39-40).

لقد كان انتباه الأجداد لمنازل القمر والكواكب ومدارات مسيراتها في الكون وتحديدها بدقه والتي منها: السرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرف، والجبة، والزبرة، لدليل على تمكّنهم من إتقان هذا

العلم وربطهم هذه الظواهر بما يشاهدونه في حياتهم اليومية، وكان التشبيه الإلهي القمر بعرجون النخل (الذي يطلق عليه محلياً مسمى عسج النخيل)، دليلاً واضحاً وجلياً لهم بارتباط الدرور بالزراعة والفلاحة وتوقيتات الإنبات والإخصاب، وتأثيراته على الحياة الزراعية.

وفي بلادنا اعتمد الأهالي على علم الدرور في جميع نواحي حياتهم في الحل والترحال، فقسموا السنة إلى مواسم ثابتة حددوها بتوقيتات تعتمد أساساً على العلم والحساب الفلكي، والشتاء والقيظ والمصاييف والمرابيع وغيرها، كذلك اعتمدوا عليه في مواسم الزراعة وتوقيتات الحصاد، ناهيك عن منع دخول البحر في أوقات اشتداد الرياح ومواسمها القوية، بل راحوا إلى أبعد من ذلك، فهم يعتمدون على هذا العلم في تحديد أوقات ضراب (سفاد) الإبل وقص أوبارها وأوبار الإنعام، بعد التأكد علمياً وبخبرة العارفين (بانفصاخ) الشتاء أي انتهاؤه نهائياً وليس ارتفاع درجات الحرارة التي أحياناً ما تحدث في الشتاء دون انتهائه، ما يعني أن عودة البرودة قد تؤدي حتماً إلى نفوق قطعان الماشية من البرد إن لم يكن هناك أماكن معده لتدفئتها. ونظراً لما لهذا العلم الموروث من أهمية بالغة في حياة الناس وعلى الرغم من التطور العلمي المحرز في جميع نواحي العلوم الفلكية، واختراع العديد من الأجهزة الحديثة التي تقرأ وتراقب حركة الأحوال الجوية والطقس، فإن الحفاظ على هذا العلم يعتبر من أهم المشاريع الاجتماعية والعلمية التي تسعى الدولة للحفاظ عليها، لاسيما أن العديد من المتخصصين المحليين في هذا المجال قد انتقلوا إلى - رحمة الله تعالى - أو أصبحوا في أوضاع من تقدم السن لا تمكّنهم من الاستمرار بتقديم خبراتهم بصورة فاعلة، ما يستوجب العمل على حفظ هذا الموروث عبر التسجيل المرئي والتدريب العملي الفعلي ضمن برامج علمية دقيقة تحافظ على الاستقراء التقليدي لعلم الفلك وتأثيرات الحركة الكونية على مجريات الأوضاع وتنبؤاتها على الأرض.

بلا شك، تواجه هذه الدعوة العديد من التحديات والصعوبات التي يتعين التغلب عليها للحفاظ على هذا التراث الثقافي القيم، خصوصاً وما تقدمه الخدمات التكنولوجية الحديثة في هذا المجال من علوم متقدمة لا يمكن مجاراتها والاستفادة منها في هذا المجال مع ما يتناسب مع طبيعتنا، وقد لا تنطبق عليها في رأي العارفين بهذه العلوم، إضافة إلى الصعوبة البالغة التي تكتنف مثل هذه العلوم التي تحتاج إلى أشخاص ذوي قدرات خاصة تمكّنهم من استقراء مكونات البيئة الكونية والتدقيق المستمر بما يمكن أن يحدث تغييراً على ما هو في هذا العلم.

لقد كان هذا العلم يعتبر بمثابة النشرة الجوية التي يحب آباؤنا جميعهم على مختلف مهنهم واهتماماتهم الاستماع إليها، كما أنهم يقدرونها أيما تقدير، فهي التي تحدد قراراتهم النهائية بشأن أعمالهم المستقبلية، وقد تكون ما يمكن أن ينقذ أموالهم وحتى حيواتهم باتخاذ القرار الصحيح ■

باحث وكاتب إماراتي

«الدرور» مركز أرصاد الأجداد على الأجهزة الذكية

حكم وأمثال تؤكد تجذّره في الثقافة الإماراتية

أماني إبراهيم ياسين

الاهتمام بالفلك قديم عند العرب، بدأ كثمرة التأمل، ومع التجربة والملاحظة تكوّنت ثقافة عربية فلكية عظيمة، وكان للعرب إسهامات مهمة في ذلك، فقد اخترع العلماء المسلمون آلات ومعدات لم تُعرف من قبلهم لرصد النجوم والكواكب والظواهر المناخية، وكانت علوم الفلك أحد مظاهر الحضارة الإسلامية. وفي القرآن الكريم إشارات إلى النجوم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1]، **وذكرٍ لأسماء معينة للنجوم ومنها «الطارق»، قال تعالى** ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[2]، **وإشارة إلى استخدام النجوم كعلامات يُستهدى بها في الطريق، قال تعالى** ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾[3].

وقد دعا الله عباده إلى التأمل والتفكر في الكون المعجز، واعتبر السماء والنجوم من الشواهد الدالة على ذلك، قال تعالى «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكفِ بربك أنه على كل شيء شهيد»[4].

وشهد التاريخ العديد من العلماء العرب الذين برعوا في الفلك، مثل محمد بن جابر بن سنان البتاني الذي تمكّن من حساب طول السنة الشمسية وطول السنة المدارية، وتنبّأ بالخسوف والكسوف، و«محمد بن إبراهيم الفَزَاري» صاحب أول محاولة جريئة في التاريخ لقياس عمر الكون.

ويكشف الشعر العربي عن شيوع الثقافة العامة بعلوم الفلك. فها هو «أبو العلاء المعري» يكشف في مرثية عن معرفته الجيدة بالكواكب والأفلاك، ويقول:

«زحل أشرف الكواكب دارا..
من لقاء الردى على ميعاد
ولنار المريخ من حدثان الدهر..
مطف وإن علت في اتقاد
والثريا رهينة بافتراق الشمل..
حتى تعد في الأفراد»[5]

- وفي قصيدة يمجّد فيها انتصار الخليفة العباسي المعتصم على البيزنطيين في معركة عموريّة، يضرب «أبو تمام» المثل بـ «الكوكب الغربي ذي الذنب»، وهو كوكب ظهوره يقترن بحدوث كوارث وفِتَنٍ وأمورٍ عظيمة، يقول:

وخوّفوا الناس من دهياء مظلمة
إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
وصيّروا الأبراج العليا مرتبة
ما كان منقلباً أو غير منقلب»[6]

الفلك في التراث

تناولت العديد من كتب التراث قضية النجوم وعلاقتها بالإنسان، وعرّفت العديد من الظواهر المتعلقة بذلك، كاشفة عن خبرات متقدمة امتلكها الأوّلون، قبل نشأة علم الفلك الحديث. من هذه الكتب «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي، الذي ذكر أن العرب قاموا بتعريف الأنواء «النجوم» المحمودة والمذمومة، وكتاب «علم الأنواء في المواسم» لابن قتيبة في القرن التاسع الميلادي، الذي تحدّث عن العلاقة بين حركة النجوم والزراعة. ومن أهم الكتب التراثية في مجال الفلك «مفاتيح العلوم» لأبي عبد الله الخوارزمي، الذي تحدّث فيه بالتفصيل عن الظواهر الفلكية، وقدّم تعريفات لكل ظاهرة، فقد عرّف «الأنواء: النوء سقوط النجم من منازل القمر في المغرب بعد الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق وهو رقيبه، وسقوط النجم منها في ثلاثة عشر يوماً ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوماً. ويقال: خوى النجم يخوي خياً وخواء إذا مضت مدة نوئه ولم يكن فيه مطر، أو ريح، أو برد، أو حر». ووُصف «علم الهيئة» بأنه «معرفة تركيب الأفلاك وهيئتها وهيئة الأرض، و«الفلك» وهو دوران السماء، و«الفلك المستقيم» وهو معدل النهار وهو الدائرة العظمى التي تحيط على قطبي السماء اللذين عليها يتحرك من المشرق إلى المغرب دورة في كل يوم وليلة، وسمّي معدل النهار لأن الشمس إذا بلغته اعتدل النهار، و«فلك البروج» وهو الدائرة التي ترسمها الشمس بسيرها من المغرب إلى المشرق في سنة واحدة وهو مقسوم إلى اثني عشر قسماً وهي البروج. أما «دائرة الأفق» فعرّفها الخوارزمي، وقال: «تفصل ما فوق الأرض مما تحتها من السماء. و«دائرة الارتفاع»: وهي التي تمر بقطبي الأفق. و«قوس

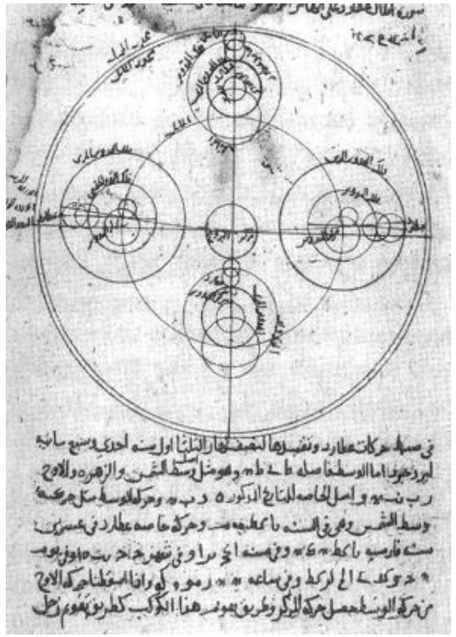

الارتفاع»: قطعة من تلك الدائرة. و«الميل»: هو بُعد الشمس أو الكواكب من معدل النهار. و«سعة المشرق للشمس» هو من الألق ما بين معدل النهار وبين مطلعها. و«نقطة الاعتدال الربيعي» هي رأس الحمل لأن الشمس إذا بلغته اعتدل النهار في الربيع. و«نقطة المنقلب الشتوي» هي رأس الجدي لأن الشمس إذا بلغته تناهى قصر النهار وبدأ في الزيادة. و«عرض البلد» هو بعده من خط الاستواء. و«طول البلد» هو بعده من المشرق أو المغرب[7].

حساب الدرور

اهتم الإماراتيون بعلم الفلك منذ القدم، وتأملوا الفضاء الواسع، وتفكّروا فيه، وكان من أبرز الفلكيين «أحمد بن ماجد» المولود في جلفار الاسم القديم لإمارة رأس الخيمة عام 821 للهجرة، وتوفي عام 906 للهجرة، وهو ملاح وجغرافي له الكثير من المؤلفات في علم البحر والنجوم، قال عنه الشاعر «حميد بن خليفة بن ذيبان»:

(وعلم «ابن ماجد» ظهر للنجم تخطيطه على علايم ملاحة يشهد كتابه)[8]

وكانت الثقافة الفلكية أساسية في المجتمع البدوي البسيط، فعرف القرويون الظواهر الفلكية وأسماء النجوم وأحوالها وأطوارها، والتغيرات التي يشهدها كل نجم، وسجلوا بالتجربة والملاحظة ما يرتبط بالنجوم من تغيرات في مظاهر الطبيعة والحياة، واستفادوا من ذلك في تحديد مواسم الزراعة والصيد

وفي هذا الإطار ابتكر الإماراتيون «الدرور» وهو حساب فلكي قديم يعتمد على حساب أيام السنة في شكل عشري يقسمها إلى (36) قسماً، القسم الواحد يتكون من عشرة أيام عرف بـ «الدرّ»، ويبدأ هذا الحساب بطلوع نجم سهيل عند الفجر في منتصف شهر أغسطس من كل عام في (8/15)، ويعرف كل درّ بالمجموعة العشرية التي ينتمي إليها، فيقال: (العشر، والعشرين، والثلاثين.. هكذا إلى المئة)، ثم تبدأ المئة الثانية (العشر، والعشرين، والثلاثين،.. إلخ)، وفي حياة بدوية بسيطة خالية من أجهزة الرصد الحديثة، كانت الدرور بمنزلة مركز الأجداد لمعرفة الطقس.

و«قسّم الإماراتيون القدماء سنتهم إلى أربعة فصول سمّوها كتالي: «الصفري» وهو الخريف، تصفر فيه أوراق الشجر والسماء، تأتي بدايته في الأربعين الأولى (شهر سبتمبر) وهو حار قائظ، ينتهي ببعض البرودة، مؤذناً بدخول «لشتا» وهو الشتاء، وهو حالياً يدخل في نهاية الثلاثين أي في شهر ديسمبر. يأتي بعده الصيف وهو الربيع حالياً (كان أهل الإمارات يعتبرونه صيفاً فهو حار أيضاً بدرجة أقل قليلاً من شدة الحر الفعلية في الصيف)، ويبدأ في نهاية العشرين الثانية منتصف مارس، وأخيراً «القيظ» وهو ما يعرف الآن بالصيف الذي يكون في بداية العشرين الثالثة أواخر شهر يونيو/حزيران.

وحدّدوا تقويماً أو «روزنامة» خاصة تجمع الشهور الأجنبية وما يقابلها من الدرور والطوالع والأبراج وضمن أي فصول السنة تقع، بالإضافة إلى رموز تشير إلى المواسم ومظاهر الطقس وتقلبات الجو، بحيث يستطيع القارئ أن يتعرف إليها جميعاً بسهولة ويسر[9].

كيفية حساب الدرور

«تحسب الدرور تصاعدياً من الدرّ الأول للمئة، (أول المية، ثاني المية، إلى عاشر المية، ثم أول التسعين ثاني التسعين، ثالث التسعين، ثم درّ الثمانين، بعده السبعين، وهكذا من در إلى آخر) حتى نكمل 100 يوم، وما أن ننتهي من عاشر العشر حتى تعود الحسبة تصاعدية، من العشر إلى المئة، وبعد أن نكمل مئة يوم أخرى وينقضي من السنة 200 يوم، نعود تصاعدياً من أول العشر إلى عاشر المئة، ثم تصاعدياً مرة أخرى إلى عاشر الستين، وهكذا تكمل السنة 300 يوم، لتبقى آخر خمسة أيام، وهي ما يسمى محلياً بـ «الخمس المساريق» التي تكمل حساب الدرور للسنة كاملة، وعادة ما تكون من 9 إلى 13 أغسطس، لأن رابطة هواة الفلك الإماراتية حددت طلوع نجم سهيل يوم 14 أغسطس، وبالتالي تعود إلى السنة دورتها من جديد[10].

ظواهر نجمية

أسهمت التجربة في تراكم المعلومات الفلكية لدى أهل الإمارات، فمثلاً «في الشتاء هناك فترتان مهمتان تتكون كل واحدة من 40 يوماً وتتميز بما يخصها من خصائص، وهما فترتا: أربعين المريعي، وأربعين العقربي، فالأولى تتميز بالبرودة الشديدة وتساقط الأمطار، ولكن لا تكون شاملة، أما أربعين العقربي فتتميز بغزارة الأمطار وشموليتها. وفي أربعين العقربي تشتد الريح، وتصبح ذات عواء كصوت الذئاب، حتى إنها تسمى محلياً بـ «العوي»، في هذا الوقت من العام قد ينزل البرد إلى درجات حرارة متدنية، حتى إن الناس يبدؤون في إشعال التدفئة، وتطيب ليالي السهر بجوار «شبة الضو». وبين أربعين المريعي وأربعين العقربي هناك عشرة أيام دافئة، تسمى أيام الحسوم، وفيها يسود ارتفاع في درجة الحرارة بشكل ملحوظ، وبعد الحسوم تمر أيام باردة تأتي في نهاية الشتاء وقدوم الربيع، ويوافق ذلك نهاية شهر فبراير وبداية شهر مارس تسمى «برد العيوز»[11].

سهيل في الأمثال الشعبية

تناولت الثقافة الشعبية النجوم وما يرتبط بها من ظواهر، وقد استحوذ النجم سهيل بالاهتمام الأكبر، ومن الأمثال الشعبية التي تقال عنه «إذا دخل سهيل لا تأمن السيل»، وهي إشارة تحذير من كثرة المياه، و«سهيل طلع في الما»، أي إن أثر طلوع سهيل سيظهر في المياه قريباً.

وقالت العرب «إذا طلع سهيل برد الليل وخيف السيل ونزل على أم الحوار الويل»، وتقول البادية: «سهيل يظهر بالسماء ويهيج بالقاع البعير»، والحاضرة تقول: «انتبه لسهيل ياللبيب إذا زاد الماء بالقليب». كما تقول العامة أيضاً «سهيل مكذب العداد»، وتقول أيضاً «الصيف أوله طلوع الثريا وآخره طلوع

سهيل»[12]. ويقال كذلك «طلع سهيل تلمس التمر بالليل» وهو مثل يربط النجم بنضوج التمر، ويتفق ذلك مع قول شاعر إن مع طلوع سهيل تنضج الفاكهة:

«إذا سهيلٌ مطلع الشمس طلعْ
فابنُ اللبون الحِقّ والحِقّ جذع»[13]

(ويُضرب بنجمي «سهيل» و«الياه» المثَل في شدة البعد والتنافر، فمثلاً إذا كانت بين شخصين جفوة وخصام، ثم تدّخّل مُصلح بينهما، فيقول مَن لا يرغب في الصلح: «لا يكون حتى يرى سهيل والياه»، يعني الاستحالة، وأنه لا مجال للصلح بينهما، وكذلك إذا ألمّ خطب بين رجل وزوجته، تقول الزوجة: «إذا رأى سهيل والياه». بمعنى أن من المستحيل أن تصالحه) [14]. وحظيت بعض الظواهر المناخية بحكم وأمثال شعبية أيضاً، ومن بينها «الأيام الحسوم»، وفيها يسود ارتفاع في درجة الحرارة بشكل ملحوظ، فيظن بعض الناس أن البرد قد انتهى، وعن ذلك يقول كبار السن، «الحسوم تبيّع الخبيل لحافه» بمعنى أن هذا الدفء جعل رجلاً «خبلاً» وهي كلمة محلية تعني المغفل، اشترى قفطاناً ثقيلاً أول البرد، وبمجرد أن جاء دفء الحسوم باعه، فلما عاد البرد قضى عليه[15].

وترتبط الظواهر المناخية، ببعض الحكايات والأساطير، ومنها «برد العيوز» ويقال إن التسمية جاءت نسبة لعجوز جزّت صوف خرفانها بعد انتهاء أربعين المريعي، ثم جاءت أربعين العقربي فماتت خرفانها من البرد، وهناك من يقول إن القصة تنسب إلى عجوز كانت تعرف أحوال الطقس، وحذرت أهلها من برد شديد قادم، ولم يأخذوا بتنبيهها، فارتحلوا من بيوت الطين ثم جاءتهم الريح والبرد فماتوا. ويتميز أربعين العقربي بغزارة الأمطار وشموليتها، ويكون أدفأ من المريعي، حتى إن كبار السن يقولون «العقربي يسقي بر وبحر»[16].

درور إلكترونية

ظلت «الدرور» ثقافة شعبية شفهية ينقلها الناس من جيل إلى آخر، ولكن بعضهم حرص على توثيق ذلك بصنع مجسم يدوي لحساب الدرور، وهو ما يسمى ديرة الدرور، غير أنه منذ سنوات دخلت الدرور عالم التكنولوجيا، بظهور تطبيقات على الموبايل لحساب الدرور.

وفي هذا الإطار، أطلقت «هيئة الفجيرة للثقافة والإعلام» و«مجموعة جمينوس» تطبيق حسابات الدرور على أجهزة الأندرويد وأبل حتى يتسنى للجيل الجديد معرفة تاريخ الأجداد بالطرق الذكية ضمن فعاليات أسبوع الابتكار في إمارة الفجيرة، ويعتمد عمله على الحساب تلقائياً وإلكترونياً مع التاريخ الميلادي[17]. كما أصدر مركز جامع الشيخ زايد الكبير «التقويم الهجري التفاعلي»، الذي يمكن تحميله على الأجهزة الذكية، ويتيح للمستخدم الاطلاع على «ديرة الدرور» في قالب تفاعلي، للتعرف على ملامح كل درّ شاملاً حساب السهيل والبروج والطوالع والمواسم، ومعرفة الملامح المناخية والطبيعية لكل منها بمرونة تامة.ويمكن للمتصفح اختيار التاريخ لتدور الديرة تلقائياً وتطلعه على ملامح الدرّ الموافق للتاريخ، كما يمكن تدوير الديرة يدوياً لمعرفة المعلومات، ويمكن تكبيرها للاطلاع على التفاصيل أيضاً[18]. وتنتشر على google play التطبيقات الخاصة بالدرور، لتتحول بذلك الثقافة الشعبية الشفهية التقليدية إلى ثقافة عامة يسهل استخدامها وتداولها بين الأجيال الجديدة باستخدام الهواتف الذكية ■

كاتبة وصحفية مصرية

الهوامش والمراجع:

1. القرآن الكريم، سورة الأنبياء (الآية 33).
2. القرآن الكريم، سورة الطارق (الآية 1).
3. القرآن الكريم، سورة النحل (الآية 16).
4. القرآن الكريم، سورة فصّلت (الآية 53).
5. ديوان «أ بو العلاء المعري»: www.aldiwan.net
6. ديوان «أبو تمام»: www.aldiwan.net
7. كتاب مفاتيح العلوم، أبو عبد الله الخوارزمي، المكتبة الشاملة.
8. ديوان حميد بن خليفة بن ذيبان، إعداد وتحقيق فهد المعمري، نادي تراث الإمارات، مركز زايد للدراسات والبحوث، أبوظبي، 2013، ص 83.
9. «الأجواء المناخيّة وتغيّراتها في البادية»، «ظل الغافة»، قناة الوسطى من الذيد، حامد بن محمدي.
10. المصدر السابق نفسه.
11. المصدر السابق نفسه.
12. أقوال العرب في ظهور نجم سهيل، الدكتور أحمد الشريدة، طقس العرب: www.arabiaweather.com
13. «الأنواء في مواسم العرب»، ابن قتيبة الدينوري، المكتبة الشاملة، ص 154.
14. المصدر السابق نفسه.
15. «الأجواء المناخيّة وتغيّراتها في البادية»، «ظل الغافة»، قناة الوسطى من الذيد، حامد بن محمدي.
16. المصدر السابق نفسه.
17. «الفجيرة للثقافة والإعلام» تطلق «حسابات الدرور»: www.emaratalyoum.com
18. مركز جامع الشيخ زايد الكبير: www.szgmc.gov.ae

الدرور مرايا التغيّرات المناخية في التراث الإماراتي

أحمد حسين حميدان

منذ أن بدأت حياة الإنسان استرعى انتباهه ما يدور حوله من ظواهر تترك أثرها المباشر وغير المباشر في سيرورتها وتأتي حالات الطقس والمناخ في مقدمة هذه الظواهر التي ينجم عنها زيادة درجات الحرارة وتراجعها جراء البرودة ثم اصفرار الأوراق النباتية وهطول الأمطار وما ينجم عن ذلك في الطبيعة من تغير متعاقب[1] وفق مواعيد وتواقيت تتكرر خلال فصول السنة، كل ذلك دفع الإنسان في شتى بقاع الأرض ومن ضمنها الإمارات إلى مراقبة مواقيت ذلك ليكون مستعداً أمام هذه المتغيرات كي يستفيد منها، وبما أنه لم يكن في قديم تلك الأيام أرصاداً جوية سواء أكانت متطورة أو غير متطورة، اعتمد الإنسان بصفة عامة ومن ضمنه العربي والإماراتي أيضاً على ملاحظة المتغيّرات من حوله، وسُمّيت ملاحظته هذه بـ(الدرور) التي تم تعريفها على أنها ملاحظة مباشرة ضمن حساب فلكي قديم جداً يعتمد على تقسيم أيام السنة بشكل عشري إلى (36) قسماً، وكل قسم يتكون من عشرة أيام تعرف «بالدّر» ويبدأ هذا الحساب بطلوع نجم سهيل عند منتصف شهر آب/ أغسطس من كل عام، ويعرف كل دّر بالمجموعة العشرية التي ينتمي إليها فيقال (العشر، والعشرين، والثلاثين، وهكذا إلى المئة الثانية وهذا الأمر ذاته يتكرر عند كل عَدّ..).

الدر في تقويمه الحسابي..

إن الدرور تقويم تراثي يعتمد على الحساب الزمني وذلك وفقاً لظواهر الطبيعة كما أشرنا وتمت الاستعانة فيه على النجوم ومطالعها التي كانت في أسفارهم وأعمالهم دليلاً لهم وذلك جراء ما يرافقها من ظهور وطلوع في الفضاء للنجوم وجراء ما يصاحبها من تغيّر مناخي تشتد فيه الرياح والبرودة حيناً وترتفع درجات الحرارة حيناً آخر إيذاناً بالدخول في فصل جديد، وتكرار ذلك بمواقيت عبر فترات زمنية محددة بمواعيد معينة دفعت المتابعين لها لتقسيم السنة وفصولها إلى ثلاثة أقسام[2].

كما تشير العديد من الدراسات وجعلوا كل قسم منها يبلغ مئة يوم تم ربطها بأشهر السنة، وأول مئة يوم الصيف وفق حساباتها تبدأ بالثلث الأخير من شهر آب/أغسطس، وفي هذا التوقيت تتراجع شدة حرارة الصيف إثر هبوب رياح تتصف بالشدة وفي هذا الموعد يظهر نجم سهيل من آخر الليل حتى الفجر؛ وتأتي في الحساب بعدئذٍ المئة يوم الثانية التي تبدأ من أواخر شهر تشرين الثاني/نوفمبر.

وفيه تميل درجة الحرارة إلى البرودة ويبدأ هطول الأمطار ويُطلق على هذه الفترة اسم «الوسمي»، و«در الثمانين»، و«المربعي»، وضمن هذه الفترة يظهر نجم سهيل عند منتصف الليل وحتى آخره تقريباً؛ وفي بداية العام الجديد ينتصف هذا النجم قبة ويكون ظهوره في الثلث الأول من الليل ويختفي في أوائل الفجر

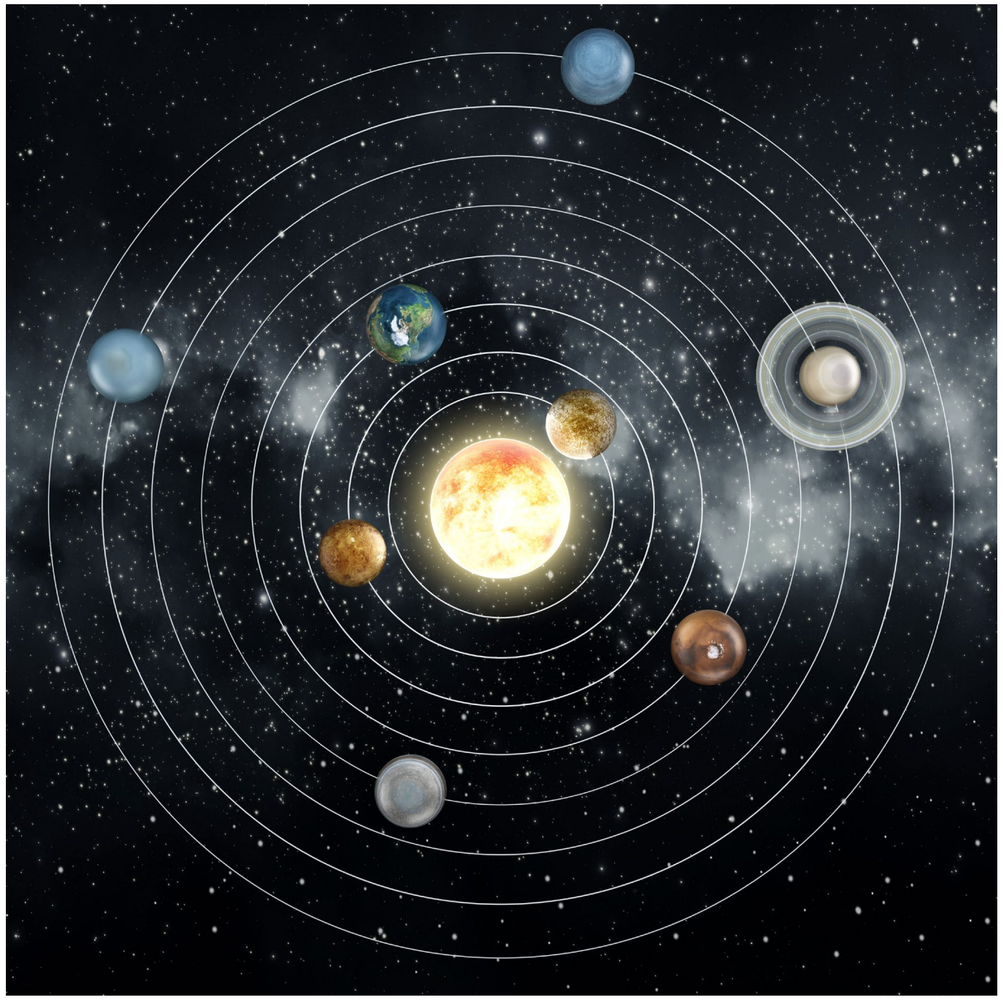

تقريباً؛ وتلي ذلك المئة الثالثة من التوقيت وتكون في بداية شهر آذار/مارس، حيث يبدأ دفء فصل الربيع وتأخذ درجات الحرارة بالارتفاع مرفقة بهبوب رياح ربيعية، وبهذا التوقيت يظهر نجم سهيل مبكراً في أول الليل، ثم يكون في بداية شهر أيار/مايو غروبه التدريجي ثم غيابه، ويتزامن ذلك مع زمن الغوص لاستخراج اللؤلؤ والصيد البحري، وفي منتصف شهر آب/أغسطس، يعاود نجم سهيل الظهور من جديد.

الدرور وميقات التغيرات الجوية..

يعتبر نجم سهيل في ظهوره أو غيابه علامة مؤكدة على التغيُّر المناخي، والعامة من سكان الإمارات ثبّتوا ذلك في أقوالهم وأمثالهم الدارجة بينهم، والتي من ضمن ما رددوا من خلالها «إذا ظهر سهيل، بَرَد الليل، وامتنع القيل، وخيف السيل، ولُأَمّ الفصيل الويل، ورُفع الكيل»، ومن معاني قولهم هذه الإشارة البائنة في تغير حالة الطقس والفصيل هو صغير الإبل الذي

قد فُطِم وفُصِل عن أمه، ومن ضمن مرامي ذلك قرب حلول فصل الشتاء ببرودته المعروفة وهبوب رياحه التي يسمونها «هبايب سهيل» نسبة إلى نجم سهيل، وهذه الهبائب لا تأتي على نسبة واحدة، فأحياناً تأتي على شكل أنسام معتدلة تلطف الجو، وأحياناً أخرى تأتي على نحوٍ أكثر وأشد برودة وخصوصاً في الأماكن الجبلية المرتفعة[3]، وأمكنة هبوبه تبدأ من المناطق القريبة من إمارة الشارقة وتمتد حتى مدينة العين؛ ومن الأهمية أن نذكر في هذا السياق أن في هذه الفترة التي تمتد حتى آخر شهر أيلول/سبتمبر، يتم غرس فسائل النخيل إضافة إلى العديد من المزروعات من الخضار التي شرعت الإمارات بزراعتها في أراضيها المختلفة.

أهمية الدرور والفائدة العملية منه

مما لا شك فيه أن الاهتمام منذ القديم بمطالع النجوم، والاعتماد من خلاله على حساب مواقيت بدء الفصول والتعرف على أوقات الحر والبرد وهطول الأمطار، كل هذا له أهميته وفوائده الكبرى في الحياة الاجتماعية على امتداد الجغرافيا سواء الإماراتية أو غيرها من البلدان أيضاً لما لذلك من علاقة في أمور التنقل والسفر، وقبله ما يتعلق في أمور الزراعة والمزارعين وسكان القرى حيث يقدمون على حرث الأراضي الزراعية ونثر البذور فيها في الأوقات الصحيحة والمناسبة المتزامنة مع الري وهطول الأمطار، ولا تبتعد الفائدة عن سكان البر الذين يقومون بالتنقل وبأعمال الرعي التي تضاعف الثروة الحيوانية، إضافة إلى ذلك ما يتعلق بأعمال الصيد واستخراج اللؤلؤ فيمضي الصيادون إلى أماكن صيدهم في الأيام المناسبة لعملهم، كما يمضي المتنقلون والمسافرون إلى الأماكن التي سيسافرون إليها كي ينجزوا الأمور المتعلقة بهم في الأوقات المواتية لهم؛ ومن فوائد الدرور الجديرة في

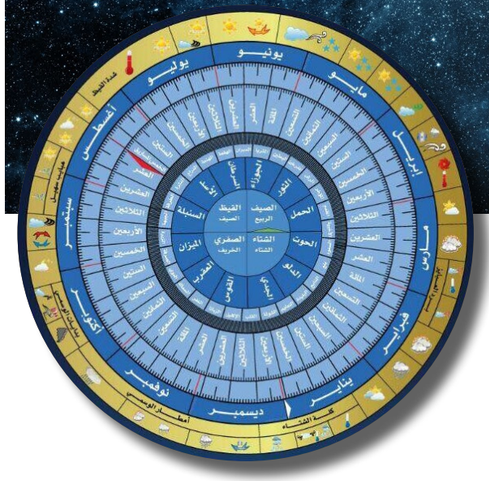

الكشف عنها المساعدة في معرفة اتجاه القبلة من أجل الصلاة وذلك من خلال شروق نجم سهيل الذي يتقابل مع المحور الأكبر للكعبة المشرفة بينما المحور الأصغر يتقاطع مع شروق الشمس.

النجوم في القرآن الكريم والدرور في مضرب الأمثال وقصائد الشعراء

إذا كان النجم سهيل هو أساس حساب الدرور، فهو أخذ موضعه إلى جانب النجوم الأخرى دون ذكر اسمه الصريح في بعض سور القرآن الكريم[4]، وخاصة الآيات التي جاءت على ذكر الزمن والسنين والحساب، ونذكر منها:

«هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ». (سورة يونس آية 5)

«وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ». (سورة النجم آية 49)

«وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ». (سورة النحل آية 16)

«وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ». (سورة النجم آية 1)

من خلال هذا التموضع للنجوم في السور القرآنية فقد أدرك العامة والخاصة من الإماراتيين وغيرهم أهمية «الدرور» لاعتماده على نجم «سهيل» باعتباره أحد هذه النجوم، ولتقديمه جليل الفوائد لهم في جوانب حياتهم المتعددة وجراء ذلك أطلقوه في حِكَمهم وفي أمثالهم المأثورة، وحرصوا من الناحية اللغوية على القافية في بناء أقوالهم عنه لأن ذلك يجعل ترداده وذكره سهلاً عليهم ويساعد الكثيرين منهم على حفظه شفوياً وتثبيته في الذاكرة، ومما جاء في أمثالهم عنه، (طلع سهيل لا تأمن السيل، طلع سهيل تلمس التمر في الليل، إذا طلع سهيل بَرَد الليل)، وفي التحذير من التلصص: (قولهم: سهيل في الماء!..) وإضافة إلى هذه الأمثال، أخذ الدرور مكانة مهمة في الشعر، وجاء ذكره في عديد القصائد الفصيحة والشعبية أيضاً، نذكر منها قصيدة للشاعر المعروف أبو العلاء المعري قال فيها عن نجم سهيل:

وسهيـــل كوجنـــة الحـب في اللـون
وقلـب المحـــب فـــي الخفقـــانِ
ضرجتـــه دمـــاً سيـــوف الأعـــادي
فبكـــت لـــه رحمـــةً الشعريـــانِ[5]

والشاعر الشعبي راشد الخلاوي يؤكد في قصائده أهمية نجم سهيل الفلكية وظهوره الدقيق في موعده قائلاً:

حساب الفـــلك بنـــجم الثريا مركـب
يحـرص لـــه الفـــلاح والطبيـــب
فيلا صـــرت بحســـاب الثريـا جاهـــل
تـــرى لهـــا بيـــن النجـــوم رقيـب
الى غابـــت الثريـــا تبيـــن رقيبهـــا
ويلا اطلعـــت ترى الرقيـــب يغيـــب
والى مضـى خمـــس وعشـــرون ليلـــة
يطلـع سهيـــل مكـــذب الحسيـــب[6]

ومن منطقة الظفرة في إمارة أبوظبي يناجي الشاعر سعيد الهاملي نجم سهيل آملاً في ظهوره هطول الأمطار بعد أن حان موسم الصفري (الخريف) الذي يحلّ في آخر فصل الصيف، ويخاطبه بهذه الأمنية:

علـــيك يـــا مختـــال برقٍ شامـــي
صفـــاري الي بانـــت نجـــوم سهيـــل
تنـــزو عليـــك من الغيـــب ردايـــم
عليهـــا مـــن يـــلال البروق شعيـــل
وتبيـــن في قـــدم القنـــوف شوامـــخ
بـــوارٍ كنهـــا جميـــم نخيـــل[7]

والشاعر جويهر الصايغ يشير إلى هبوب رياح نجم سهيل الجنوبية ويبوح بما أصابته من برد لم تفده الأغطية من شدة

برودتها، وعبر عن ذلك في بوحه:

يـــاسهيلـــي الينوبـــي
يلـــي تجـــي زفـــزاف
بـــردك تلـــى لجنوبـــي
لـــولا رضفـــت لحـــاف[8]

وإثر غياب نجم سهيل عن موعد ظهوره، لا يُخفي الشاعر حسين القفيلي قلقه جراء ذلك، ويتوجه إليه ويسأله:

وين أنت نجـــم سهيـــل ما تسفر الحـي
أعتمـــت ونجـــوم السمـا أللي تنـــبرك
مدري السحايـــب تحجبـك ما يجي ضي
ولا أختلـــف ضمن الكواكـــب مسيـــرك

سبحـان مـن يخـرج من الميـت الحـي
عـلام ما يخفـي علينـا ضميـرك[9]

وحين يظهر بعد الغياب الذي وقع فيه، يفيض داخله بالسعادة، ويُسارع إلى وصف فيض فرحه وفرح أهل البر والبحر بظهوره، ويخاطبه معبراً عن ذلك:

يا سهيـــل مـا به نجـم مثلك يماريـك
وسيرتـــك بيـن النـاس كـل ذكرهـا
تفـــرح بـــك العربـــان لا حل طاريـك
وبرجـــك على بـــرج الثريـــا وأثرها[10]

الدرور علامة ناصعة ودليل مؤكد على غنى التراث

إن الدرور كحساب فلكي اكتشفه الأجداد منذ زمن بعيد مضى واستخدموا تقويمه مبكراً، جعله يكتسب مكانة كبرى ويحظى بكثير من الأهمية جراء الفوائد المتعددة التي قدمها لسائر الإماراتيين بعد أن تحول إلى تقويم مرشد لأحوال طقس فصول حياتهم وأحوالها الحرارية ومواعيد رياحها وأمطارها في وقت لم تكن محطات الأرصاد الجوية الحديثة موجودة، وفي مجمل هذه الجهود التي قدمها الأجداد تبرز علامات وأدلة إضافية يتأكد منها نباهتهم وغنى التراث الذي قدموه للأجيال اللاحقة التي من الواجب عليها تقديم التقدير لها والاستفادة منها في مجالات حياتهم المختلفة، والمضي إلى إغناء هذا التراث بإنجازات معاصرة.. ■

كاتب وأديب من سوريا

هوامش وإحالات:

1. تاريخ العلوم عند العرب، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م.
2. الدرور ومنازل القمر، غادة حلايقة، مجلة تراث، نادي تراث الإمارات، عدد 204، أبوظبي، 2016م.
3. حسابات الدرور.. ابتكارات فلكية لأهل البر والبحر، بشاير النعيمي، جريدة البيان، عدد (3 و 5)، 2016م.
4. القرآن الكريم، سورة يونس آية 5، وسورة النجم آية 49، وسورة النحل آية 16، وسورة النجم آية 1.
5. ديوان الشاعر أبو العلاء المعري، دار الفكر، بيروت، 1965م.
6. نجم سهيل في قصائد شعراء الإمارات الشعبيين، مجلة تراث، نادي تراث الإمارات، عدد 204، أبوظبي، 2016م.
7. المرجع السابق نفسه.
8. المرجع السابق نفسه.
9. المرجع السابق نفسه.
10. المرجع السابق نفسه.

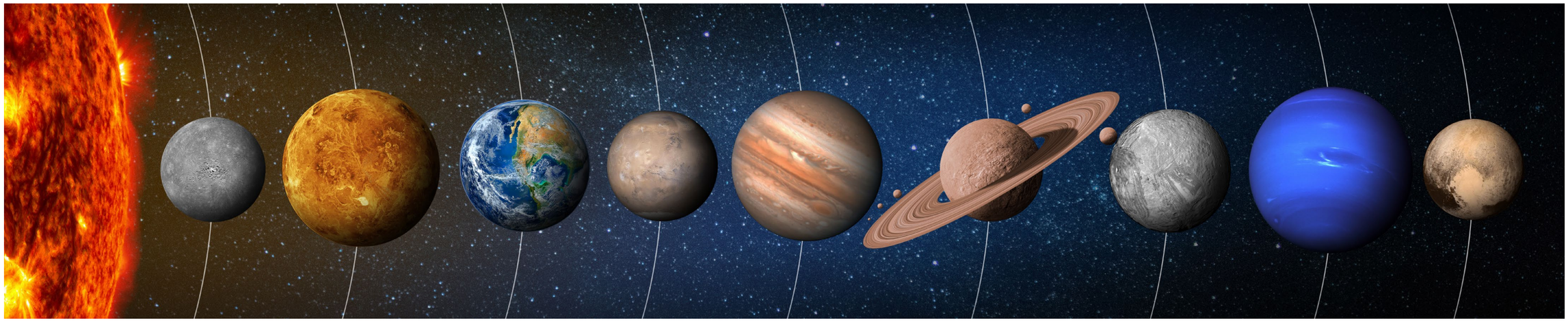

المواسم والدرور.. ذاكرة بحاجة إلى التوثيق

مريم سلطان المزروعي

لقد عرف العرب القدامى في شبه الجزيرة العربية المواسم والفصول، التي سمّاها المؤرخون في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام، فهي حسبة سنوية اعتمد عليها أهل المنطقة في حسبتهم في البر والبحر. وللعرب المسلمين شهورهم وللفرنجة شهورهم، وكذلك الروم والفرس والقبط، وقد حددها الشاعر الشيخ أبو عبد الله الكيزاني في أبيات الشعر

شهور الروم ألوان
زيادات ونقصات
فتشرينهم الثاني
وأيلول ونيسان
ثلاثون وثلاثون
ويتلوهم حزيران
شباطٌ خُص بالنقص
وذاك النقصُ يومانُ[1]

كان للعرب معرفة بعلامات هبوب الرياح وسبب تقلب الأنوار ومواسم الزراعة ورحلتي الشتاء والصيف وأيام السنة. وقد قسّموا السنة إلى أربعة فصول: الصيف والخريف (الصفري) والشتاء والربيع، ومن هنا تم تقسيمها إلى «الدرور»، ومفردها الدُّرويعني العشرة أيام من كل موسم من فصول السنة، وعملوا لها جداول وأسماء وأرقام، ووضعوها لأنفسهم، وأطلقوا عليها اسم (حساب الدرور) وهو حساب فلكي ارتبط بمطالع النجوم كسهيل والنثرة والإكليل والثريا والكوي والمطلعي وهناك أسماء أخرى، ويبدأ الحساب بفراق نجم سهيل، كما اعتمدوا النجم القطبي، كعلامة لمعرفة الاتجاهات أثناء سيرهم في ظلام الليل، والإبحار في اللجج، وعرفوا كذلك مواسم هبوب الرياح التي تساعد على دفع السفن بالاتجاه الذي يرغبون في قصده، والذي يساعدهم في ذلك الوقت أن كانت السماء صافية من جميع المتغيرات المناخية، والمؤثرات البيئية كالعوادم والغبار المتطاير من المصانع وحركة السيارات والطائرات وكذلك الأضواء المعاكسة. لقد فرضت الطبيعة على الإنسان العربي، سواءٌ الذي يعيش في الصحراء أو على ضفاف الأنهار أو سواحل البحار، أن يكون متأملاً لظواهرها عارفاً بالتقلبات التي ترافق فصول السنة والمعرفة باختفاء الكواكب وظهورها في تلك الفصول، قال سبحانه وتعالى: (وعلامات وهم بالنجم يهتدون)[2]، لذلك من فؤائد معرفة حساب الفلك وضبطه

أنه يمكّنهم من التعرف على وقت الغرس والحصاد والإبحار للصيد والتنقل في الأسفار، وهم يجوبون عباب المحيط حتى يتنسى لهم الوصول إلى شتى بقاع الدنيا متجنبين كل الرياح والأعاصير، لذلك تحديد الأوقات الزمنية بشواهد من البيئة التي يعيشون فيها، كما أن هناك مواسم تم التعرف فيها على أنواع محددة من الأسماك ومواسم تكاثرها.

الدرور في الروايات الشفهية

يذكر السيد علي صقر السويدي في إحدى لقاءاته: (أن الدرور هو حساب فلكي في الإمارات يعتمد على النجوم، وكان أهمها نجم «سهيل»، وكان نجم «سهيل» يظهر في الجنوب يوم 18 أغسطس، ويكون حساب الدرور على حساب عشري، كل عشر أيام يسمونها درّ، ويبتدي الدر من العشر 10 20 30... وينتهي عند الـ 100، ففي الدر الستين مثلاً يكون البرد قارساً، وفي الدر السبعين تبدأ درجة الحرارة بالارتفاع، فكانت النساء تقوم بجز الصوف عن الخرفان لتخفيف الحر عنها، ومن القصص الفريدة التي كان يرويها الأجداد، أن الجمال لو حملت التمر قبل ظهور نجم سهيل لا تتحرك، فالجمل - وهذا متعارف عليه في الحياة البدوية - كان لا يتحرك وكان لزاماً عليهم انتظار ظهور النجم كي يتحرك الجمل، وعندما كانت تبدأ درجة حرارة ماء البحر بالانخفاض، فهم يعلمون بقرب ظهور سهيل وبالتالي قرب فصل الشتاء). يذكر الشاعر عدد المنازل وهي 28 نجماً:

شرطنا بطيناً للثريا بدبرهم
وهقعة هنع والذراع ونائر
وطرفهم مع جبهة ثم زبرة
وصرفة عواء والسماك وغافر
زبانا وأكليل وقلب وشولة
نعائم بلد ذابح وهو سائر
كذا بلع سعد السعود خباؤهم
فقدم وآخر للرشاء فهو آخر

يقول أحد الرواة: (أهل البحر وأهل السواحل حدودوا حسابهم بحالة البحر، والرياح التي تهب والطيور التي تهاجر على حسب

كل فصل من فصول السنة، وكذلك عند رؤية النجوم، وكما أنهم وضعوا اسماً لكل نجمة وأصبح متعارفاً عليه، على حسب طلوعها في كبد السماء، فقد كانوا إذا أردوا أن يزرعوا بعضاً من النباتات التي لا تنبت إلا في مواسم محددة مثلاً الرطب والليمون والهمبا «المانجو» والتين،... وإلخ، ومواسم الحصاد أيضاً، ينتظرون ظهور النجم المناسب لهذه المزروعات والنباتات للقيام بعملهم. والبدو الذين هم أهل البادية يحدودن حسابهم بتأثر الجمال وبعض الحيوانات البرية كالثعالب وحركاتها ومواسم هجرة الطيور والدواب، والنجوم عامل مشترك ولكن الاختلاف في المطالع؛ من حيث التقديم والتأخير وحسب وضوح الرؤية، وهذا التقويم يستخدم في معرفة أنسب الأوقات للزراعة وجني الثمار، وكذلك لمعرفة أوقات الحبل في السمك وموسمه وأنسب أوقات الصيد وكذلك هجرة وقدوم الطيور، وذكر الشاعر المايدي بن ظاهر:

سنيـــن تقضـــى وأشهـــر مستعـــدّه
ونـــوّ تـــــلا نـــــوّ وليـــل ويـــوم

وفي أربـــــع م القيـــظ ودنـــا له الشتـــا
وبانـــت لأيـــام المصيـــف رُســـوم
ترفّـــع مرفوع النيـــا مـــن حشايشـــه
غيـــوب الثريـــا يبتـــدي بسمـــوم

إن كبار السن يحفظون هذه الحسابات، لكن معظمهم لا يجيدون القراءة والكتابة لذلك لم يدونوا كل شيء، وبالتالي بقيت هذه المعلومات محفوظة بالصدور، وبالتالي يأتي هنا دور الجهات المعنية بالتراث بإجراء مقابلات شفاهية للمحافظة عليها، وإعادة عرضها بطريقة مختلفة للجمهور بما يتناسب مع فئات المجتمع جميعها ومع التطورات الحديثة بأنواعها كلها في حياتنا، إلى جانب الاستفادة من كبار السن بصناعة الأجهزة كدولاب الدرور وعرضها بتفاصيلها كافة في المتاحف مع الخرائط، فهي ليست بالسهولة أو من النادر الحصول عليها مع التركيز بأن هناك اختلافات مع بعض من الدول المجاورة في الحسابات والمواسم والمسميات، لذلك أتمنى من وزارة التربية والتعليم أن تُدرّس هذه المواسم في المناهج المدرسية، وهذه ضرورة وحاجة وهي (إرث وموروث لابد أن نحافظ عليه من الاندثار)، ويذكر أحد الرواة: (إن حسابات المواسم والدرور لابد أن توثق بطريقة صحيحة وأن تقوم الجهات بأسرع وقت بتسجيلها وتوثيقها، لأنه مع مرور الوقت

لقد عرف العرب القدامى في شبه الجزيرة العربية المواسم والفصول، التي سمّاها المؤرخون في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام، فهي حسبة سنوية اعتمد عليها أهل المنطقة في حسبتهم في البر والبحر. وللعرب المسلمين شهورهم وللفرنجة شهورهم

ستندثر هذه المعلومات، مع مراقبة للحسابات غير الرسمية الموجودة على حسابات التواصل الاجتماعي).

إن أجدادنا اهتموا بكل عناصر البيئة فهي مصدر للعديد من المنافع، فالفكرة ليست باستحداث شيء جديد وإنما بإعادة التواصل مع البيئة، بحيث تقدم هذه العلوم للأجيال القادمة بما يتناسب مع التطورات العلمية والحياتية من حولنا وتقديمها بطريقة بسيطة سلسة متطورة ليسهل فهمها حتى تُستكمل مسيرة الأجداد وتتأصل في نفوس الأبناء ■

باحثة من الإمارات

الهوامش والمصادر:

1. «المواسم والدرور»: في التراث الإماراتي والخليجي»، الدكتور حمّاد الخاطري النعيمي، (أبوظبي: دائرة الثقافة والسياحة، 2022، الطبعة الأولى).
2. سورة النحل، الآية 16.
3. «الحساب المأثور في مواسم الدرور»، خميس بن جمعة المويتي، (سلطنة عُمان: هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، 2012).

ملامح حفظ «الدرور» عبر الفن والأدب والتكنولوجيا

لولوة المنصوري

للحكومة والمجتمع المدني دور كبير في حفظ التراث واستدامته واستحداث طرق إبداعية وابتكارية في الصون والتخليد، ولعل العلوم والمعارف الكونية التي برزت في المنطقة العربية كانت ومازالت من أكثر الرموز استحداثاً وتطويراً وابتكاراً بوساطة التطويع التكنولوجي أو الفني أو التوظيف في الأدب والمناهج التعليمية. يبقى الحساب الفلكي «الدرور» أيقونة علمية عظيمة ابتكرها أبناء الجزيرة العربية في الإشارة إلى مواقيت الحصاد والمطر والزرع ومواقيت الغوص على اللؤلؤ والسير الرحليّ في المفاوز والصحاري والجبال، إذ من الصعوبة على أبناء هذا الجيل الذي ترعرع في المدنية والعصر التكنولوجي استيعاب هذا العلم الفلكي، وبما يحويه من إشارات مستوحاة من الطبيعة والانغماس الإنساني في التأمل والعيش الرغيد البطيء القائم على مكنونات عدة في الطبيعة ومحاولة اختراق أعماقها بالسؤال والبحث والشك والتدوين واتباع الأثر.

ويبقى السؤال الدائر حول مدى تحقق الحفظ والصون لعنصر التراث في عصرنا الراهن والمتمثل تحديداً في حسابات «الدرور»؟ وكيف يمكننا أن نرسخ هذا العلم ونعيد استثماره فكرياً وتوظيفه في حياة الفرد أو النشء، أو حتى عبر تخليده في الذاكرة عن طريق الفن أو التكنولوجيا أو الأدب والسينما وغيرها من عناصر الجذب والتشويق والإبداع؟

من خلال بحثي البسيط في الأخبار والتقارير الصحفية المحلية أوجدتُ ثلاث محاولات إنقاذية إن صح التعبير، من شأنها أن تحمي هذا العلم الغزير وتعزز وجوده وسط الحياة الإنسانية الراهنة. وكانت عن طريق التكنولوجيا أولاً، ثم الفن، ويأتي الأدب كالعادة وسيلة حماية وتطويع وتخليد للأثر.

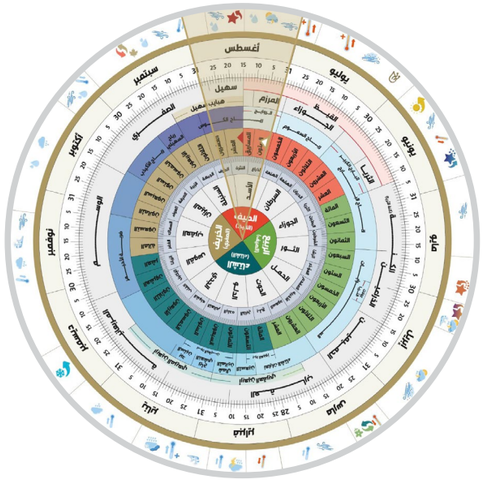

تطبيق «أندرويد»

تبدو عملية ابتكار برامج تراثية وتاريخية على شكل تطبيقات عملية هي خير وسيط إلى الجيل الجديد، ومن تلك التطبيقات التي تم استثمارها في حفظ حسابات «الدرور» وتطويرها وابتكارها هو تطبيق أندرويد، وهي وسيلة ذكية لحفظ حسابات دقيقة جداً. وقد عمدت هيئة الفجيرة للثقافة والإعلام في فعاليات شهر الابتكار في شهر فبراير المنصرم من هذا العام إلى ابتكار تطبيق الدرور على نظامي «أندرويد». إذ أُعتُبر هذا التطبيق الأول من نوعه في المنطقة لشرح ومتابعة حسابات «الدرور»، التي استخدمها الأجداد والآباء قديماً لمعرفة أخبار الطقس والحسابات الفلكية والتوقيتات المختلفة. وتتميز حسابات «الدرور» بارتباطها بالبر والبحر والرياح والصيد والزراعة ونجم سهيل، ولذلك يهتم التطبيق بتوضيح هذا الارتباط وشرح علاقة حسابات «الدرور» واستخداماتها عند الأجداد. أتى تنفيذ هذا التطبيق محاولة لإحياء الكنوز العلمية التراثية والاستفادة منها خصوصاً في الأماكن الصحراوية والبحرية، فتلك الحسابات تعتمد على الفلك والطبيعة وتم تجريبها منذ سنوات عديدة بحكم المنطقة التي لم يكن فيها أي حسابات أو أنظمة لمعرفة التقويم بأوقات الزراعة وأوقات الأمطار، والتنبؤ بما سيحدث على المنطقة والأوقات التي يمكن التنقل فيها دون مواجهة الرياح والعواصف وما شابه ذلك. ولعل اختيار شركة منفذة لهذه الفكرة وذات تجربة وباع طويل في الحلول الذكية وعملية البرمجة والتطبيقات الذكية، من شأنه أن يمثل الركيزة الأساسية لبلورة فكرة المشروع، إذ لا بد من اختيار شركة ذات خبرة عملية في التعامل مع خواص برمجية دقيقة، خاصة أن هذا التطبيق على وجه التحديد يحتاج إلى معلومات دقيقة مع عدم توافر مراجع كافية ومعلومات مدونة رسمياً بشأن «الدرور»، إذ لا بد من التوفيق بين الآراء كافة خصوصاً ما يتم تلقيه من معلومات عن طريق الرواة من كبار السن الذين صار عددهم محدوداً جداً. كما يجب أن توضع خطة واضحة من شأنها أن تسهل عملية توصيل التطبيق إلى أكبر عدد من المستخدمين وتوضيح أهميته، ومن الطبيعي جداً في مرحلة التدشين المبدئي أن يتم التعرف على وجود أخطاء تستجدي المعالجة وتدوين الملاحظات والمقترحات التي يمكن إضافتها، ومن ثم الإعلان الرسمي عن التطبيق من خلال إعلانات الشوارع والصحف ومواقع التواصل المختلفة. وفي سياق تجربة هيئة الفجيرة للثقافة والإعلام مع شركة (جي أي إس)، أوضح المدير الإداري المسؤول على تنفيذ البرنامج في الشركة الدكتور فواز نديم لوسائل الإعلام أبرز التحديات التي واجهته لعمل هذا التطبيق، «خاصة أن فكرة التطبيق كانت صعبة للغاية ولا تعتمد على الكتب والمراجع التاريخية فقط، وإنما تعتمد على مقابلة كبار السن ممن عايشوا تلك

المرحلة، فعمدت الشركة إلى عقد ورش عمل مع كبار السن، للتعرف أكثر إلى حساب «الدرور» وتحويل كلامهم لشيء تقني ذكي يفهم من خلاله الجيل الجديد فكرة هذه الحسابات. وقد حاولت الشركة من خلال ابتكارها للتطبيق عمل تنبيهات يتم إرسالها من خلال التطبيق تلقائياً عن الدُّر والحسابات المتوافقة مع اليوم، إلى جانب ربط التطبيق بهيئة الأرصاد والمواقع المتخصصة بالرياح والبحر».

الفن كوسيلة للتعريف بحسابات «الدرور»

التراث الإماراتي ومفرداته المجتمعية جزء لا يتجزأ من اشتغالات الفنان والنحات الإماراتي مطر بن لاحج، إيماناً منه أن الفنان هو ابن بيئته. لطالما حملت أعمال الفنان الإماراتي مطر بن لاحج طابع الخصوصية ضمن مفردات الذاكرة الشعبية والثقافية، وعمله الأخير «الدرور» بطول 5 أمتار ويزن 400 كيلو جرام من النحاس والحديد وهو عبارة عن آلة حساب فلكي قديم كان يستخدم في الماضي في الإمارات ومنطقة الخليج. وينتمي العمل إلى فئة الفن في الأماكن العامة في إمارة دبي وتحديداً في منطقة الشندغة. وقد أكد الفنان مطر بن لاحج على قيمة العمل الفني من منظور ثقافي وإنساني، إذ لا بد أن يقترن بحضوره وأهميته في حياه الناس في المجتمع؛ وبهذا

مطر بن لاحج

فإن «تقويم الدرور» يأتي في مقدمة تلك التقنيات التي كان يعتمد عليها بشكل كبير في الماضي، وإدراجها اليوم ضمن مساحات فنون الشارع أو الفن في الأماكن العامة هو جزء من التعامل الإبداعي المستحق مع التراث ومفرداته.

أدب «الدّرور»

لا بد من الإشارة إلى دور الأدب في إبراز التجربة المحلية المبتكرة في حسابات الدرور بمحمولاتها الرياضية والفلكية عبر توثيقها نثراً كان أم شعراً، وإطلاقهما معاً في آن خارج الحدود المحلية من خلال ترجمة هذه الأعمال إلى أهم اللغات السائدة في العالم. وإبراز دور النشر في استقطاب محتوى الفضاء والفلك للمؤلفين وأصحاب الكتابة الإبداعية، كما يأتي الإعلام كوسيلة في إخراج المحتوى الفلكي بأشكاله المتنوعة والمتمثلة في التقارير والدراسات والأبحاث. وتجدر الإشارة إلى أهمية التوقف عند بعض الحكايات والرموز والعناصر التراثية والمعتقدات الشعبية في مأثورات الجزيرة العربية المتعلقة بـ «الدرور» في الأرصاد الجوية عند الأجداد، ونجوم القيظ وسهيل كونها بوصلة ربانية وحساباً فلكياً مهماً لأهل المنطقة وملهماً للأدباء والكتاب والباحثين . فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك الكثير من الأمثال الشعبية والأبيات في الشعر النبطي نظمت من قِبل شعرائها في «الدرور» وذكروا عن الطقوس المتنوعة في الجزيرة العربية والخليج، بعضها قيل بصيغ الدعاء بأن يحفظهم الله من شرور البحر وتقلبات الطقس وأن يوفقهم للرزق الوفير وأن يعودوا سالمين لأهاليهم، وبعضها أراجيز تحدد مسارات النجوم واتجاه الرياح، وبعضها لتحديد المواقع وإثبات الطرق والمسافات ومواعيد الماء والجفاف وفصول الرحيل أو البقاء.

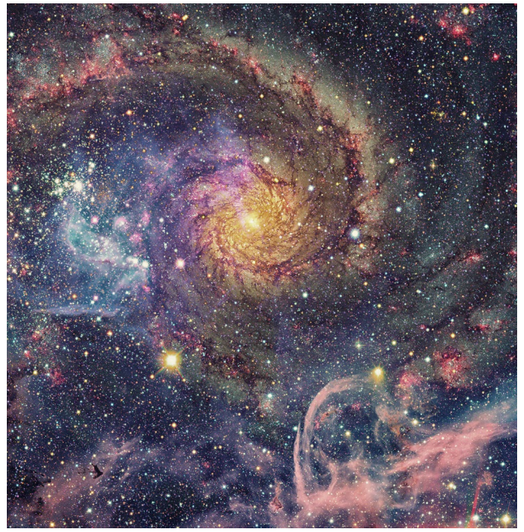

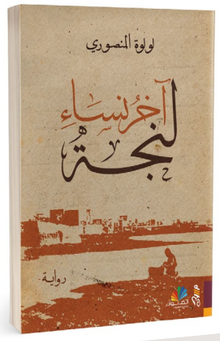

تجربتي في توظيف «الدرور» عبر الرواية

يحضر حساب «الدُّرور» بشكل واضح عبر الفصل السابع من رواية اجتماعية نسجتُها قبل أكثر من عشر سنوات، من خلال حوار الحفيدة مع الجدّة التي ما زالت تقيس الأرض والسماء وارتعاشات السحاب بحدسها وبما حفظته من حسابات الأجداد وتقويمهم الذي تراه أكثر حكمة ودقة من تقويمنا نحن أبناء الحياة المعاصرة، إلى درجة أنها تصل إلى مرتبة التعصب أحياناً لحساباتها الفلكية والاستهزاء بما هو مطروح في التقاويم الميلادية ومتداول بين أفواه المتحدثين عن علوم الفلك والأبراج. وأترك القارئ مع أحد المقاطع المقتبسة من الرواية والمعنية بمضمون المقال:

(إذا طلع سهيل.. لا تأمنْ السّيل)..

تستبشر رزيقة معلنة الفرح كلما تقارب وجه نجم سهيل جنوب السماء، متهللاً بوجهه ومباركاً، وباعثاً تجلّيه عبر (هبايب سهيل) الرياح النحيفة التي تهب في الفجر غالباً، لتعلن اقتراب موسم هجرة الطيور وعودة الغيوم وبشارات المطر والحصاد. وكنت أفرح، لأن نجم سهيل يعلن طرد موسم لعبة المولدات الكهربائية التي يحلو لها الانطفاء الجائر على قريتي أيضاً. وكحال جدتي عند تبرعم كل موسم، لا تؤمن بمصداقية التقويم الورقي الجداري المعلق، (هذا تقويم عيال المدارس) تحركه هازئة، ثم تبدأ بحساب تقويم عيال البحر، «الدّرور»، فتقسم السنة إلى ثلاثة، وكل عشرة أيام منها تسمى «درّاً». على غير فهم وإدراك جيد مني، تجاهد جدتي في شرح هذه الحسابات الفلكية التي ابتكرها أهل الخليج في الماضي، حيث نظموها بطريقة معينة ووزعوها على أيام السنة لتساعدهم في الزراعة والغوص ومعرفة مواسم الحصاد والصيد والكثير من الأخبار الجوية الأخرى.

لا تزال هي تحفظ وتستذكر هذه الحسابات الفلكية، وتستعيدها عندما تهل كل علامة طقس، ونبوءة جوية». رواية «آخر نساء لنجة»، لولوة المنصوري، ص 139 ■

باحثة وروائية إماراتية

القيمة الفنية والتراثية لمعجم الدرور وطوالع النجوم في الشعر النبطي الإماراتي

أحمد عبد القادر الرفاعي

حسابات الدرور هي حسابات فلكية ابتكرها أهل الخليج في الماضي، ونظموا من خلالها بطريقة فريدة أعمال الزراعة والغوص ومعرفة مواسم الحصاد والصيد والكثير من الأخبار الجوية الأخرى، و«الدرور» حساب فلكي قديم في دولة الإمارات العربية المتحدة، يعتمد على حساب أيام السنة في شكل عشري يقسمها إلى (36) قسماً، والقسم الواحد يتكون من عشرة أيام عرف بـ «الدر» ويبدأ هذا الحساب بطلوع نجم سهيل عند الفجر في منتصف شهر أغسطس من كل عام في (15 أغسطس)، ويعرف كل درب المجموعة العشرية التي ينتمي إليها، فيقال: (العشر والعشرين والثلاثين.. هكذا إلى المئة، ثم تبدأ المئة الثانية) (العشر والعشرين والثلاثين... إلخ).

ولقدم الذاكرة الشعبية وبالتجربة والملاحظة فقد سجلت لنا ما يرتبط بهذا النظام من تغيرات في مظاهر الطبيعة والحياة، وأفرزت لنا معجماً أدبياً بمفردات ومصطلحات وتراكيب خاصة بهذا الابتكار التراثي المتميز، وقد تناولها الشعراء في قصائدهم بصور مؤثرة ذات قيمة فنية ومجازية وبيانية أغنت الإبداع الأدبي في الشعر الشعبي في الإمارات، وفي الوقت نفسه دخلت في صياغة المثل الشعبي الدارج على ألسنة الناس لدلالات معينة تستخدم في أوقات وحالات ومواطن محددة.

وفيما يلي شرح وتعريف لمصطلحات الدرور والتقويم الخاص بها وكل ما يرافقها من ذكر مطالع النجوم ومواسم الرياح لنتمكن من فهم القيمة الفنية والتراثية لورودها في الشعر النبطي والأمثال الشعبية في الإمارات.

در النثرة: ويصادف اليوم الأول من در العشرة، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 24 أغسطس، في المنزلة الثانية من نجم الأسد ونجم السنبلة، يبدأ نوء الكلبين، يتسم بالحرارة المرتفعة والرطوبة العالية، ويظهر فيه نجم سهيل.

در الطرفة: ويصادف اليوم الأول من در العشرين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 03 سبتمبر، ويعرف بنجم السنبلة، وفيه دلوك نجم سهيل، واعتدال الجو ليلاً.

در الطرفة ودر الجبهة: ويصادفان اليوم الأول من در الثلاثين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 13 سبتمبر، ويعرف بنجم (السنبلة)، تهب رياح السهيلي الجنوبية المحملة بالرطوبة، آخر درور فصل الصيف.

در الجبهة ودر الزبرة: ويصادفان اليوم الأول من در الأربعين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 23 سبتمبر، يعرف بنجم (السنبلة)، تكره السباحة في الصيف وينتهي موسم الغوص (قديماً).

در الزبرة ودر الصرفة (سمي بالصرفة لانصراف الحر): ويصادفان اليوم الأول من در الخمسين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 03 أكتوبر، دخول الأصفري ويتساوى الليل مع النهار، يعرف بنجم (الميزان).

در الصرفة: ويصادف اليوم الأول من در الستين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 13 أكتوبر، ويتميز باعتدال ملحوظ في الحرارة وانتهاء موسم السباحة في البحر، ورياحه معتدلة السرعة تعرف (بالأكيذب).

در الصرفة ودر العوى: ويصادفان اليوم الأول من در السبعين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 23 أكتوبر، دخول فترة الوسم، (وسمي بذلك لأن المطر الهاطل في هذه الفترة يوسم «من الوسم» الأرض، فينبت الزرع ويزدهر)، ونشعر بالبرد وتزيد فيه الأنفلونزا ويبدأ موسم الأمطار.

در العوى ودر السماك: ويصادفان اليوم الأول من در الثمانين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 02 أكتوبر، وهو في نجم يعرف بنجم (العقرب)، فترة موسم الردة سابقاً، (موسم صغير للغوص)

در السماك ودر الغفر: ويصادفان اليوم الأول من در التسعين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 12 أكتوبر، وهو في نجم يعرف بنجم (العقرب)، بداية لبس الملابس الشتوية، تحدث فيه ضربة الأحيمر أو اللوحيمر أو اللحمير، عواصف قوية وغير متوقعة ومتغيرة الاتجاه.

در الغفر: ويصادف اليوم الأول من در المئة، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 22 نوفمبر، وهو في نجم يعرف بنجم (القوس)، يختفي الأحيمر في يوم يسمونه خفوق الأحيمر أو غروب الأحيمر، يهيج البحر ويرتفع الموج.

در الغفر ودر الزبانا: ويصادفان اليوم الأول من در العشرة، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 02 ديسمبر، فترة هطول الأمطار، وانخفاض ملحوظ في درجات الرياح.

در الزبانا ودر الإكليل: ويصادفان اليوم الأول من در العشرين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 12 ديسمبر، دخول المربعانية الشديدة البرودة، وتستمر لمدة أربعين يوماً وبداية موسم سقوط الأمطار.

در الإكليل ودر القلب: ويصادفان اليوم الأول من در الثلاثين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 22 ديسمبر، وهو في نجم يعرف بنجم (الجدي)، تكون البرودة شديدة فيبدأ لبس الملابس الشتوية الثقيلة.

در القلب: ويصادف اليوم الأول من در الأربعين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 01 يناير، وهو في بداية نجوم الشتاء، ويعرف بنجم (الجدي)، ظهور نجم الأحيمر، وفيه أقصى طول لليل، وأقصر فترة للنهار، تبدأ أمطار الوسم، ذروة موسم الأمطار، أربعينية المربعانية.

در الشولة: يصادف اليوم الأول من در الخمسين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 11 يناير، دخول نوء الشولة، فتكون البرودة على أشدها.

در الشولة ودر النعايم: يصادف اليوم الأول من در الستين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 21 يناير، دخول برد البطين الشديد البرودة. به رياح شمالية غربية متوسطة السرعة وبرودة شديدة.

در النعايم ودر البلدة: يصادف اليوم الأول من در السبعين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 31 يناير، يدخل برد الأزيرق في آخر أربع أيام من السبعين، والذي يجعل الجسم يزرق بسبب شدة البرودة، أمطاره خفيفة وجوه دافئ، وهو في نجم يعرف بنجم (الدلو).

در البلدة ودر الذابح: يصادف اليوم الأول من در الثمانين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 10 فبراير. برد الأزيرق، أمطاره غزيرة وبرودته شديدة، وهو في نجم (الدلو).

در الذابح: يصادف اليوم الأول من در التسعين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 20 فبراير، فيه برد عقرب السم وعقرب الدم ومدتهما أسبوعان، والسم دلالة على البرد الشديد؛ إذ إن بردها يقتل كما يقتل السم، وتعرف عند العرب باسم سعد الذابح، والدم دلالة على البرد الخفيف؛ إذ إن بردها يدمي ولا يقتل، وتعرف عند العرب باسم سعد بلع، وهو في نجم (الدلو).

در الذابح ودر بلع: ويصادفان اليوم الأول من در المئة، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 01 مارس، دخول برد عقرب الدسم، نهاية البرد وبداية الدفء، الدسم للدلالة على الربيع، وعن حمل المواشي للشحم تزامناً مع قدوم فصل الربيع، وتعرف عند العرب باسم سعد السعود. وهو في نجم (الحوت).

در بلع ودر سعود: يصادفان اليوم الأول من در العشرة، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 11 مارس، دخول الربيع ويجري الماء في عود الشجر. تهب على المنطقة هبوب تسمى هبوب النعايات، أو السبع النعايات (كل نعاية تستمر لمدة أيام عدة ومن ثم تبدأ نعاية أخرى). والجو دافئ، والرياح شمالية قوية، وهو في نجم (الحوت).

در السعود ودر الأخبية: يصادفان اليوم الأول من در العشرين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 21 مارس، يدخل فيه برد العجوز أو الحسوم، ويتساوى فيه الليل والنهار، مع استمرار هبوب النعايات، وهو في بداية النجم الأول من نجوم الربيع ويعرف بنجم (الحمل).

در الأخبية: يصادف اليوم الأول من در الثلاثين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 30 مارس، في بعض السنوات يظهر برد يعرف ببرد بياع الخبل عباته، وهو في نجم (الحمل).

در الأخبية ودر المقدم: يصادفان اليوم الأول من در الأربعين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 10 إبريل، نهاية الربيع. وتبدأ رياح الحميم أو التي تسبق السرايات، فيها رياح شديدة، وهو في نجم (الحمل).

در المقدم ودر المؤخر: يصادفان اليوم الأول من در الخمسين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 20 إبريل، موسم غلّاق السفن، (سفن الغوص قديماً)، وبداية الحر ولبس الملابس الخفيفة، وهو في نجم (الثور).

در المؤخر ودر الرشا: يصادفان اليوم الأول من در الستين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 30 إبريل، احتمال أمطار السرايات (الروايح) في المساء بسبب تغير حالة الجو، وتهب فيه رياح قوية وغير متوقعة الاتجاه. وسميت سرّايات لأنها تسري، بمعنى تجري أو تمشي ليلاً، والروايح أو الرايحة هي سحب الصيف العالية والقوية المحملة بالأمطار.

در الرشا: يصادف اليوم الأول من در السبعين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 10 مايو، دخول فترة السرّايات أول الكنة، وهي غياب نجم الثريا لمدة أربعين يوماً، تصاحبه عاصفة قوية وغير متوقعة الاتجاه.

در الشرطين: يصادف اليوم الأول من در الثمانين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 20 مايو، هبوب رياح شمالية تسمى بارح المشمش. وفترة غياب الثريا، وهو في نجم (الجوزاء).

در الشرطين ودر البطين: يصادفان اليوم الأول من در التسعين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 30 مايو، نهاية فترة الأمطار وبداية موسم السباحة في البحر، فترة غياب الثريا.

در البطين ودر الثريا: يصادفان اليوم الأول من در المئة، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 09 يونيو، تهدأ الرياح الشمالية لفترة وجيزة لظهور نجم الثريا، رياح شمالية غربية متوسطة السرعة.

در الثريا ودر الدبران: يصادفان اليوم الأول من در العشرة، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 19 يونيو، تهب رياح البوارح ظهراً محملة بالغبار الذي يتسرب ليلاً. وهي رياح شمالية غربية متوسطة.

در الدبران: يصادف اليوم الأول من در العشرين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 29 يونيو، أقصى طول للنهار وبدء قصر الليل وهبوب رياح بارح العنب.

در الدبران ودر الهقعة: يصادفان اليوم الأول من در الثلاثين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 09 يوليو، استمرار رياح البوارح الشمالية المغبرة وهبوب رياح السموم.

در الهقعة ودر الهنعة: يصادفان اليوم الأول من در الأربعين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 19 يوليو، نهاية البوارح وتقل نسبة الغبار في الجوّ، وتكون الرياح شمالية غربية متوسطة، وهو في نجم (السرطان).

در الهنعة ودر الذراع: يصادفان اليوم الأول من در الخمسين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 29 يوليو، الباحورة أو كلة القيظ وبداية الرطوبة في الجو، وهو قمة القيظ؛ لذا يندر فيه المطر بسبب حرارته المرتفعة وجفاف أجوائه.

در الذراع: يصادف اليوم الأول من در الستين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 08 أغسطس، رطوبة شديدة في الجو وحرارة عالية، تعرف بفترة الفراق، وفيها يظهر نجم سهيل، وهي من 01/08 ولغاية 14/09.

در الذراع ودر النثرة: يصادفان اليوم الأول من در السبعين، ويستمر لمدة عشرة أيام، لغاية 08 أغسطس، نهاية الدرور وتتصف هذه الفترة بالرطوبة. وقد انصهر الشعر النبطي في دولة الإمارات العربية المتحدة منذ نشأته ببيئته وطبيعته وبعناصرها المتنوعة الحسية والمعنوية كالناقة والرحلة والرمال والأطلال والخيل ومطالع النجوم والدرور وغيرها، وقد كان للدرور ومطالع النجوم حضور متنوع الدلالات على مر الأجيال المتتالية، ولشعراء الإمارات علاقة مميزة مع مسميات الدرور وطوالع النجوم ورياح المواسم، وقد أصبح لدينا مخزون هائل من المعاني والصور والدلالات والرموز والإشارات، ومنهم الشاعر محمد الشريف، يقول:

توادعنا ودمع العين
بفروقه مخايل سيل
عسى داره من الوسمي
تزاغيها بروق «الياه»
يلي من نبت من حياه

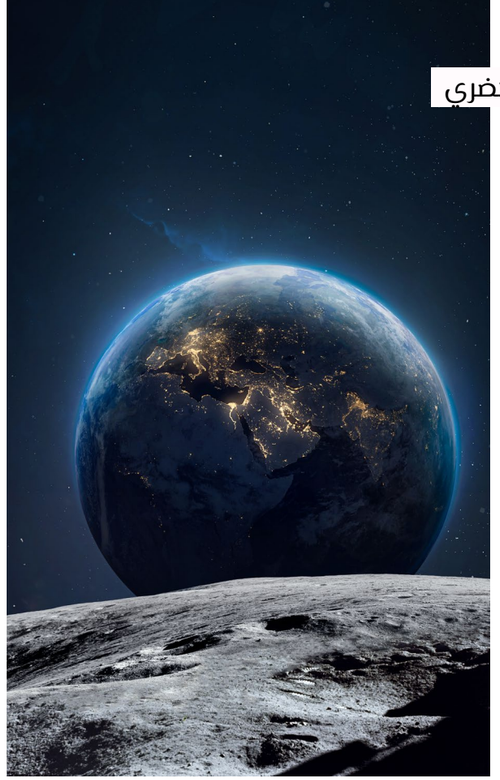

ويبطـــي مـــن غنـــاه يســـيل
لـــه الـــرواد رحالـــه
وكـــلّ مـــن البعـــد ينـــصاه
وصـــوت الزاجلـــي غنـــى
علـى غصـــن طـــروب يميـل

وللشاعرة الشيخة صنعا بنت مانع آل مكتوم (لمياء دبي) قصيدة تذكر فيها «نجم الياه» وكيف أن الساهر ينظر له في وحدته ليلاً، بينما الناس نيام، والقصيدة بعنوان (لي نامت الدلهان نومي فلا طاب):

سهران ليلـي كنّيـه وسط محـراب
وانظر نجـوم «الياه» عسى أنها تجيب
لين اختفى نجـم الصبح عني وغـاب
وأصفقـت كفـي من فراق الحبايـب

وللشاعر محمد بن ذبيان قصيدة يرد فيها على قصيدة لمياء دبي:

ياضي سماهـا طل مِ «الياه» ذنّـاب
شـع ولمـع لي يرقبونـه حساسيـب
بارصـاد جـوّ مـا بهن بعـض الاعطاب
ولا خلل مـرّت عليهـن تجاريـب
ترقـب مدار الشهـب هل كيف ينساب
بين الكواكـب عاليـات المراجيـب

وتقول الشاعرة عفراء بنت سيف المزروعي:

أنـا ونّيـت ما لـي مـن يثيبـي
محبـي في الهـوى طـول عتابـي
وصوبنـي بسهـم لـه عطيبـي
تعمدّنـي بسهـمه مـا خطابـي
لـو عالجـت جرحـي مـا يطيبـي
هجـر وصلـي وكـدر لـي شرابـي
ارابـي سهيـل مع نجـم رجيبـي
ولا اقـوا الصبـر مـن طـول الغيابـي

وتقول الشاعرة عوشة بنت خليفة السويدي (فتاة العرب) في قصيدة ترد بها على قصيدة لصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم:

هلا به عد نسناس «الصبـا والمطلعي والياه»
ويهلا عد مويات البحـر عبر الغبيب السـود
ويهلا عد ما يرعى خشيـف الريـم في مفلاه
وخفق الطير في طرد الحبارى منحدر وصعـود
ويهلا عد ما يسجع حمـام الراعبـي بغنـاه
وعد النقش من حنا الروايب في كفوف الخود

وكثيراً ما تكون رياح الشمال، محملة بالغبار والأتربة، حتى إنها في بعض الأحيان تعمل على حجب الرؤية، وانخفاض مستوى الرؤية على مستوى الأفق، ومن أشهر رياح الشمال هي شمال العشر وتأتي في الشتاء ويقال باللهجة المحلية «نقعتْ الشمال»، يقول الشاعر أحمد الكندي:

تذكرنـي بمـا هو كـان غالـي
منـازل بيـن هذيـك الرمالـي
مراسمهـا بعـد الأيـام عفيـت
عفـت آثارهـا ريـح الشمالـي

وفي ذكر أربعين المريعي، يقول شاعر مجهول:

إن هبـت كـوس المريعانـي
أثـر علـى قلبـي مهبـه

وفي ذكر رياح الرايحة التي تهب من مطلع الثريا أي من الجنوب، كما تهب من مطلع نجم كليبين، وهو من الجنوب أيضاً، يقول الشاعر سالم بن فارس المزروعي:

يـا عـزّام الروايـح
مَ ابغـي هـواك ايجـود

يـوم تخلّـي طرايـح
راس الجميـم السـود

وقد اقترنت رياح السهيلي بنجم سهيل، وتهب بعد ظهوره، وسميت بهذا الاسم لهبوبها من اتجاه نجم سهيل، يقول الشاعر مبارك بالسليمي العامري:

يـا سهيلـي الجنوبـي
يالـلـي علـيّ تهـب
عطنـي علـى مطلوبـي
كـان آوروم اصطلـب

ومن الرياح القوية العاتية «رياح الأحيمر» التي تحدث أضراراً كبيرة في البحر، وتنتهي بدخول در الثلاثين، وفي وصفها يقول الشاعر يعقوب الحاتمي:

أشغلنيـه لحـساب حسّيـب
قالوا الأحيمـر طـاف مينـاه

ومن الرياح المرتبطة بمطالع النجوم رياح النعشي، وسميت بهذا الاسم لقدومها من نجم النعش، وهي رياح شتوية غالباً ما تكون نشطة وسريعة وباردة، يقول الشاعر عتيج بن قنون الفلاسي:

إنعشـي والكـوس مـا دوّق
مايتـه تقصـف تقصافـي

وكذلك رياح الياهي، وجاءت التسمية لقدومها من نجم الياه، يقول الشاعر محمد المطروشي:

أعداد نسنـاس الهوى هب مِ اليـاه
برق يسـوق الودق والسحـب جاريـه

ورياح العيّوق القادمة من قبل نجم العيّوق أيضاً، يقول الشاعر محمد الكوس:

يـا ونّتـي ونّـات مكسـور
ونّـة لذي لاحـم علـى حـد
طبعه ظـلام ومايـه قصـور
عاصـوف مِ العيـوق مِ اشتـد

ويقول الشاعر مبارك بالسليمي العامري واصفاً رياح (أربعين لصفري):

سحـب تـدنّ رعـوده
ببروقـه ومطـره
يـا مـن مقاصـي جـوده
طشّـه مـا نقهـره
تنثـر مـن عـدوده
قبـل تغيـب صفـره

وكذلك رياح الستين، والتي سميت باسم در الستين، وغالباً ما تأتي الستين مع نهاية فترة الغوص المسمى بـ «القفال» ويلهج البحارة والأهل فرحين بنهاية فترة الغوص الطويلة، يقول أحد الشعراء المجهولين في رياح الستين:

مرحبـا الستيـن ييتنـا
مرحبـا بـك مرحبـا وحيّـه
مـن قواض الغـوص فكينـا
واستـوى لي فِ البحـر حيّـه
قالـت: ابشـر يالمسيكينـا
والسنـه بنجـدم اليـّه

وفي رياح النقعة يقول الشاعر سعيد بن خلفان الحتاوي:

جـار ورماني في بحـر طوفـان
فـي مـوي طامي وناقـع الدالـوب ■

كاتب وباحث من سورية

المصادر والمراجع:

1 - الدرور في دولة الإمارات، علي سلطان المرزوقي، مداد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2018.
2 - سعيد بن عتيج الياملي، فروسية الحب والشعر، مؤيد الشيباني، مؤسسة سلطان بن عويس الثقافية، الطبعة الأولى، 2020.
3 - القيم الاجتماعية، عبد الله بن دلموك، مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، الطبعة الأولى، 2022.
4 - الرياح والأهوية في التراث الشعبي الإماراتي، فهد علي المعمري، مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، ط 2، 2016.
5 - ديوان السماحي، خميس بن حمد السماحي، جمع وتحقيق: راشد أحمد المزروعي، سلسلة شعراء من الصحراء، الإمارات العربية المتحدة، 1995.

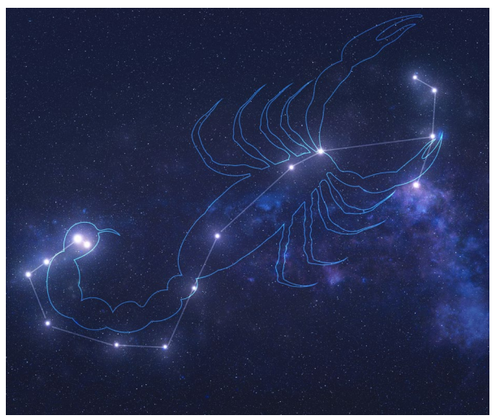

«درور» شعرية تحمل البشرى والفأل الحسن

«سهيل» أسطورة فلكية تثير مخيلة الشعراء

الأمير كمال فرج

علم الفلك من أقدم العلوم، وعلى مرّ الزمن كانت النجوم مصدراً غنياً بالمعلومات، وفي عصور قديمة خالية من سبل الرصد الحديثة، استخدم الإنسان النجوم في توقّع تغييرات الطقس، التي تؤثر في نشاطاته الاقتصادية، كالزراعة والحصاد، والصيد. وفي هذا الإطار ابتكر أهل الإمارات والخليج العربي الدرور، وهو حساب فلكي يقسّم العام إلى أقسام، كل منها له 10 أيام متشابهة في الصفات الطبيعية والخصائص المناخية ويسمى «درّ»، وتقسم السنة إلى 36 دُرّاً، ويبدأ هذا الحساب بطلوع نجم «سهيل» خلال النصف الثاني من أغسطس، وعن طريق هذه النجوم كان بوسعهم توقّع أحوال الطقس. وكان العرب على مرّ التاريخ يستبشرون بطلوع النجم «سهيل»، الذي يبعد عن الأرض مسافة 313 سنة ضوئية، ويُعدّ ثاني ألمع النجوم في الليل بعد الشعري اليماني، لكن لمعانه يخفت بسبب بعد مسافته.

وسُهَيْلٌ في القاموس: نجمٌ من النجوم اليمانيَّة عند العرب، وكلمة سهيل تعني الوسيم والنبيل واللامع، وهي صفات لذاك النجم البراق اللّامع الذي يظهر مع أواخر الصيف جهة الجنوب»[1]. ولم يحظَ نجم بالاهتمام عند العرب مثلما حظي «سهيل»، ففضلاً عن بشائر الخير التي يحملها، والتي تنعكس إيجاباً على حياة الإنسان، دخل الثقافة الاجتماعية بكل ما تتضمنه من حكم ومعتقدات وأمثال.

سهيل في الشعر العربي

الشعر ديوان العرب، وثّق على مر التاريخ عاداتهم وتقاليدهم، وكان من الطبيعي أن يوثق علاقتهم بالنجوم وما يرتبط بها من ظواهر لها أثر في حياة الناس، وخاصة نجم «سهيل» الذي ارتبط دائماً في الذاكرة بالخصب والنماء.

- يتأمل «جُحدُر المَحرِزِي العُكَلي» في الطبيعة، ويتطلع إلى ضوء رآه في الطريق، متسائلاً عن كنه هذا الضوء.. هل هو نجم سهيل؟ أم البرق اليماني؟، وهو الضوء المبهر الذي يظهر فجأة في قلب السماء من ناحية اليمن، ويكشف بذلك عن نفسه الحزينة التوّاقة إلى الضوء والفرح، يقول:

«رَأَيــتُ بِـذي المُجـازَةِ ضَوءَ نـارٍ
تَـلَألَأُ وَهيَ نازِحَـةُ المَكـانِ
فَشَبَّـهَ صاحِبـايَ بِهـا سُهَيـلاً
فَقُلـتُ تَبَيَّنـا مـا تَنظُـرانِ
أَنـارٌ أَوقِـدَت لِتَنَوّارِهـا
بِـدَت لَكُمـا أَمِ البَـرقُ اليَمانـي»[6]

- ويقول «النابغة الجعدي»:

«فبـاتَ عذوبـاً للسمـاء كأنـه
سهيـلٌ إذا ما أفردتـه الكواكـبُ»[7]

- ويقول «عبد الله بن الدمينة»:

«أَلَا أَيُّهَـا الرَّكـبُ الذِيـنَ دَلِيلُهُـم
سُهَيـلٌ أَمَـا مِنكُـم عَلَيَّ دَلِيـلُ
أَلِمُّـوا بِأَهـلِ الأَبرَقَيـنِ فَسَلِّمُـوا
وَذاكَ لأَهـلِ الأَبرَقيـنِ قَليـلُ»[8]

- وقال «أبو العلاء المعري» في سفر:

«لا تحسبـي إبلـي سهـيلاً طالعـاً
بالشـأم فالمرئـي شعلـه قابـس»[9]

- وعندما لسعت «مالك بن الريب» المولود من العصر الأموي، أفعى، أحس بالموت، فطلب من أقرانه رفعه عالياً، ليتمكن من رؤية نجم سهيل، وقال:

«وَلمـا تراءت عِنْـد مـرو منيتـي
وخـل بهَـا جسمـي وحانت وفاتيـا

أَقُــولُ لأصْحابــي ارْفعونــي لأنّنــي
يَقِرّ بِعَيْنِــي أن سهَيــلٌ بَدَا لِيــا»[10]

- ويعبّر «الحطيئة» عن يأسه، فقد انتظر خير الأحبة فطال انتظاره، ويرمز للخير بسهيل وكوكب آخر هو الشعري، النجم الوحيد . باستثناء الشمس، الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، ويقول:

«وآنيــت العــشاء إلى سهــيلٍ
أو الشعــري فطــال بــي الإنــاء»[11]

- ويسخر عمر بن أبي ربيعة عندما تزوّجت محبوبته «الثريا» شخصاً يدعى «سهيلاً»، ويقول:

«أَيُّهــا المُنْكِــحُ الثُّرَيّــا سُهَيْــلاً
عَمْــرَكَ اللــهَ كَيْــفَ يَجْتَمِعــانِ
هــيَ شأْميَّــةٌ إذَا مــا استَقَلَّــتْ
وسُهَيْــلٌ إذَا استَقَــلَّ يَمــانِ؟»[12]

- وفي العصر الحديث، استلهم بعض الشعراء الدرور كمصطلح ومدلول، ومنهم «منصور جاسم الشامسي» الذي كتب قصيدة بعنوان (ممالك «الدُرور» والراية عاطفية)[13].

سهيل في الشعر النبطي

منذ زمن طويل ولنجم سهيل حضور في الثقافة الاجتماعية البدوية، بدا ذلك في الشعر النبطي بشكل أشمل وأصدق، وهذا ليس غريباً، فالثقافة الشعبية الأسرع في التعبير عن البيئة المحلية بما تتضمن من عادات وتقاليد. يقول «جويبر الصايغ» وهو من الشعراء القدامى الذين عاشوا في القرن التاسع عشر في ونته:

«يا سهيلي الينوبي
يلي تجي زفزاف
بردك تلى لجنوبي
لو له رضفت لحاف»[14]

- ويعبّر «المايدي بن ظاهر» (1781 م - 1871 م) - العالِمْ بأمور الفلك - عن سعادته بقدوم سهيل، ويصف بعض الظواهر الطبيعية التي ترافقه مثل موسم الصفري، الذي يتحسن فيه الطقس، ويقول:

«وجات الصفاري وزل المقيض ...
وبانت غبيشه لواضي اسهيل
وعاد البدو للمفالي تشوم ...
ودنو إلشوقي عبين ثليل
حسين التهادي بلضعان شادي ...
والى سمع حادي تعد المجيل
مديخ براسه صليل اليراسه ...
ولا يرخي باسه إلمت الجديل»[15]

- وفي قصيدة أخرى يدعو «ابن ظاهر» للديرة بسقوط الأمطار الغزيرة المصحوبة بالريح القادمة من ناحية مطلع نجم

«سهيل»، وهو ما يسمى «الهبوب اليماني»، يقول:

«سقــا اللــه دارْ ريّــانْ الشّــباب
مــن الغيــم الهميــم المسفهانــي
أغــرْ المــزنْ مســودْ الحْيــاب
وتسمــع رعْدهــا م البعــدْ دانــي
ثقيــل غيْمهــا وشْــل السّحــاب
وداقلْهــا الصّبــا شرْتــاه وآنــي
شعيل البــرق من حــدْ المغيــب»[16]

- ويسرد «سالم بن سعيد الدهماني» الحكاية الإماراتية الشعبية المحلية «العقيلي»، ويبدأ بالترحيب بالرياح العليلة التي هبّت عقب طلوع النجم سهيل، ويقول:

«يا مرحبــا بشرتــا النسيم اللّي مطــل
عقــب السهيلــي صلــبّت سرّايــه
وذْكــرت زين العــود لي زاهــي بْدلّ
والمغربــي من تحــت ثوب الصايــه
والبارحــه ونّيــت ونّــات الطــفل
قــزّرت ليلــي وونّتــي مخفايــــه»[17]

- ويكثر «عيسى بن سعيد بن قطامي المنصوري» من الصلاة على النبي، مستخدماً البلاغة العددية، التي تؤكد المعنى وتقوّيه، ضارباً المثل بظواهر عددية مثل عدد الدقائق والشهور، ورياح سهيل الكثيرة اللطيفة أيضاً، يقول:

«صــلاة ربّــي عــدّ ماضي ليالــه
وعــدّ الدقايــق مع نجــوم الليــل
وعــدّ الشهــور وعدّ خــطّ دالــه
واعــداد ما نسنــس هبــوب سْهيــل
على النبــي المبعــوث بأشــرف رسالــة
شفيعنــا يــوم الحشــر والويــل»[18]

- ويطلق على نجم سهيل أسماء منها: «سهيل اليماني» أو «البشير اليماني»، لأنه يقع في النصف الجنوبي من القبة الفلكية،

وكان العرب يعتبرون سمت مكة وسطاً فما وقع شمالها فهو شامي نسبة للشام، وما وقع جنوبها فهو يماني نسبة لليمن، وفي ذلك يقول «سلطان بن وقيش الظاهري»:

«مرحبــا هــبّ ذاعــذاع اليمانــي
أو عدد مــا نــاح طيــرٍ الغصانــي
أو عــدد ما خضّبــوا بالزعفرانــي
ع الخــدود الناعمــه في كل يومــي»[19]

- كتبت «موزة بنت جمعة المهيري» قصيدة تصف فيها هبوب رياح السهيلي القوية «نسبة إلى نجم سهيل» وقد أثارت فيها الذكريات الجميلة، وتصف كيف استقبل الناس هذه الرياح بفرح، حيث سارع البدو إلى الكثبان الرملية يستقون من الماء المنهمر، الذي سقى النخيل والمزارع. تقول:

«هــب السّهيلــي يــابْ ريعــان
يذكّــرْ القلــب العِليلــي
ونّيــت مــا بــي زود نقصــان
يــا غيــر بــي هَيــرٍ طويلــي

بـــــدوٍ تعلّـــــت روس نِجْيـــــان
يسقـــــون م الويـــــل الهميلـــي
مـــن مرعـــدٍ فـــي الليـــل دنَّـــان
مـــن عطْيـــه اللي هُـــب بخيلـــي
بشهـــد يَلَـــن الوقـــت منَّـــان
لـــي يـــاب منســـوع اليديلـــي
غـــرٍ ربـــا فـــي غَرْسَـــة عُـــمان
يسقـــي من البَجْـــس الظليلـــي»[20]

- ويصف «سعيد بن عتيج الهاملي» مقدّمات ظهور نجم سهيل، وما يستتبعه من مظاهر، حيث يسبقه «الصُفري» فيظهر نجم سهيل، وتتراكم الغيوم ويشتعل البرق وتظهر «القنوف» وهي الغيوم البيضاء شامخة مثل الجبال، يقول:

«زْمـــانٍ يصافينـــي بغيـــر مـــودّه
مُصـــــيٍّ ولا فـــي هـــواه حْجيـــل
رشـــوات مـــن يتبـــع بُروقٍ دونهـــا
صيـــفٍ ولا منهـــا يضـــول ضويـــل
عليـــك يا مختـــال برقٍ شامـــي
صْفـــاري إلي بانـــت نجوم سُهيـــل
تنزو عليـــك مـــن المغـــيب رْدايـــم
عليهـــا من يلال البـــروق شْعيـــل
وتْبيـــن في جدْم الكنـــوف شْوامـــخ
بـــــواريٍ جمهـــا جميـــم نْخيـــل
باتـــت وبـــات البرق يزفـــن بينهـــا
كْساها على ثـــوب الســـواد بْنيـــل»[21]

- ويثير تأخر نجم سهيل التساؤل، ويبعث على القلق، وهو ما عبّر عنه «حسين القفيلي» وأسقط ذلك على واقعه بقوله:

«وين أنت نجم سهيل ما تسفـــر الحـــي
أعتمت ونجـــوم الســـماء اللي تنيـــرك
مدري السحايـــب تحجبـــك ما يجي ضي
ولا أختلف ضمن الكواكـــب مسيـــرك
ياللي حفـــرت البيـــر لا تهـــدم الطـــي
احـــذر يطيـــح الطي فـــي جـــال بيـــرك
ينحاس شربـــك ويهمـــج صافـــي المي
وترجع ضوامـــي والـــسبب مـــن حفيـــرك
سبحـــان من يخـــرج من الميـــت الحي
عـــلام ما يخفـــي علينـــا ضميـــرك» [22]

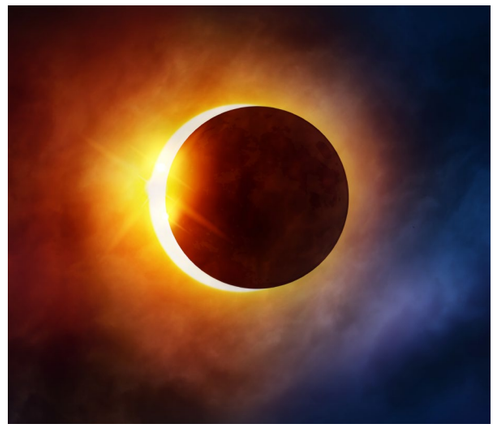

- ويعبّر شاعر عن حالة الترقب التي تصيب الناس، وهم ينتظرون ظهور سهيل، ويعدون ذلك بالأيام، حيث يعتمدون عليه في تحديد مواقيت الطقس وما يترتب عليه من أحوال، يقول:

«على طلعتـــك يا سهيل باقي عدة أيـــام
مواقيت يحسبها هـــل الطيـــر والناقـــة
هل الطير غايتهـــم مداهيل صيد العـــام
وهـــل الذود، نيتهم حيـــا لاح براقـــه»[23]

- ويصف شاعر آخر فرحته وفرحة أهل البر والبحر بظهور سهيل، وما يرافقه من مظاهر جميلة، مثل اكتساء الأرض بالخضار، يقول:

«يا سهيل ما به نجـــم مثـــلك يماريـــك
وسيرتـــك بين النـــاس كـــل ذكرهـــا
تفـــرح بك العربـــان لا حل طاريـــك
وبرجك على بـــرج الثريـــا وأثرهـــا
أغليـــك أنا يا نجـــم وأرقـــب مساريـــك
والأرض مثلـــــي ايتغيـــر شجرهـــا»[24]

نجم الياه

نجم آخر يضاهي «سهيل» في المحبة، وهو «الياه» يقع في الشمال الشرقي، وكان المسافرون يسيرون عليه قديماً ويعرف بـ «نجم الشمال»، وهو النجم الوحيد الذي لا يغيب. تقول «موزة بنت جمعة المهيري» في قصيدة «حيا بياضي» مرحبةً بناقتها «بياضي»، واصفةً ورود الماء في هذه الأجواء الجميلة، والرياح اللطيفة التي صاحبت ظهور نجمي «سهيل» و«الياه»:

«حيـــــا بياضـــي مرحبـــا عـــود
من خاطـــري مـــا هـــب مدَّهـــاه
لمْنَبِّبَـــهْ مـــن سَبْعـــة يْـــــدود
شـــروات نجـــم سْهيـــل واليـــاه
نهـــــــار وردج طـاح ميهـــــود»[25]

- ويرى شاعر أن رؤية نجم «الياه» علامة على ظهور المزن الركامي خاصة في موسم الشتاء، وفي ذلك يقول:

«مـــن ريـــت للياهـــي علايـــم
دور محـــلٍ عـــن محلّـــه
سيـــل المحـــل يـــرث نسايـــم
تحـــدر شوامـــخ مستهلـــه»[26]

- ويمتدح «سالم الجمري» رياح «السهيلي» نسبة لنجم سهيل، حيث يكون قدومها بشيراً لقدوم الربيع والمطر، ويقول:

«يـــوم السهيلـــي طـــاب شرتـــاه
ورّى علـــى جاشـــي مواقيـــد
«بـــي لاهـــف بـــي عـــوق ميفـــاه
بـــي هجـــر بـــي فلاقـــا الأجـــاويد»[27]

- ويعتبر خالد الفيصل «سهيل» علامة على الحب والوصال، وهو ما عبّر عنه في قصيدة «كل ما نسنس» التي غناها محمد عبده، يقول:

«كلما نسنس.. من الغرب هبوب
حمّل النسمه سلام
وان لمحت سهيل في عرض الجنوب
عانق رموز الغرام
لك حبيبٍ ما نسى كلمته دايم عسى
اطلب الله وارتجي صبح يومي والمسى»[28]

- وتبدو خبرة الناس بأمور الفلك وأسماء النجوم والرياح، وتأثير ذلك في حياتهم الاجتماعية من مقارنة «موزة بنت جمعة المهيري، بين «السهيلي»، وهي الرياح الشتوية اللطيفة التي ترافق ظهور نجم سهيل، و«الكوس» وهي رياح صيفية ترتبط بذاكرة البحارة. تقول:

«طاح السهيلي وأبرد الكوس
وقيّلت في غيم وْبرادي
لو انته الحمد منكوس
واقفيت عني بالوكادي
جانه طرالك حد مرخوص
بطوف لو دونه حدادي»[29]

وهكذا احتفى الشعراء النبطيون بنجم سهيل، واستبشروا به، وتعاملوا معه كأسطورة فلكية تستحق الاحتفاء، وعبّروا عن ذلك في درور شعرية حافلة بالصدق، ليخرج النجم - في قصائدهم - من معناه الفلكي، ليكون مرادفاً دلالياً للخير والنماء والخصب والحب والبشرى والفأل الحسن.

ولأن الشعر الحقيقي لا يكتفي بالوصف والرصد الخارجي، نجح الشعراء في توظيف النجم بما يتضمن من المعاني اللفظية واللغوية والفلكية والدلالية، لتقديم سردية شعرية خاصة للذات وللكون. وبالنظر إلى «حجم» الشعر الذي تناول هذا النجم، والمستوى الإبداعي المرتفع فيه، يبرز لنا دور الثقافة الشعبية في إثراء الفنون الإبداعية ومن بينها الشعر، ذلك الدور الذي يتأكد كل يوم ■

باحث في التراث من مصر

الهوامش:

1. قاموس المعاني: www.almaany.com
2. ديوان جحدر العُكَلي: www.aldiwan.net
3. ديوان النابغة الجعدي: www.aldiwan.net
4. ديوان ابن الدمينة: www.aldiwan.net
5. لماذا أغرم الشعراء العرب القدامى بنجم منطفئ؟ د. جلال الخياط، الشرق الأوسط: www.aawsat.com
6. ديوان مالك بن الريب: www.aldiwan.net
7. «زهر الأكم في الأمثال والحكم»، الحسن اليوسي. المكتبة الشاملة. ص 204.

8. ديوان عمر بن أبي ربيعة: www.aldiwan.net
9. ممالك «الدُرور» والراية عاطفية، صفحة منصور الشامسي على فيسبوك.
10. «الرياح والأهوية في التراث الشعبي الإماراتي»، فهد المعمري، مركز حمدان بن محمد، إحياء التراث، 2015.
11. ديوان المايدي بن ظاهر. شيخة الجابري، نبطي للنشر والتوزيع، 2019. ص 17.
12. المصدر السابق نفسه.
13. ديوان الدهماني، سالم بن سعيد الدهماني، د. راشد المزروعي، نادي تراث الإمارات، مركز زايد للدراسات والبحوث، أبوظبي، 2007م، ص 157.
14. ديوان ابن قطامي «عيسى بن سعيد بن قطامي المنصوري»، الدكتور راشد أحمد المزروعي، نادي تراث الإمارات، مركز زايد الدراسات والبحوث، أبوظبي، 2016، ص 146.
15. ديوان ابن وقيش «سلطان بن وقيش الظاهري»، الدكتور راشد أحمد المزروعي، نادي تراث الإمارات، بيت الشعر في أبوظبي، ط 1، 2010، ص 175.
16. ديوان الشاعرة موزة بنت جمعة المهيري، إعداد وإشراف شيخة الهاجري، نادي تراث الإمارات، 2022، الطبعة الثانية، ص 39.
17. «سعيد بن عتيج الهاملي فروسية الحب والشعر»، مؤيد الشيباني، مؤسسة سلطان بن علي العويس، ط 1، 2020، ص 51.
18. مظاهر الدرور في الشعر النبطي، سلوم درغام سلوم، مجلة تراث، العدد 204، أكتوبر 2016، ص 20.
19. «المطر في الموروث الشعبي الإماراتي»، جميع سالم الظنحاني، نبطي للنشر، أبوظبي، ص 67.
20. المصدر السابق نفسه.
21. ديوان الشاعرة موزة بنت جمعة المهيري، إعداد وإشراف شيخة الهاجري، نادي تراث الإمارات، 2022، الطبعة الثانية، ص 56.
22. «المطر في الموروث الشعبي الإماراتي»، جميع سالم الظنحاني، نبطي للنشر، أبوظبي، ص 68.
23. ديوان الجمري، سالم بن محمد الجمري، إعداد وتحقيق الدكتور راشد أحمد المزروعي، نادي تراث الإمارات، مركز زايد للدراسات والبحوث، أبوظبي، 2013، ص 356.
24. «كل ما نسنس» كلمات خالد الفيصل، غناء محمد عبده: www.youtube.com
25. ديوان الشاعرة موزة بنت جمعة المهيري، إعداد وإشراف شيخة الجابري، نادي تراث الإمارات، مركز زايد للدراسات والبحوث، 2022، ص 87.

درور المواسم نسايم وعزايم

محمد نجيب قدورة

إطلالة من نافذة الذاكرة

عندما كنت أغرف من علم أحمد بن ماجد ماء الثقافة العذب تعرفت مفردات لم تكن تخطر على بال حيث «الزام» هو الدور و«الغلق» هو فوات الأوان.

ذلك ذكرني بالمثل العربي (يوم الحصايد بيقول قصايد) و(بعد ما طيرت لعشوش طلع النذل يتصيد) ومن قبل كان شعاري في الحياة: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، وفرق بين أن تكون الأرض عروساً أو أن تكون على عروشها خاوية.

ولأني فلاح من فلاحي فلسطين كانت مواسم الزراعة ترن بساعة الأرض والغيوم والنجوم والرياح، هذا موعد الحرث وذاك موعد البذار وذاك الصيف حين الكرم والزيتون يعتصران وتلك أمثال تقول: (شباط ما له رباط، وآذار أبو الزلازل والأمطار، وأيلول طرفه مبلول، ناهيك عن آب اللهاب، وتلك سحائب الصيف، لكن الصورة المبهجة كانت في قدوم الربيع حيث تضاحك الأرض بمباسم الزهور وتغريد الطيور وشمّ النسيم والرحلات إلى المصطاف والمتربع كقول الشاعر:

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا
وما أحسن المصطاف والمتربعا

أجل هكذا كنت أطلّ من نافذة الذاكرة بتأمل ما يجري في البيت والحي والبلد.

أقول: وفي مجالس جدّي الحافلة بأصحاب التجارب والسرود الشعبية كان لا بدّ من قول أحدهم إذا رأى ما هو مخالف لما اعتاد عليه من أرصاد مألوفة: يا أبا عادل، فيها إن، ومن وقتها أردت فهم ما فيها وتوسعت بي الفكرة إلى معنى يحكى أن. قالت نفسي: «إن» فيها ما فيها يعني خلل المواسم وفساد الجو وتغير المناخ، فما قصدك بـ «يحكى أن»؟ قلت: «يحكى أن» جزيرة العرب كانت خضراء، وأن بادية الشام كانت أرض النخيل، وأن الطريق من رقة الفرات ظلاله توصل إلى الموصل وبغداد، وأنّ أسماء أي مكان بـ(عين) دلالة على ماضي الزمان من وجود ينابيع ومجاري أنهار. قالت عصفورة فكرتي: الخير

علم الدرور هو التقويم للزرع والجني والمتغيرات وأوقات موسم السمك وهجرة الطيور بل إنه تقويم وروزنامة للحركة البحرية ما بين سفر وسفر وهو عند أهل الإمارات مسماه «الدرور» لمعرفة الطقس قبل أن تكون المراصد الفلكية والإعلام المناخي..

الخير قادم يا رجل، تفاءل ستعود جزيرة العرب خضراء بإذن الله، إن السنن الكونية دائماً ما تعيد التوازن الطبيعي فلا تأتي على ما قدّ فات.. دع القلق وابدأ الحياة. قلت: أنا مدرك أن اللحظة الفائتة ليست هي الأخيرة. وما دامت السيرة مفتوحة في السرد التراثي فلا مفر من وعي أرصاد الجو والنجوم والرياح ودورها في حركة المواسم وما فيها من نسايم وعزايم.. قالت نفسي: إنه علم العصور.

علم الدرور

هو التقويم للزرع والجني والمتغيرات وأوقات موسم السمك وهجرة الطيور بل إنه تقويم وروزنامة للحركة البحرية ما بين سفر وسفر وهو عند أهل الإمارات مسماه (الدرور) لمعرفة الطقس قبل أن تكون المراصد الفلكية والإعلام المناخي..

هي طريقة مدهشة للحساب الفلكي تعتمد حساب أيام السنة في شكل عشري يقسمها إلى 36 قسماً والقسم الواحد يتكون من عشرة أيام هي الدرّ (جمعها درور) البداية بطلوع نجم سهيل عند الفجر في منتصف شهر أغسطس ولحساب هذه الحالة الفلكية في هيئة البر والبحر خبرة موروثة في الحياة من خلال متابعة الظواهر الطبيعية التي أشار إليها أحمد بن ماجد بأن التغيرات تحدث من قرن إلى آخر ومن هنا دعا إلى التجريب وعدم التسليم الكلي بما نقل لأن العقل يقول: عِلمُ الأجداد رائع ودليل على عبقرية، إنما هذا لا يمنع من قول (فيها إن) وهنا يكون في هذا المساق فكر فلسفي ما وراثي بأن علم الغيب النهائي بيد الله لا بيد النجم (أبو ذيل) في غيابه عن السماء، مع أنه علامة نجمية يُهتدى بها وإن حدث هذا في سماء الإمارات عام 1881 م على حد تعبير الباحث

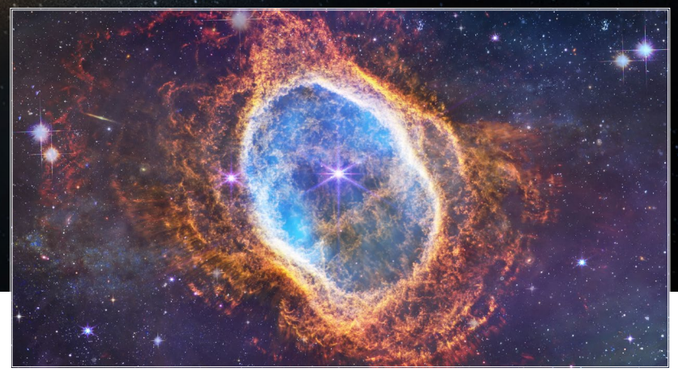

أحمد بن ماجد

فهد المعمري، والجدير بالذكر أن هذا النجم (أبو ذيل) مرتبط الظهور في التوقيت الرمضاني، أعني من هذا القول: صحيح أن القوانين قائمة والسنن دائمة لكن اختلاف بعض الدرور وطوالعها محكوم بالمتغيرات التي تحصل في الربيع والصيف.

توثيقات على خطى التراث والعصر

قالت نفسي: أعرف أن العلم منطلق للتقدم الإنساني الجالب للازدهار الأرضي سواء في العلم الشرعي أو العلم الوصفي، لكن ألا ترى أنّ مفاجآتٍ للطقس والمناخ قد تحدث وتقلب الموازين والمعارف؟ قلت: هذا الذي أشرت إليه، وأزيدك من الكلام بياناً، حيث يحكى أن الناس أرّخوا أحياناً بسنة الثلجة وسنة الطبعة وسنة الفيضان وأولها طوفان نوح. يا نفسي: هذا ما أثار انتباه كتّاب أدب الرحلات، وفجّر قرائح الشعراء وتعلمين أن الشعر ديوان العرب فكيف لا نوثق ما استعدوا له وما تجنبوه وما فوجئوا به من اهتداء بالسحاب والنجوم وحتى هجرة الطيور وهم يفهمون أمثال (سعد السعود والذابح والخبايا...) وما لا يحسب من أيّام.

يقول الماجديّ بن ظاهر:

سنـــــــين تقضي واشهـــر مستعـده
ونـــــوّ تـــلا نوّ وليـــــل يـــــوم
ترفـــع مرفـــوع النـــيا من حشايـــشه
غيـــوب الثريّـــا يبتـــدي بسمـــوم
وباداه سبـــع من بيـــاض وأحمـــر
كســـا روس عـــوّان لهـــا وصـــروم

أما الشاعر سعيد بن عتيج الهاملي فيقول:

عليـــك يا مختـــال بـــرقٍ شامـــي
صفاري إلى بانـــت نجـــوم سهيـــل

فالهيئة الفلكية تشير إلى لمعان سهيل وغيوب الثريا أو طلوعها، حيث على حسابات الدرور تكون مواسم (الجولات) التي يحسب لها نواخذة البحر حساباً، ومثلهم العشاق وهم يعبرون عن حالاتهم النفسية متأثرين بما يدور حولهم كقول الشاعر المبدع علي بن رحمة الشامسي رحمه الله:

هـــب الغربـــي سوايـــب
يـــوم الدجـــى طـــلان
مـــن نسمـــات الهبايـــب
هاجـــت بـــي الأشجـــان

واتذكـــــرت الحبـــــايب
لـــي غـــادروا لاوطـــان

قالت نفسي: تذكرني بهوى الدلعونا وكيف (أن الهوا الشمالي يغير اللونا) قلت: هذه أغانينا التي تذكرني بقول فتاة العرب عوشة بنت خليفة السويدي رحمها الله:

وما هبـــت من (الجبلـــه) نسايـــم
ادّاورهـــا جنـــوب ومطلعيـــه

أجل يا باحثة عن الظل في مواسم القيظ وعن النسيم العليل في صباح ربيعي، ربما سمعت عن أيام يقال لها مرخيات القلايد حيث ينكسر الحر في الجزيرة العربية بتأثير نجم سهيل وهنا الفرحة في تحول الرطب إلى تمر وتنز المدابس وترتاح نفسية الأرض وتبقى حكاية المواسم تحكي عما جرى ما بين سهيل والثريا لتذكرني الكاتبة مريم سلطان المزروعي بقول العرب: (إذا طلع سهيل طاب الليل ورفع الكيل وللفصيل الويل) وتابعت لتورد مثلاً آخر على لسان الوالد سعيد بن محمد: إذا طلع سهيل فلا تأمن السيل[1].

قالت لي أحلام النوارس رأيتهم يفرون إلى البر سالكين دروب المطايا لكن صقر الجبال والوديان تخيلني أرد الجواب هي رحلة الشتاء والصيف، وبينهما أمان من الجوع والخوف يقضونها تحت نخيل مثمر أو فوق بحر مقمر، وفي كلتا الحالتين نحن على خطى الأجداد في وعينا للموروث التراثي ومواكبتنا للعلم العصري.. قلت: (أيا طيور الطايرة خبريني عن هلي) وعلم دورهم. قالت: الأمثال فاسمع واتخذها حكما وعبراً[2]:

نقدر الشـــوب والطيـاب على اللـــه
فراش الصيـــف باســـط وبحره واســـع

قالت نفسي: اختم بقول صديقك المبدع محمد عبد الله عبد الرحمن:

مواســـم الخيـــر في مخيالنـــا بـــدأت
والانتظـــار هـــوى والأمـــر محســـوم

قلت: أما (علي العبدان) فله كلام في ارتباط الموسيقا بالمواسم فللربابة خيمتها وللبحر طنبوره وللمجلس عوده، وهذا كله حسب توفر المادة الخشبية أو العاجية أو الوترية والبقية تأتي في قولنا المأثور الموروث: إذا أخصبت الدهناء ربعت العرب جمعاء، ولا عجب أن تتحول صحراء الربع الخالي إلى الربع المالي! قالت نفسي: آمين آمين ... ■

أديب وباحث فلسطيني

الهوامش والمراجع:

1. المواسم ما بين سهيل والثريا، مريم المزروعي، مجلة مراود 2022 م، ص 39، من العدد المزدوج (42-43).
2. نجم الثريا وجمرة القيظ، أسامة الرقيقي، كاتب مصري، مجلة مراود 2022م، ص 45، من العدد المزدوج (42-43).

أبواب الحياة

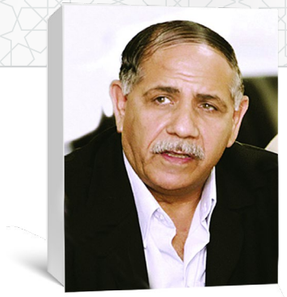

عبد الفتاح صبري
روائي وناقد مصري

لكل شيء منظور في الحياة باب، هكذا هي سنة التأسيس والعمران في الحياة، على الصعيد المادي كل كتلة معمارية أو هندسية أو بناء مهما كان صغيراً لا بد وأن يكون له باب، حيث الباب يتيح الفرصة للتعامل مع هذه الكتلة الهندسية المعمارية لأن هذا المبنى قصد منه الاستفادة وله غرض يؤديه بُني وتأسس من أجله، ولذلك كان الباب أساساً رئيسياً ومعلماً هندسياً وبنائياً ومادياً ومعنوياً من ضرورات وجود البناء في يقينه المعماري والاستخدامي.

الباب إذاً أداة سيطرة وأداة للتعامل وأداة ذات منفعة في استخدام المبنى واستنفاذ الغرض الذي بُني من أجله، بغض النظر عن الوظائف التقليدية للباب، إنه أداة تواصل بين الخارج والداخل.. ولكنه مع المنظور الأعظم هو أداة هندسية لتصميم المبنى الذي ستتوافق استخداماته من حيث اليسر والسهولة وبما يتفق مع أصول البناء حيث الطقس والجهات الأربع الشرق والغرب والشمال والجنوب وبلغة أخرى بحري وقبلي وشرق وغرب لتحديد الاستفادة من آليات دوران الشمس وشروقها وغروبها وجهة مرور الهواء حتى يمكن تحديد واجهة المبنى التي هي - أساساً - تتضمن الواجهة والمدخل أي الباب الرئيسي.. من هنا برزت أهمية الباب في تخطيط البناء وفي اتجاهاته والفوائد المتاحة من طبيعة طبوغرافيا وجغرافية الأرض ومحددات الاتجاهات الأصلية الأربع حيث سيشكل الباب مع الواجهة بهاءً وحضوراً. هذا المبنى في كتلته السكنية والجغرافية. إذاً من حيوية الباب أنه يحدد أساسيات وآليات المبنى الذي هو جزء منه ويتم الاتساق والتوافق في الشروط الفنية والهندسية بين الجزء والكل مما يسهم في تحقيق الغرض وبالشروط المكملة لبهاء المعمار وفنياته الهندسية والجمالية.

لكن هل فكرت أن هناك أبواباً أخرى.. كل شيء في الحياة له باب: السيارة.. الثلاجة.. الغسالة.. كاسيت الراديو.. إلى آخر الأدوات التي لا نهاية لها ويستخدمها الإنسان وبالتالي فإن هذه الأبواب تحقق فائدة وغرضاً مهماً لتيسير استخدام هذه الآلة أو تلك..!

لكن ماذا عن الأبواب المعنوية التي تحاصر حياتنا وحركتنا في الحياة كي نستقيم أخلاقياً ودينياً وعقائدياً وسلوكياً.. ماذا عن أبواب الترهيب كأبواب جهنم، وأبواب الترغيب كأبواب الجنة، وهي بالتأكيد موجودة ولكنها غير ملموسة لنا الآن ولا مرئية، بل هي في اليقين وفي قلب المعتقد، ولكنها تبقى في دنيانا غير محسوسة، وبالتالي تتحول إلى منطقة لا نراها إلا بالخيال والتفكير رغم أنها في صلب إيماننا وعقيدتنا وموجودة.. ماذا عن أبواب الأمل والرجاء والنجاة والفرج والصبر والرضا والسكينة.. ماذا عن أبواب السماء عشرات بل مئات الأبواب التي لا يمكن أن تلمسها أو تراها ولكنها أبواب يجب أن تدخلها وتتيقن من وجودها رغم أنها غير منظورة وتدخل في المعمار الإنساني وبناء الوجدان وإسباغ الرضا والسكينة على الإنسان المتيقن من دخوله هذه الأبواب.

هذه الأبواب تسهم في إعمار النفس بالهدوء والتقوى والإيمان بآليات الحياة ودورتها وبداياتها ونهايتها مما يضفي على الوجدان خشوع الانصياع في أقنية أرادها الله لهذا الإنسان لاستكمال عمارة الكون والأرض واستدامة الإعمار أيضاً.. وذلك بأن يكون الإنسان مؤقلماً على كونه أداة في الحياة برضا وسكينة وخشوع لازم.. وفي هذا السياق تحتفظ الذاكرة الشعبية لكل الشعوب بيقين هذه الآلية، وهناك الآن الصور المختزنة والحكايات عن الوعي بهذا اليقين وبأبواب لا نراها لأنها أبواب معنوية غير محسوسة، ولكن اجتيازها ضروري للوصول إلى الكمال الإنساني.. تخيل أن يكون الإنسان يائساً لأي سبب من الأسباب من حركته في الحياة ولا دوافع لديه للعمل في إطار إعمار الكون بالتأكيد سيتخاذل عن العطاء وربما يفكر في التخلص من حياته والخروج والكفر على الشريعة وعلى سبب وجوده.. ولكن لو لجأ للدخول إلى باب الرجاء وباب الأمل وتفكر في المردود الإيجابي لمعنى التشبث بقدرة الله مباشرة من خلال أبواب الخير والتأمل. هذه الأبواب هي معنوية غير مرئية وغير ملموسة ولكنها موجودة وقريبة من كل إنسان يعمل بروح إيجابية وبتفكير قويم متفق مع النهج القويم ومخزون الإيمان في قلبه ومتحصناً بالسلوك الجمعي وموروث الأمة السليم العقدي والقيمي لاجتياز سلبيات ما تراكم لديه من خلال باب الرجاء وباب التوسل بالله والأمل وعودته إلى آليات الحياة واجتياز عتبة الآلام ووحشة ما لديه من أفكار سوداء لا تتسق وما يجب في ظل آليات الحياة التي وفرها الله للبشرية.

الأبواب تتعدد وتتخذ أشكالاً وألواناً وأنواعاً حسب الطقس الاجتماعي والحس الجمعي الذي يحض على ارتياد أبوابٍ، والامتناع عن دخول أخرى لأن في الأولى صلاحاً وقيماً ورشاداً وفي الأخرى ضياعاً وبُعداً عن الموروث وربما الدين والعقيدة.

هل سمعت عن العتبات.. حتى الأبواب المعنوية لها عتبات، ولذلك فإن القيم الشعبية والموروثة تحذرنا من الاقتراب من عتبات أبواب بعينها كأبواب الشر والحقد والكراهية وتحضنا دوماً على التحصن والمرور من أبواب الخير والنور والإيمان لكي نكون أكثر نفعاً وأكثر رضا وأكثر سكينة بقضاء الله خيره وشره.

اللافت للنظر في أدبيات الكتابة الأدبية والثقافية أننا نلجأ إلى الأبواب لتقسيم الدراسة أو الكتاب، ويقسم الكتاب إلى أبوابٍ كل باب يعالج مسألة أو مضموناً أو فكرة في سياق الدراسة، أي إن الباب يشكّل جزءاً من معمار الكتابة الكلية، وهذا يجرنا إلى فكرة الهندسة وفكرة البناء حتى في هذا السياق حيث إن معمار الشيء يتكوّن من أجزاء. أحدهم الباب أو الأبواب مثل: باب المنزل أو الدار هو ليس باب، إنه أبواب كل باب يدل على جزء من البناء هذا باب رئيسي.. ، وهذا باب حجرة المعيشة أو باب حجرة النوم. وهكذا فإن كل باب سيدل على جزء من المكان المعماري مثله مثل أبواب الكتابة، فنقول هذا باب لمعالجة قضية أولى وهذا باب للقضية الأخرى وهكذا..

ومن عجائب خلق الله في الكون هذا الماء المتسع الذي يشكل ثلاثة أرباع اليابسة من بحار ومحيطات وأنهار تجري إلى مستقر لها بأمر ربها أيضاً، وعند التأمل سنجد أن هذه المساحات الشاسعة المتسعة لها أسباب وفوائد تشكل أحد أهم عناصر وجودنا على البسيطة. هي جزء من دورة المياه والمطر وصعود الماء إلى أعماق الفضاء وعودته إلى باطن الأرض حاملاً الخيرات، كما أنه عنصر لتوازن البيئة واعتدال الحرارة على الأرض كي تتهيأ لنا كي نعمرها ونسكنها وفق مشيئة الخالق...

هذه الأبواب انتقلت إلى الماء لتشكل نقطاً تحكم أيضاً، وربط بين هذه الأمواء المتمثلة في محيطات وبحار - منها على سبيل المثال - بمضيق بين البحرين عند التقائهما هو باب المندب الذي عنده يتصل المحيط الهندي بالبحر الأحمر ليشكل باباً لهذا البحر العظيم. أما مضيق هرمز الذي يقع في منطقة الخليج العربي فاصلاً بين مياه الخليج العربي ومياه خليج عُمان وبحر العرب والمحيط الهندي وكأنه يشكّل باباً للخليج العربي، وهناك على البحر نفسه مضايق شرم الشيخ وتيران وصنافير المصرية لتشكل باباً لجزء مهم لفرع البحر الأحمر الشرقي المطل على سيناء المصرية.

وهناك مثال آخر هو مضيق طارق بن زياد الذي يشكل باباً للبحر الأبيض من جهتيه ومضيق صقلية وهناك عشرات المضايق على خريطة ماء الكون تشكل أبواباً وكأنها لتحكم النظرة وانبساط الماء في شساعته وجريانه في عموم الكرة الأرضية التي شاء لها الله أن تكون بهذا التقسيم الإلهي في ضرورة وجودها وفق نواميس وقوانين خلقها الله كي تسير في أقانيمها.. وعلينا التأمل لهذه الأبواب المفترضة لنعيد التأمل في روعة وشساعة الماء، مثل: مضيق البوسفور والدردنيل التركي الذي يفصل بين البحر الأسود وبحر مرمرة ويشكل باباً عظيماً يربط بين قارتي آسيا وأوروبا. هذه أمثلة لأنواع من أبواب مائية لتبدو أهميتها الجغرافية والمائية على خريطة الكون العظيم. اللافت للانتباه أن هذه الأبواب المائية هي أدوات سيطرة أيضاً، وأبواب يمكن أن تغلق وتعطي لمالكها أفضلية وتعطيه عبقرية المكان.. مثلها مثل أبوابنا الخشبية.

إذا تأملنا سنكتشف أن لكل شيء في الحياة باباً لحكمة السيطرة والإحكام وإمعان النظر في قدرة الخالق سبحانه وتعالى على هندسة هذا الكون ■

مدينة العروس النهرية «بودابست»

ضياء الدين الحفناوي

سميت العاصمة المجرية بودابست بالعروس النهرية في الواقع إلى جمالها ورونقها ولموقعها على ضفاف نهر الدانوب، وتعتبر المدينة واحدة من الوجهات السياحية الرئيسية في أوروبا، وتضم العديد من المزارات السياحية والثقافية والتاريخية الرائعة التي تعكس أصالة المدينة وتراثها على مر العصور.

نشأة المدينة

كانت قبائل (السلتيون) أول من استقر في منطقة بودابست في القرن الثالث قبل الميلاد، واشتهرت المدينة آنذاك بالتجارة مع الرومان والشعوب المجاورة الأخرى حتى سقوط الإمبراطورية الرومانية، وكانت المنطقة لا تزال مأهولة بقبائل مختلفة بما في ذلك (الهون والأفار والسلاف) على امتداد القرن التاسع، ووصل المجريون الغزاة إلى المنطقة وأسسوا إمارة المجر الجديدة واختارت القبيلة الحكم بقيادة (أرباد) ومنطقة أكوينكوم لتكون مكاناً لإقامتهم في هذا المركز الجغرافي الطبيعي للبلاد. وكان التراث الروماني (لأبودا وبيست) وأطلال آلاف المباني مرئياً لقرون عدّة، ولكن خلال عصر أرباد تم بناء مدن حقيقية وصاخبة في العصور الوسطى تدريجياً وحلت محل المناطق القديمة.

في عام 1241، انطلق الملك (بيلا) من بيست ضد التتار وكان للملك قلعة حجرية ومدينة جديدة تسمى أوجبودا مبنية على ما يسمى ببيست هيل، فارهيجي اليوم ما بين الأعوام (1247 و1265). ومثلت هذه المباني الحضرية اللبانة الأولى التي شكّلت أساس منطقة قلعة بودا لاحقاً، وكان يمكن الدفاع عن قلعة بيلا التي تقع بالقرب من كنيسة ماتياس اليوم بشكل أفضل في حالة الهجمات من قلعة أوبودا المنخفضة جغرافياً، وقد أصبحت القلعة مقراً للملوك المجريين ورمزاً لقوة البلاد وثرواتها في عصرها، وقد كانت المنطقة بالفعل مدينة برجوازية، ويوجد هناك عدد كبير من الحرفيين والصناعيين والتجار الذين استقروا في المدينة.

كان أبرز تاريخ المدينة قبل العصر التركي هو عهد سيسيغموند ملك لوكسمبورغ وأسس سيسيغموند جامعة في أوبودا عام 1389 وتميز بلاط الملك في ذلك الوقت في عصر النهضة بجاذبية كبيرة للفنانين والمتعلمين مما أدى إلى رفع المستوى الثقافي للمدينة والبلاط الملكي، وقد عانت المدينة العديد من الحروب والغزوات في القرنين السادس عشر والسابع عشر بما في ذلك الحكم التركي الذي استمر أكثر من 150 عاماً، لقد ترك الاحتلال التركي بصماته على المدينة ولا يزال تأثيره واضحاً في هندستها المعمارية وثقافتها، حتى أنواع الطعام. وفي القرن الثامن عشر شهدت بودابست فترة من النمو والتطور وأصبحت المدينة مركزاً تجارياً مهماً نظراً لموقعها على نهر الدانوب، ومع ذلك بدأ التطور الحقيقي خلال فترة الإصلاح عندما بنى أغنى أعضاء النبلاء قصورهم في بست وبودا واحداً تلو الآخر، وأصبحت المدينة مركز الحياة الأدبية والفكرية، وأسس فيرينك سيشيني مكتبته الضخمة كسلف للمتحف الوطني المجري، وفي ثلاثينيات القرن التاسع عشر كان عدد السكان الدائمين في المدينتين نحو 150.000 نسمة، وعلى مدار القرن التاسع عشر تمتعت المدينة بفترة من النمو والتطور السريع وتحولت إلى مدينة حديثة تضم مباني عامة جديدة وحدائق وأنظمة

نقل، وتم بناء جسر السلسلة على نهر الدانوب أيضاً كأول رابط دائم بين بودا وبست والذي أصبح أحد أشهر معالم العاصمة. وفي عام 1873 تم توحيد مدن بست وبودا وأوبودا رسمياً تحت اسم بودابست، التي أصبحت عاصمة المجر الحديثة، وبذلك بدأت حقبة جديدة في تاريخ المدينة، حيث كانت شخصيات المدينتين مختلفة تماماً فكانت بودا (وأوبودا) معروفة بروعتها وجمالها ومدينة بست المركز التجاري الصاخب في المنطقة. وفي بداية القرن العشرين، شهدت بودابست فترة من النمو والتطور، اشتهرت خلالها المدينة بروائعها المعمارية الرائعة والحياة الثقافية الغنية والديناميكية الفكرية فخلال هذه الفترة تم بناء المعالم السياحية الأكثر شهرة في بودابست بما في ذلك البرلمان ودار الأوبرا وحصن الصيادين. وخلال الحرب العالمية الأولى لم تتأثر بودابست بالنزاع، ولكن خلال الحرب العالمية الثانية تعرَّضت المدينة لقصف شديد، ما أدى إلى تدمير العديد من المباني، وفقد أكثر من مئة ألف من سكان المدينة المدنيين حياتهم في التفجيرات، وفي مذبحة رعب السهم الشهيرة التي ارتكبها الجنود السوفييت خلال الحرب، وتم تدمير جميع جسور بودابست وقلعة بودا وكذلك جزء كبير من المباني العامة والمباني السكنية بالكامل، وفي النصف الثاني من الستينيات من القرن الماضي تم الانتهاء من ترميم أضرار الحرب العالمية وأعيد بناء الجسور، وكان آخرها جسر إليزابيث في عام 1964.

في عام 1989 أدى انهيار الاتحاد السوفييتي إلى حدوث تغييرات كبيرة في بودابست وازدهرت المدينة مرة أخرى، وأثناء تغيير النظام تطوَّرت بودابست بشكل أكثر كثافة مقارنة بأجزاء أخرى من البلاد وتعزز اقتصادها بشكل مستمر بالتوازي مع إغلاق المنشآت الصناعية الاشتراكية، وتم خلق العديد من فرص العمل الجديدة هناك وخاصة في مجال الخدمات والتجارة والسياحة.

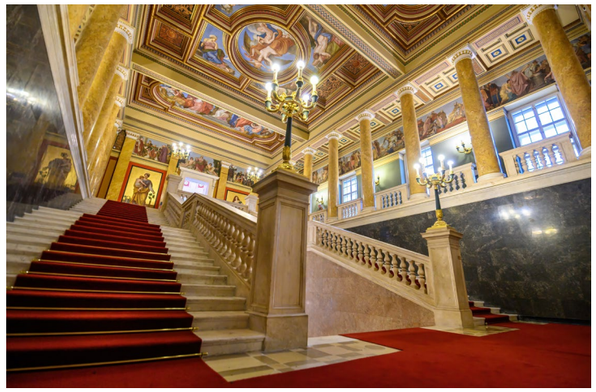

التراث الثقافي في بودابست

تتمتع مدينة بودابست بتقاليد تاريخية وثقافية غنية تشكلت من خلال تأثير الثقافات والشعوب والأديان المختلفة على مر القرون، ونتيجة لذلك فإن المدينة لديها العديد من الكنوز الثقافية وأحد أكثر ما يميزها هو أسلوبها المعماري الذي يجمع بين عناصر عصر النهضة الحديثة وأساليب (آرت ديكو، وجوجيندستيل، والباروك الكلاسيكية) وهو أنيق ومثير للإعجاب بحق، وتفتخر بودابست بالعديد من المباني المشهورة عالمياً مثل البرلمان وحصن الصيادين وحمامات سيشيني وقصر الفنون.

توفر المدينة العديد من الفرص لمحبي الفن أيضاً، ويوجد في بودابست العديد من المتاحف والمعارض ومساحات العرض التي تغطي مختلف أشكال الفن مثل الرسم الكلاسيكي والنحت والتصوير الفوتوغرافي والفن المعاصر، كما تقدم المدينة العديد من العروض الموسيقية والمسرحية التي يشارك فيها فنانون وعروض معروفة حول العالم، وتتفوق بودابست ليس في الثقافة الفنية فقط، ولكن في مجال فن الطهو أيضاً، فتقدم المطاعم والمقاهي في المدينة مجموعة واسعة من المأكولات من الأطباق المجرية إلى الإيطالية والفرنسية والآسيوية وغيرها من الأطباق العالمية، وفيما يتعلق بفن الطهو يعد التخمير وصناعة النبيذ أمراً مهماً أيضاً، كما تضم المدينة مجموعة من مصانع الجعة ومصانع النبيذ ذات مستوى عالمي. وتشتهر بودابست أيضاً بثقافة المنتجعات الصحية الفريدة، وتقع المدينة على حافة نهر (ألفولد) وهو غنيٌّ بالمياه الحرارية، وقد اكتشف الرومان القدماء بالفعل الآثار المفيدة للمياه هناك، ومنذ ذلك الحين أصبحت المنتجعات الصحية في بودابست مشهورة عالمياً، وتعتبر من أكثر مناطق الجذب السياحي شعبية في البلاد والأكثر من ذلك أنها تلعب دوراً مهماً في الحفاظ على الصحة أيضاً، فمن بين الحمامات العديدة الموجودة في المدينة حمامات أشهرها غيليرت وسيشيني ورووداس. كما يوجد في المدينة العديد من الكنائس والمزارات التي تعكس التاريخ المجري والتقاليد الدينية. واحدة من أهم المباني الكنسية هي كاتدرائية القديس ستيفن التي تعود إلى القرن التاسع عشر والتي تعد واحدة من أشهر المباني وأجملها في بودابست أيضاً، ويعدُّ كنيس شارع دوهاني أحد كنوز بودابست الثقافية وثاني أكبر كنيس يهودي في العالم. وتم بناء المبنى في القرن التاسع عشر، ولعب دوراً مهماً في الحياة الدينية اليهودية منذ ذلك الحين.

كما يوجد في المدينة العديد من المتنزهات والمناطق الخضراء التي توفّر جولات مشي ممتعة وراحة لمن يرغبون في الاسترخاء وسط الزحام والضجيج، ومن أكبر الحدائق حديقة فاروسليجيت التي تضم العديد من المتاحف وحدائق الحيوان وأماكن الترفيه وقلعة فاجداهونياد الشهيرة، ونظراً إلى تنوعها الثقافي وتاريخها الغني تعد بودابست واحدة من أكثر المدن زيارة في أوروبا. ومن أهم المزارات السياحية والثقافية والتاريخية الرائعة التي يجب زيارتها قلعة بودا فهي

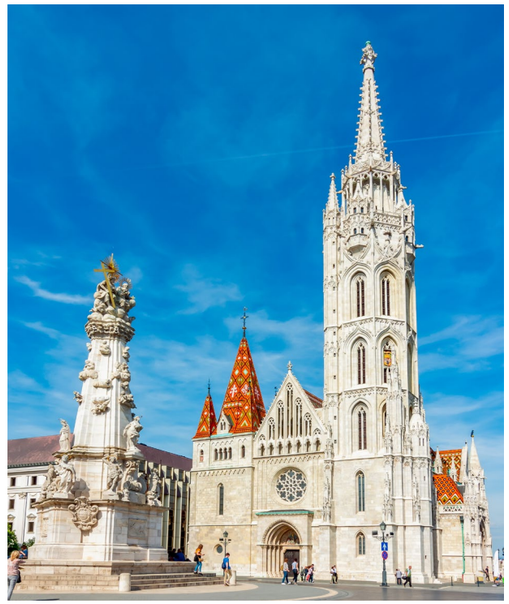

واحدة من أهم المعالم التاريخية في بودابست وتضم متاحف وقصوراً وحدائق تاريخية رائعة، وسلسلة الجسور على نهر الدانوب وتشمل جسوراً مثل جسر السلسلة وجسر الأبطال وتعتبر رموزاً معمارية مهمة للمدينة، ويعتبر البرلمان المجري أحد أبرز المعالم المعمارية في بودابست ويقع على ضفاف نهر الدانوب بإطلاله خلابة وكنيسة القديس متياس التي تعتبر إحدى أهم الكنائس في بودابست، وتتميز بأسطحها الملونة وبنيتها الباروكية الفخمة المزركشة، ويعد حي القلعة الذي يضم مباني تاريخية وشوارع ضيقة ومطاعم ومقاهي تقليدية من أجمل المناطق التي يمكن التجول فيها، ولمحبي الطبيعة تعتبر جزيرة مارغريت ملاذاً هادئاً في وسط المدينة، وتضم حدائق ومنتزهات ومرافق ترفيهية ومسطحات خضراء هي الأجمل في المدينة على الإطلاق. والجدير بالذكر أن بودابست تعتبر واحدة من أهم المدن التي تتمتع بتراث غني ومتنوع، وتضم العديد من المظاهر التراثية والمهرجانات الشعبية على مدار العام.. مثل مهرجان الفلكلور المجري حيثُ يُعقد هذا المهرجان في فصل الصيف (غالباً في شهر يونيو) ويتميز بعروض الفلكلور المجري التقليدي بما في ذلك الموسيقى والرقص والزي المحلي ومهرجان النهر، ويشمل فعاليات متنوعة على ضفاف نهر الدانوب مثل العروض الموسيقية والفنية والرياضية وعروض الألعاب النارية ومهرجان الطعام والشراب، ويعرض مجموعة متنوعة من المأكولات والمشروبات التقليدية المجرية والعالمية، ومهرجان السينما الصيفي الذي يُقام في الهواء الطلق في فصل الصيف ويعرض أفلاماً محلية وعالمية في أماكن مختلفة في المدينة.

أما مهرجان الألعاب التقليدية فهو يُعقد في فصل الشتاء ويشمل العديد من الألعاب التقليدية الهنغارية والأنشطة الترفيهية الشتوية مثل التزحلق على الجليد والتزلج، وفي الواقع: إن المهرجانات الشعبية التي تُقام في بودابست على مدار العام وتسهم في إثراء التجربة الثقافية والترفيهية لزوار المدينة وسكانها تعكس روعة المدينة وتنوعها. فالشعب المجري لديه تراث ثقافي غني ومتنوع، ومن بين العادات والتقاليد البارزة للشعب المجري المأكولات التقليدية المجرية بمكوناتها الغنية والنكهات الفريدة مثل (الغولاش واللانجوش والكولاش) وتحتل الموسيقى التقليدية المجرية مكانة مهمة في الثقافة المجرية بما في ذلك الموسيقى الفلكلورية والعروض الرقصية التقليدية مثل رقصة (الجيبيك) الشهيرة هناك ■

كاتب مصري

توثيق الشعر العربي بين الفن والتاريخ (2/2)

حمزة قناوي

شاعر وناقد مصري مقيم في الإمارات

لم يقتصر أمر الاهتمام بالشعر العربي قديماً على مجرد توثيق الشعر وحفظه فقط، وإنما بدأ الأمر ينحو إلى السياق، إلى توثيق الحياة التي كان يقال فيها هذا الشعر، فنجد كتاباً مثل (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني لا يتضمنُ الشعرَ فحسب، وإنما يبدأُ في سرد الحكايات التي عاصرت هذا الشعر، ويروي لنا من أحوال الشعراء أنفسهم، ومن سياقات الحياة التي كانوا يؤلفون من خلالها هذا الشعر. وإذا ما عرفنا أنه في هذا التوقيت لم يكن الأمر يسيراً في مجال الكتابة والطباعة، فإن الاحتفاظ بمثل هذه الكتب، ووصولها إلينا – رغم احتمال وجود فرضية ضياع كتب لم تصل إلينا مخطوطاتُها – يعكسُ مقدارَ الأهمية التي أولاها الإنسانُ العربيُ والشاعرُ العربيُ والمتلقي المهتمُ بالأدب والحياة العربية في مجملها، للشعر ولتوثيقه، ولتدوينه ولحكي سياقاته المحيطة، حتى يجد القارئ في وقتنا الراهن تصوراً قريباً من الحياة التي كان يعيشها الشاعر العربي في ذلك الوقت. مرت الثقافة العربية بعصور ضعف واضمحلال أثرت بشكل كبير في مثلِ هذا التلقي، ولولا أن أوجد الله لهذه الثقافة من يبعثها من جديد، ومن يقدم الثقافة العربية والشعرية العربية في عصر النهضة العربي المعاصر، لربما كنا لا نزال نغرق في شعر المحسّناتِ اللغوية والتلاعب اللفظي وشعر حِساب الجُمّل وغيرها من أنماط سادت في وقت ضعف الشعر وضعف الشاعرية، ولكن كان أحد أهم أسباب نهضة الشعر إعادة نشر الدواوين القديمة، مثل: دواوين المتنبي، ودواوين البحتري،.. وغيرها من الدواوين التي ساعدت إعادة طبعها ونشرها بين القراء العرب على عودة القريحة العربية للتأليف الشعري، وكأن القاعدة التي تقول إن أول سبيل لتأليف الشعر هو حفظ العديد من أبيات الشعر العربي لا تزال قاعدةً سليمة، فأسهمت المطبعة الحديثة في التوثيق الثاني، أو إن شئنا الدقة في الحفظ الثاني للشعر العربي بعدما حفظه الإنسان العربي القديم في المخطوطات المستنسخة يدوياً بخط اليد، وبدأ القُرّاء العرب يُقبلون على شعر الأجداد، ويؤلفون شعرهم الخاص، الذي يحظى هذه المرة بتوثيقه الخاص من خلال منظومة متكاملة من دورِ نَشرٍ ومَطابعَ وأرقامِ إيداع ومكتبات ومراكز توزيع وغيرها، لكن مع دخولنا للألفية الثالثة بدأ التباعد عن الأصل الأول الذي نشأت فيه نهضة الشعر العربي المعاصر، وظهرت أجيالٌ لا تعي السياق الذي ألف فيه (أحمد شوقي) و(حافظ إبراهيم) وغيرهما، وأصبحنا بحاجة ماسة إلى المزيد من الجهد التوثيقي لحفظ الشعر العربي، وحفظ الحالة المحيطة به، وحفظ السياق والمجتمعيات والنواحي الإنسانية والتاريخية وغيرها من جوانب أصبحت تنظر إليها "نظرية الأدب" المعاصرة بوصفها مؤثرة في كيفية تلقي الشعر العربي، ومن ثم نشأت العديد من السلاسل التوثيقية والتعريفية، مثل: سلاسل (د. شوقي ضيف) على سبيل المثال في التعريف بالشعر العربي، ومع ذلك يبدو مثل هذا الجهد بحاجةٍ إلى مزيدٍ من التطوير.

رويداً رويداً تطورَ الأمر لنشاهد القصيدة الشعرية مسموعة عبر الإذاعة، وهنا بدأت ظاهرة أخرى تؤثر في التلقي، وهي ظاهرة رغم ارتباطها تاريخياً بالشعر، إذ عادة ما كان الشاعر بنفسه هو من كان يلقي شعره، إلا أنها اختفت في وقت النهضة مع انتشار المطابع والدواوين، فصار الشعر مكتوباً أكثر منه مقروءاً، لكن مع تطور الإذاعات العربية، ووسائل التسجيل الصوتي، أصبحت هناك خاصية إضافية تسهم في توثيق الشعر العربي وحفظه ألا وهي التوثيق الصوتي، ولا تزال الكثير من القصائد بصوت مؤلفيها تجد رَواجاً على مواقع الفيديو العالمية، ثم نشأت في المدارس العربية مسابقات الإلقاء، ومسابقات التحدث بالفصحى، وهي بشكل من الأشكال وبطريقة من الطرق وسيلة من وسائل حفظ الشعر العربي ■

إعداد: نايلة الأحبابي

الدنيـــا

الشاعر كميدش بن نعمان الكعبي

أنا الدنيا حدتنـي مـــن تجاربهـــا
سقتني الراح والغصّة والانكالي
صفـــت لي يوم دنّت لـــي ركايبهـــا
روتني عقب طيـب الأنس لهوالـي
بحيلات الغـــدر تغـــدر بصاحبهـــا
تراها لوصفـت ترميك بالتالـي
أنا ونيـــت و الونـــة أجربهـــا
و أنادي و اشتكي للواحـد العالي
وكم عاشـــق صفات الحبّ يكسبهـــا
ودانات اللوالـي من غـزر مالـي
تمرّدهـــور وقته مـــا يحسّ إبهـــا
مريح مستريح خالي البالي
وأنا الشاكـــي أخطّ أبيـــــات وأكتبها
وأناجـي صاحبٍ ما ينتظر حالـي
وأقول العـــون يا المضنـــون نطلبهـــا
من أهل العـون نبغي بس الوصالـي

الشاعر كميدش بن نعمان الكعبي ولد في منطقة «الهير» القريبة من مدينة العين في إمارة أبوظبي عام 1947م. وتلقىّ تعليمه في المدارس الحكومية، وشارك في العديد من الأمسيات الشعرية. اشتهر بكتابة قصائد «الردح» و«الونّة»، وله مساجلات شعرية مع أبناء جيله من الشعراء.

اتصفت قصيدته «**الدنيا**» بالحكمة والأمثال البديعة لشاعر عاصر الزمان ومصاعبه، حيث ينقل خبرته وتجارب حياته المتنوعة بين الفرح والشقاء. ويصف الشاعر حال الدنيا، حيث الأفراح تتبعها الأتراح، ويشكو لله هذا الحال، طالباً العون منه بإيمان وابتهال لتخفيف ما يعانيه من تقلبات الزمان. ثم يصور حال من يعيش حياة هانئة، مستريح البال ومستقر الحال، بينما يكتب الشاعر مشكلاته في أبياته، يناجي فيها صديقاً لا يعاني من نفس الجهد والمشقة والشوق لوصال الأحباب. تراوحت القصيدة بين الحكمة والوجدان، حيث تميزت بعتاب الشاعر وشكواه لصاحبه، مجسدة الإبداع في ترابط الموضوع الشعري بسلاسة وبلاغة أدبية وحبكة إبداعية. ونسج الشاعر القصيدة بفكر حكيم وإحساس شاعري، لتكون مثالاً وأمثالاً خالدة تتناقلها الأجيال.

المفردات: حدتني: أجبرتني أو مالت به قسراً. الراح: الحياه الهنية. الغصة: الضيقة. الانكالي: العذاب والظروف الصعبة. دنت: قربت. مريح: بالغ الراحة.

ارتياد الآفاق

رحلة حاولت رصد أسباب النهضة الغربية

«كشف المُخبَّا عن فنون أوروبا» لأحمد فارس الشدياق

1805 - 1887 م

محمد عبد العزيز السقا

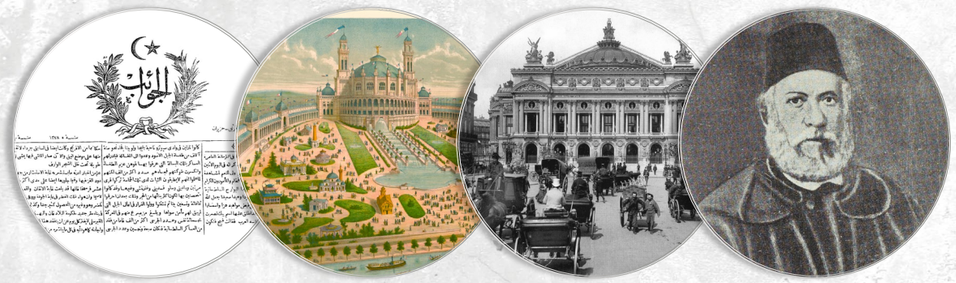

رحلة حاولت رصد أسباب النهضة الغربية

«كشف المُخبَّا عن فنون أوروبا» لأحمد فارس الشدياق

1805 - 1887 م

محمد عبد العزيز السقا

خلال حياته التي كانت عبارة عن رحلة طويلة من الأسفار والتحولات، لم تنتهِ حتى بعد وفاته؛ إذ ولد في لبنان، لأسرة مارونية[1]، ثم خرج من لبنان إلى دمشق، ومنها ارتحل إلى مصر، وفيها درس بالأزهر، وتزوَّج من «وردة الصولي»[2]. ثم رحل إلى «مالطة»، فقضى فيها أربعة عشر عاماً. وتحوَّل من المذهب الماروني إلى الإنجليكية. ثم سافر إلى إنجلترا وفرنسا فقضى فيهما عشرة أعوام. ثم غادر أوروبا واتجه إلى تونس، فأعلن إسلامه فيها عام 1857م واختار لنفسه اسم «أحمد فارس». ثم ارتحل إلى «إسطنبول» وأطلق جريدته الشهيرة «الجوائب» عام1881م، إلى أن وافته المنية بإسطنبول عام1887م، غير أن جسده أبى إلا أن يكمل الارتحال حيث أُعيد إلى مسقط رأسه ودفن في لبنان تنفيذاً لوصيته.

ركنية الرحلة

في عام 1848 تلقى الشدياق دعوة من الجمعية اللندنية لنشر الإنجيل للقدوم إلى لندن من أجل المشاركة في ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية، فانتقل ليقيم في أماكن مختلفة في بريطانيا وكذلك في باريس. تقع هذه الرحلة ركناً في ثلاث رحلات ما يسمى بدعاة الإصلاح، وهي: رحلة رفاعة الطهطاوي إلى فرنسا 1825م، ورحلة فارس الشدياق إلى بريطانيا في منتصف القرن التاسع عشر، ورحلة محمد كرد علي إلى فرنسا 1910م وهذه الثلاثية يمكن أن تشكل صورة الآخر في الوعي الشرقي، وتشترك في الحث على الأخذ بأسباب النهوض، وقد دوّن الشدياق غايته فقال: «ويعلم الله أني مع كثرة ما شاهدت في تلك البلاد من الغرائب وأدركت فيها من الرغائب كنت أبداً منغص العيش.. لما أني كنت دائم التفكير في خلو بلادنا عما عندهم من التمدن والبراعة والتفنن». ورحلة الشدياق التي بين أيدينا اليوم هي خلاصة ثلث حياته التي قضاها في أوروبا، فكتب من منظور الخبير بأهلها العالِم بخباياها، فهو إذ يقدم سرداً عما رآه في مالطة وفرنسا وإنجلترا، ويصف لنا صورة تفصيلية عن الحضارة الأوروبية يغوص في تحليل أسباب نهضة أوروبا، بالإضافة إلى نقل ما كتب في أشهر المؤلفات الإنجليزية والفرنسية عن المعالم، والأحداث التي مرت بها الثقافة الغربية منذ عصر النهضة إلى منتصف القرن التاسع عشر يقطّر بالإحصاء والتحليل ترياقاً لنهضة أمته العربية، وعلى هذا التأسيس فرحلة «الشدياق» عصارة خبرة وجذوة من نار، أراد مؤلفه أن يضيق الفجوة ويبصر أمته بركب النهضة، وإن رأى بعضهم أنه وقع في فخ الانتماء الذي يبقى مصدراً لا غنى عنه للتعرف على الهيكل الاجتماعي للمجتمع الأوروبي، والحياة اليومية والعادات والتقاليد السائدة، وأهم المعارف والعلوم والحالة الدينية، خلال القرن التاسع عشر. وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة عام 1866م. ليس خفياً على من يقرأ الرحلة أنه قد غلبت على الشدياق النزعة السياسية فقد توقف مراراً أمام افتقاد العدل، وشيوع الاستبداد في الأقطار الإسلامية في ذلك الوقت، وما أفضى إليه ذلك من زرع الخوف في نفوس الأفراد، وكيف انسحب هذا على الملكات الإبداعية، وإليه يعزو الشدياق حالة التخلف الحضاري. والنص غزير بالمعلومات ويتميز بوصفه الدقيق، وسيستمتع القارئ باللغة القوية الرصينة للكاتب، الذي نجح في المزج بين الأسلوبين العلمي والأدبي في سرديته. وتقدم الرحلة نظرة شاملة وموجزة عن إنجلترا من حيث الجغرافيا والتاريخ والبنية الاجتماعية والحكومية والاقتصاد والثقافة في العصور القديمة، ومن ذلك اخترنا للقارئ العزيز المقاطع التالية التي سنكتشف من خلالها البنية السردية ولغة الأرقام والإحصاءات في أسلوب الشدياق

من الرحلة

أحوال إنكلترا على وجه الاختصار

يشير هذا النص إلى أن إنجلترا كانت تعرف في اللاتينية باسم «بريتانيا»، وتعني بذلك إنجلترا وويلز وإسكتلندا وآيرلندا. ويقدم معلومات عن المساحة الجغرافية والمعالم الطبيعية، كما يتضمن التاريخ حيث يشير إلى أن الرومانيين غزوا إنجلترا مرتين في القرن الأول قبل الميلاد، وأن عدد سكانها كان مليوناً في ذلك الوقت. إضافة إلى بيان عدد السكان في سنة معينة وعدد المولودين والمتوفين وعدد الأبرشيات، والهيكل الحكومي، وعدد القضاة في المحاكم وأجورهم، وعدد رجال الدين وأعدادهم، وعدد الأطباء والمدرسين، والصناعات والحرف اليدوية المهمة في إنجلترا، مثل الرسامين والمهندسين واللاعبين في الملاهي، والتعليم والثقافة وعدد المدرسين والطلاب والكتّاب والمؤلفين، والخدمة المدنية والعسكرية وتفاصيل عن العاملين فيها، يقول صاحب الرحلة: «... ثم قبل الشروع في الترجمة وفي ذكر شيء من أحوالي، ينبغي هنا أن أقدم كلاماً في أحوال إنكلترا على وجه الاختصار؛ فإن تفصيل ذلك مرجعه إلى كتب التاريخ والجغرافية، فأقول: إن الرومانيين كانوا يسمونها «بريتانيا»، وفي اللاتيني المتعارف تسمى «إنكليا»، وفي لغة أهلها «إنكلاند» ومعنى لاند: أرض، وحين يذكرون بريتانيا فإنما يعنون بذلك إنكلترا وويلز وآيرلند،

وهي منقسمة إلى 52 كونياً أي ولاية. ... ونقلت من جرنال التيمز: أنه يوجد في إنكلترا وآيرلند 54 قاضياً في المحاكم العليا تبلغ وظيفتهم 241804 ليرة، و395 قاضياً في المحاكم الأدنى تبلغ وظيفتهم 292663 ليرة، فتكون جملة القضاة 449، وجملة وظائفهم 534447 ليرة، ..... فأصحاب هذه الحرف الثلاث أعني القسيسية والفقهية والطبية، ومن يتعلق بهم وينضم إليهم يبلغون 110730، وعدد المؤلفين وأهل الأدب 2866، منهم 436 مؤلفاً يكتبون لناشري الكتب، و1302 ما بين كاتب وناشر.... وعدد أهل الصنائع الظريفة 8600 من جملتهم الرسامون، وعدد المدرسين في العلوم 466، وعدد المهندسين 3009، وجملة المشتغلين بالتعليم والتخريج 106344 منهم 34378 رجال و71966 نساء».

قرية المتاعب وترجمة التوراة:

في هذا النص من المقاطع التي اخترناها من الرحلة يحكي المؤلف تجربته مع قرية صغيرة في إنجلترا كأنما يتيح لنا عدسة مكبرة مفصّلة عن ظروف الحياة هناك. ويقدم صورة مكبرة عن حياة الناس في القرية وصعوبات تلبية احتياجاتهم اليومية، ومحدودية الغذاء نوعاً وكماً في مقابل الوفرة التي تتمتع بها المدن، مما يظهر صورة واقعية عن الحياة الريفية في تلك الحقبة. يقول المؤرخ الشدياق: «.. ثم إني أخذت في أن أذهب إلى الدكطر «لي» في كل يوم لأترجم التوراة ثم أعود إلى منزلي ملازماً له، فلم تمضِ عليَّ أيام حتى عيل صبري؛ لأن هذه القرية التي قدر الله أن أسعد الناس بترجمتي فيها كانت من أنحس قرى الإنكليز، على أن جميع قراهم لا تَليط بقلب الغريب لما سيأتي... ولم يكن فيها للأكل غير اللحم والزبدة المخلوطة بالجزر والخبز المخلوط بالبطاطس والجبن واللبن المذيق والبيض والكرنب، وذلك يغني عن ذكر ما هو معدوم فيها، على أن هذه اللوازم إنما كانت نفاية ما يوجد في المدن، .. أما محار البحر والسرطان والأنكليس وهذا الذي يسمونه «البسترا» وهو أطيب ما يُؤكل عندهم، وهو في شكل البرغوث وأكبر من السرطان فلا وجود لها البتة، وأما السمك فلا يرد منه إلا مرة في كل ثلاثة أشهر، على أن جميع أصناف سمكهم مسيخة..».

فقراء الإنكليز وأغنياؤهم

يقدم هذا النص صورة قاسية عن حياة الفقراء في الريف الإنجليزي، وما يواجهونه من عوز مع عجزهم عن تأمين تكاليف مراسم الدين مثل المعمودية، بالمقارنة مع الصورة التي يراها الزوار في المدن الكبيرة، ولا يفوت المؤلف فرصة المقابلة في

مرآته الخاصة باستحضار مشهد فقراء الشام يقول المؤلف: «... ومن قدم إلى إنكلترا ورأى فيها تلك الحوانيت العظيمة والأشغال الجمة والغنى والثروة، حكم على جميع الإنكليز بأنهم أغنياء سعداء، ولكن هيهات فإن أهل القرى هنا كأهل القرى في الشام، بل هم أشد قشفاً، وكثيراً ما تقرأ حكايات تدل على بؤسهم وقشف معيشتهم مما لا يقع في بلاد أخرى.. وسبب فرط فقر الفلاحين هنا هو كون الأرض قد دحاها الله تعالى لأن تكون ملك الأمراء والأشراف فقط،.. وعدد ملاك الأرض في إنكلترا نحو 000,60 عيلة لا غير، وقلما يذوق المساكين اللحم، فَجُلَّ أكلهم الخبز والجبن، فجزار القرية لا يذبح شاة أو بقرة إلا مرة في الأسبوع، ولا يبيع من اللحم إلا نصف رطل أو ربعه، وقد يربي أحدهم خنزيراً في دويرته ويذبحه ويتخذ لحمه كالقورمة التي تتخذ في بر الشام، ويطعم منه في أيام الآحاد، ومن كان ذا يسر قليل اشترى قطعة لحم في يوم السبت وطبخها وتبلّغ بها عامة الأسبوع باردة؛ إذ ليس تسخين الطعام مألوفاً عندهم، فهم أحرى أن يأكلوه بائتاً منذ أيام من أن يسخنوه، ولما طلبت من المرأة التي كنت نازلاً عندها تسخين طعام بقي لي من الغداء، لم تكد تفهم مني إلا بعد شرح وتفسير، وراح كل منا يتعجب من صاحبه.

كمبريج وأكسفورد

يقول المؤلف: «.. واعلم أن كمبريج وأكسفورد هما مدينتان في بلاد الإنكليز، كل منهما يحتوي على نحو 20 مدرسة و2000 طالب، فالأولى تعلم الهندسة والرياضيات والإلهيات، وفي الثانية علوم الأدب والفقه والمنطق والفلسفة، إلا أن منطقهم ليس كمنطق المتقدمين في علله وتعليلاته، ولا يمكن التعلم فيهما إلا بنفقة زائدة، وما أحد يقصدهما إلا أولاد الكبراء والأغنياء، ولا سيما أكسفورد، ... ولكل من هذه المدارس أوقاف يعيش منها القسيسون الملازمون لها،.. وكل من نبغ في علم من العلوم أُجري عليه الرزق من الوقف،.. بشرط ألا يتزوج، ... وفي كل من المدينتين مكتبة عربية، غير أن كتب أكسفورد أكثر، وعدة ما فيها من الكتب العربية وغيرها نحو 000,300 كتاب، وأعظم ما سرني فيها نزولي في محل كان يسكنه شكسبير. وفي مدة إقامتي كلها في كمبريج وهي أكثر من سنة، لم أسمع ولم أرَ من اللهو إلا قرداً وقرّاداً يلاعبه، وكان القرد يضرب بالدف، والنساء والأولاد بل الرجال يجرون وراءه، ولم أرَ أحداً منهم أعطاه شيئاً، ومرة أخرى رأيت امرأتين تعزفان بآلة طرب، فرميت لهما من الشباك بنصف شلين فاستكثرتاه... ثم إن أكثر القائم بخدمة هؤلاء المدارس نساء وأكثرهن حسان،

فتأتي المرأة في الصبح إلى محل أحدهم وهو في فراشه لتوقد له النار، وفي الليل تحضر له الشاي. وفي هاتين المدينتين عادة قبيحة في المبيع والشراء بخلاف عادة الإنكليز، وهي أن الباعة يبيعون الطلبة نسيئة، ويتقاضون منهم ما هو فوق القيمة.... وهاتان المدينتان أغلى من سائر بلاد الإنكليز.

مما يحمد من خصال الإنجليز

حمد الشدياق كثيراً من خصال الإنجليز وعد منها عدم التعنت على النساء فيما لا يكون به مَثْلَبة للعرض، وشيوع الأمن، وصدق الوعد، واختصارهم الكلام مع المخاطب وفي الجملة فليس بين الإنكليز عُرْقُوب ولا أَشْعَب، ومن ذلك أنهم لا يتشبثون بأعقاب الأقاويل، ولا يأتون النميمة والغِيبة إلا قليلاً، فإذا سكن ما بينهم غريب وسمعوا عنه ما يكرهونه منه فلا ينقلون إليه ما سمعوا عنه بل لا يهمهم ما قيل فيه، وإنما يعاملونه بما يظهر لهم من حسن سيرته خلافًا للفرنسيس، فإنهم مثلنا في التعلق بقال وقيل، وفي الاستفحاص عن أحوال الجيران بل أهل البلد، وذكر في خصالهم الحميدة أيضاً التريث في الأمور الخطيرة وحفظ الأمانة، وينضم إلى ذلك احترامهم للرسائل، فلا يفتح أحدهم كتاباً جاءه باسم غيره، بل يبذل جهده في إيصاله إليه، وإذا زارك منهم زائر فلا يمد يده ولا طرفه إلى ما بين يديك من الصحف، فإذا أراد أن ينظر في كتاب لم يلمسه إلا بعد أن يستأذنك. وأصحاب المراتب عندهم لا يقبلون المصانعة والرشوة من أحد لتنويل أربه، وإن عُلِم أنه ارتكب ذلك اقتص منه كما يقتص من السارق، ويسعون إلى تدريب أولادهم على الأشغال، وتمرينهم على ما يكسبهم وإياهم الرزق الكافي، والمواظبة على الأعمال والصبر على ما يتعاطونه جل أو حقر، فإنهم لا يملون من السعي، ولا يرون في الكسل راحة، ولا يقول أحدهم: إني كبرت عن تعلّم شيء، فلا يزالون دائبين كالنمل ما دامت فيهم نسمة تتحرك...».

ليفربول ومنشستر

وفي ليفربول عدة ملاهٍ وملاعب وحوانيت بهيجة وأبنية حسنة، من أعظمها المحل الذي يقال له: قاعة البلد، وأهل المدينة لا يسخرون من الغريب، ثم سافرت منها إلى منشستر وهذه المدينة أشهر مدينة في الدنيا بكثرة المناسج والأنوال، وعدد الصناع فيها نحو 000,80، فإذا اعتبرت أن معظم الآلات يدور بالبخار ظهر لك أن هذا القدر يقوم مقام 000,400 صانع، قال الفاضل ماكولي: إن منشستر هي أعظم مدينة لأشغال القطن والنساجة، وكان القطن مذ 50 عاماً يجلب إليها من إزمير وقبرص، وجملة ما ورد إليها في غاية القرن السابع عشر لم يبلغ مليوني رطل. أما الآن فإن هذا القدر لا يكفي لعمل 48 ساعة، فانظر إلى هذا الفرق العظيم الذي نشأ عن قوة البخار حتى إنه جعلها تفوق في الثروة والغنى على قواعد أوروبا جميعاً وذلك نحو برلين ومدريد وليسبون، وكان أهلها إذ ذاك نحو 6000 نسمة، ولم يكن فيها مطبعة ولا عاجلة، والآن فيها 100 مطبعة و20 صانعاً للعجلات.

جواز السفر في فرنسا

واعلم أنه من يدخل فرنسا وغيرها أيضاً من بلاد الإفرنج فلا بد له من أن يبرز جوازه في الثغور - أي الباسبورت - وإلا فلا يَدَعُونه يدخل، ولا يمكن للغريب أن يخرج من بلاد فرنسا إلا إذا أدى في ديوان الجواز 10 فرنكات، أما من يقدم إلى بلاد الإنكليز فليس عليه أن يبرز الجواز، كما أن الخارج منها ليس عليه أن يؤدي شيئاً أيضاً؛ ولذلك يقال: إن بلاد الإنكليز بلاد الحرية، وسببه عندي - والله أعلم - أن الإنكليز لما كانوا في الزمن القديم متخلفين عن سائر الإفرنج في أسباب التمدن والعلوم كما مر بك من جملة مُثُل ولا سيما في الكلام على منشستر، احتاجوا إلى أن يتساهلوا مع جيرانهم في أشياء تستميلهم إلى زيارته.

الساعة الدقاقة هدية هارون الرشيد

وقال فلتير في موضع آخر: «وأول ساعة دقاقة عرفت في فرنسا هي التي أهداها هارون الرشيد إلى شارلمان». وقد أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى شارلمان ملك فرنسا، وذلك في عام 807، وكانت بِدْعاً في ذلك العصر، حتى إنها أورثت رجال الديوان حيرة وذهولاً، والظاهر أنها كانت من الآلات التي يديرها الماء المنحدر، وكان لها اثنا عشر باباً صغيراً تنقسم بها الساعات، فكلما مضت ساعة انفتح باب وخرج منه كرات من نحاس صغيرة تقع على جرس فيطن بعدد الساعات، وتبقى الأبواب مفتوحة، وحينئذ تخرج صور اثني عشر فارساً على خيل وتدور على صفحة الساعة.

مواضع في باريس لا نظير لها

وفي باريس مواضع عدة لا نظير لها في الدنيا بأسرها، أولها: البلفار، وهو طريق واسع طويل ممتد يحيط بباريس كالمِنْطَقة للخَصْر؛ كلا جانبيه محفوف بالشجر المتوازي الوضع، وبالدكاكين الظريفة والديار الشاهقة، ومواضع القهوة الأنيقة الحافلة، فلا تزال ترى أمامها ألوفاً من الكراسي يجلس عليها الرجال والنساء، وهناك يقرؤون صحف الأخبار ويتفاوضون

في إدارة المصالح والأشغال، فهي عندهم بمقام المصر، وقد تكون حيطان المحل كلها من المرايا، وسقفه كسقف الكنائس مزخرفة منقوشة، وفيها متكآت ومقاعد ومواقد نفيسة، ولا تزال غاصة بالناس إلى نصف الليل، وقد يكون لها رواشن أومشربيات فيها مقاعد يرى الإنسان منها جميع ما يمر في الطريق.

الثاني: الموضع الذي يقال له: «بالي روايال» أي القصر الملوكي، وإنما سمي كذلك لمجاورته قصراً كان مقر الملوك، وهو عبارة عن صَفَّيْ دكاكين متقابلين، فوقها منازل ومطاعم وحمامات ومحال للقهوة، وبينهما أشجار وحوض ومقاعد وممشىً للناس، ففي الدكاكين ترى أحسن الملبوس وأنفس الحلي والتحف من المعادن والجواهر.

الثالث: الموضع المسمى «شانزلزي» أي روضة الأصفياء، وهو غيضة طويلة ذات شطرين طولها إلى حد الأرج أكثر من 800 ذراع، وعرضها في الأقل 160 ذراعاً، ولها مقاعد من خشب، وكراسي على طول جهتي الطريق، وبين الشطرين طريق واسع لمرور الخيل والحوافل والعواجل، ففي أيام الأعياد ترى هذا الممر ملآن من تلك المراكب، فإن أهل الثروة يذهبون إلى هناك متفاخرين بما فوقهم من اللباس، وبما تحتهم من المركوب، وترى النساء في العواجل المفتوحة متكئات كأنما هن على نمارق وفرش، والعجب والتيه يلمعان من جنبهن، وكثيراً ما تراهن راكبات على هذه الصفة ودخان التبغ خارج من أفواههن.

الرابع: الساحة المسماة «بلاس دلاكنكورد»، وهي بين الغيضة المذكورة وحديقة التولري، .. وفيها تماثيل من نحاس تقذف بالماء صعداً فيقع على شبه جرن عليه تماثيل أربعة أولاد وبطة يخرج الماء من أفواهها، فيلتقي كلا الماءين وينحدران إلى الحوض، وبينهما عمود جلب من مصر عليه حروف بلسان قدماء مصر، قال غالنياني: هذه المسلة انتزعت من موضع بمصر أمام هيكل طيبس في مصر الذي بني عام 1550 قبل الميلاد، واسمها «لكسور» محرفة عن القصر، وكانت إحدى اثنتين جاد بهما محمد علي باشا على دولة فرنسا تذكاراً لألفتهما ومودتهما، والثانية لم تزل في موضعها، ولا بد من أنها تجلب. إلى هنا ننتهي من سرد هذه الرحلة التي لم تكن نظرة عابرة، ولا طلباً للتسلية، بل كانت تدقيقاً عميقاً في أحوال الناهض وقراءة لواقع السقوط، ونقداً للذات وتحليلاً للآخر وأهيب بالقارئ أن يعود إلى الرحلة فيقرأها وليجد فيها ما وجدت من الأهمية والمتعة في آن. وإلى رحلة جديدة قادمة ■

باحث في أدب الرحلة

الهوامش:

1. الموارنة مجموعة دينية تقطن سواحل بلاد الشام، وخاصةً لبنان، تعود تسميتهم إلى مار مارون الراهب السرياني وانتقل اتباعه لاحقاً إلى جبل لبنان، مؤسسين بذلك الكنيسة المارونية، (الكنيسة الأنطاكية السريانية) خلال فترتي الخلافتين الأموية والعباسية، حافظوا على ديانتهم المسيحية ولغتهم السريانية، وفي القرن التاسع عشر هيمنوا على متصرفية جبل لبنان العثمانية.

2. تذكر المصادر أنها كانت من أصول سورية، وكانت جارة له في مصر أثناء عمله في جريدة «الوقائع» المصرية، وكانت الفتاة على المذهب الكاثوليكي ما اضطره إلى اعتناق الكاثوليكية ولو ليوم واحد كما اشترط والد الفتاة.

المراجع:

- «كشف المُخبّا عن فنون أوروبا»، لأحمد فارس الشدياق، تقديم عصمت نصار، الإسكندرية، مصر، مكتبة الإسكندرية 2011م، طباعة مشتركة دار الكتاب المصري - اللبناني، 2012م.

- نقد المدنية الغربية من منظور الرحالة العرب، أحمد فارس الشدياق نموذجاً، مجلة جامعة المعارف، العدد 6، غيضان السيد علي - أستاذ الفلسفة - كلية الآداب بني سويف مصر.

- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط 15، دار العلم، 2002م.

ذكريات زمن البدايات:

تسجيلات نادرة مع شيخين

«صاحب السمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي وصاحب السمو الشيخ حمد الشرقي»

خليل عيلبوني

الفرصة التي أتيحت لي منذ وصولي إلى أبوظبي في الأول من يناير 1971 تميزت بأمرين اثنين:
الأول: مواكبة المسيرة البترولية من بدايتها، فقد وضعني العمل الإعلامي في الإذاعة والتلفزيون في مجلس القيادة، لأُسجّل، وأتابع، وأواكب خطة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان قائد المسيرة، وولي عهده الأمين المغفور له الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، والمسؤول عن جهاز البترول معالي الدكتور مانع سعيد العتيبة، رئيس الدائرة وزير البترول
الثاني: مواكبة مسيرة الاتحاد، فقد لمست منذ اليوم الأول لوصولي إلى أبوظبي أن هناك سبع إمارات منفصلة بعضها عن بعض غير مستقلة عن الاستعمار البريطاني بعد، بل إن سفارات بريطانيا في جميع أنحاء العالم هي التي تقوم بإصدار تأشيرات الدخول لمن يريد السفر إلى أي إمارة من تلك الإمارات السبع.
شخصياً، عندما أرسل لي الأخ مفيد مرعي تأشيرة الدخول في ديسمبر 1970 قمت بطبعها في السفارة البريطانية في بيروت، ومن بيروت وعلى متن طيران الشرق الأوسط وصلت إلى أبوظبي في الأول من يناير 1971. وخلال شهر يناير تمكّنت من زيارة الإمارات الأخرى حيث قمت بزيارة الأخ توفيق أبو خاطر الذي كان يعمل مستشاراً اقتصادياً للمغفور له الشيخ صقر القاسمي حاكم رأس الخيمة.

قامت دولة الإمارات العربية المتحدة
زايد رئيساً للاتحاد وراشد نائباً للرئيس
الاتحاد

جمعني بتوفيق أبو خاطر روابط عائلية قديمة؛ فهو ابن رجل بار من فلسطين هو إلياس الذياب، مازلت أذكر برغم سن الطفولة المبكرة أنه كان يملك ما يشبه الفندق في مدينة «طبريا». جمعتنا نكبة عام 1948 بعد خروجنا من طبريا في قرية سياحية شهيرة اسمها «الحمة» وهي في الأراضي السورية. وفي تلك القرية الصغيرة، عشنا السنوات الأولى للنزوح، وقامت بيننا ارتباطات عائلية جعلتنا كأسرة واحدة. اتجه توفيق فيما بعد مع عائلته إلى سوريا ثم إلى لبنان حيث تمكّنوا من الحصول على الجنسية اللبنانية، وتمكّن من التحصيل العلمي والدراسة المتقدمة، والعمل مع شركات البترول خاصةً «شل»، ثم استقر أخيراً في رأس الخيمة. لا أدري لماذا حرصت على زيارته، ألأطلب مساعدته، أم لألبي نداء الذكرى ودعوة الحنين إلى الأيام الأولى؟ استقبلني توفيق أبو خاطر في بيته، وسألني عن أفراد الأسرة واحداً واحداً، ووعد بالاتصال بسعادة راشد عبد الله النعيمي الذي انتقل من دائرة البترول إلى دائرة الإعلام بدرجة وكيل دائرة، برغم أنني لم أطلب منه ذلك، ولكن ذلك اللقاء ظل محفوراً في ذاكرتي إذ تحدثنا طويلاً عن الإمارات، وعن المستقبل الذي ينتظرنا. أدركت وأنا أنتقل

من أبوظبي إلى دبي، ومنها إلى الشارقة وعجمان وأم القيوين ورأس الخيمة والفجيرة، أنه لا توجد حدود حقيقية أو رسمية بين هذه الإمارات، ولولا ذلك المركز الحدودي البسيط المقام على «سيح شعيب» بين أبوظبي ودبي لما كان هناك أي حاجز يمنع دخول المواطنين والمقيمين إلى أي إمارة. وحتى ذلك المركز الحدودي، كان يمكن ألا تصل إليه بسبب تعدد الطرق والمسالك الصحراوية بين الإمارتين، إنه مجرد نقطة في مكان متسع تستطيع ببساطة وبسيارات الدفع الرباعي أن تتجاهله، وتصل إلى أي مكان دون أن تمر به. وفي ذلك الزمن، لم تكن تستطيع الانتقال من أبوظبي إلى دبي إلا بسيارات الدفع الرباعي لعدم وجود الطريق المرصوفة. اليوم، عندما أنتقل من أبوظبي إلى دبي بسيارتي الصالون العادية، وأمر بذلك المركز الحدودي الذي لم يعد فيه إلا شرطة المرور الاتحادية أتذكر تلك الرحلة الأولى، ولا أملك إلا إلقاء التحية، والابتسام لذلك الشرطي الذي قام بختم جواز سفري ذات يوم من شهر يناير 1971 متسائلاً: أين أراضيه، وهل ما زال حيّاً يرزق حتى اليوم؟

التشكيلة الحكومية:

تعددت سفراتنا فيما بعد، بين أبوظبي والإمارات خاصةً بعد توالي الخطوات الاتحادية، وبالتحديد بعد الثامن عشر من يوليو 1971 حيث اجتمع حكام الإمارات السبع وقرروا إقامة دولة الاتحاد، باستثناء رأس الخيمة التي انضمت إليه في العاشر من فبراير 1972. وكانت إمارة أبوظبي سبّاقة في إعلان أول وزارة للإمارة في الأول من يوليو 1971؛ فقد صدر المرسوم رقم 8 لسنة 1971، وللتسجيل التاريخي، كانت أول وزارة لإمارة أبوظبي تتشكل من:

- **صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع والمالية.**
- **سمو الشيخ حمدان بن محمد آل نهيان، نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للأشغال.**
- **سمو الشيخ مبارك بن محمد آل نهيان وزيراً للداخلية.**
- **سمو الشيخ محمد بن خالد آل نهيان وزيراً للمواصلات.**
- **سمو الشيخ سيف بن محمد آل نهيان وزيراً للصحة.**
- **سمو الشيخ خليفة بن محمد آل نهيان وزيراً للماء والكهرباء**
- **سمو الشيخ سرور بن محمد آل نهيان وزيراً للعدل.**
- **الشيخ أحمد بن حامد وزيراً للإعلام والسياحة.**
- **الأستاذ أحمد خليفة السويدي وزيراً لشؤون الرئاسة.**
- **الأستاذ مانع سعيد العتيبة وزيراً للبترول والصناعة.**
- **السيد خلف بن أحمد العتيبة وزيراً للاقتصاد والتجارة.**
- **السيد محمد بن خليفة الكندي وزيراً للتربية.**
- **الأستاذ محمد حبروش وزيراً للدولة.**
- **الأستاذ عدنان الباجهجي وزيراً للدولة.**

كان واضحاً من خلال ما يتم على أرض الواقع من خطوات أن هناك مخاضاً لدولة قوية قادمة، دولة تتحد فيها الإمارات السبع على الأقل، حيث إن الطموح بضم قطر والبحرين إلى تلك الدولة لم يعد واقعيّاً بعد أن أعلنت البحرين وقطر رغبتهما بالاستقلال، وإنشاء دولتين مستقلتين ترتبطان مع دول الخليج الأخرى بعهود ومواثيق واتفاقيات تعاون. وكنا نحن في الإذاعة والتلفزيون بمنزلة الأداة التنفيذية لهذا الاتجاه الذي قاده صاحب السمو المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد - رحمه الله - وقد جمعتني بالمغفور له لقاءات عدة، أدركت بعدها أنه الوحيد الذي يمكن أن يتفق عليه الجميع بلا استثناء، سواء على مستوى الشعب أو مستوى الحكام.

رحلات داخل الإمارات:

وحتى نمهد الطريق، وننقل الصورة، ونبث الفكرة، وندعو لتحقيق الدولة الحلم.. بدأت رحلاتنا إلى مختلف أنحاء الإمارات. قمت بتسجيل لقاءات مع مواطنين عاديين، ومع مسؤولين في مختلف أجهزة الدولة. ومن أهم اللقاءات التي قمت بها لقائي مع صاحب السمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، وكان في ذلك الوقت مديراً لديوان شقيقه صاحب السمو المغفور له الشيخ خالد، رحمه الله. كان سموه في ذلك الزمن شاباً حديث التخرج من جامعة القاهرة، وأدركت وأنا أدير اللقاء، وأسأله أنني أحاور مثقفاً يعرف جيداً قيمة الاتحاد، ويتحمل مسؤولية الدعوة له والعمل على تحقيقه. ما زلتُ محتفظاً بهذا التسجيل النادر حتى الآن، وحينما أستمع إليه، أشعر بمزيد من الإعجاب والتقدير لهذا التوافق القائم بين الحاكم والشعب. كذلك سجلت لقاء مع صاحب السمو الشيخ حمد الشرقي في مكتبه في دبي، وكان سموه في ذلك الزمن ولياً للعهد، ويرأس مكتب التطوير الاقتصادي للإمارات.

لا أعتقد أن عمر كلٍّ من سموهما في ذلك الزمن كان يتعدى الرابعة والعشرين، ووجدت فيهما نضجاً وإصراراً على الخطوات الوحدوية منقطع النظير، وكان الاتجاه الوحدوي الذي يؤمنان به يُعدُّ من العلامات الواضحة التي تؤكد وجود الرغبة الحقيقية لدى الجميع في تحقيق دولة الإمارات العربية المتحدة. وبصراحة، كان الجميع متفقاً على أن القائد الاتحادي للجميع، شعباً وحكاماً هو الشيخ زايد بن سلطان - طيب الله ثراه - ما أعتز به أنه برغم مضي السنوات، وتغير الأحوال فما زلتُ في ذاكرة سموهما حتى الآن، وفي كل مرة ألتقي بهما أجدهما يذكران اسمي، وكأننا التقينا أمس لا قبل نحو خمسين عاماً، ولا أعتقد أن هناك وفاءً أجمل وأعظم من هذا الوفاء.

زيارات الميكروفون:

كانت زيارات الميكروفون التي قمت بها في ذلك الزمن تشمل النوادي، والمؤسسات الاجتماعية. التقينا بمواطنين من دبي، ومن رأس الخيمة، ومن عجمان، ومن أم القيوين، ومن الفجيرة، ومن الشارقة، وأجمع الذين التقينا بهم على ضرورة الاتحاد، وأنه لا يمكن لأي إمارة أن تنشئ دولة مستقلة منفردة، واتفق الجميع على أن زايداً هو القائد الذي لا بديل له، والذي يشعر الجميع أنه يمثلهم، وأنه قائدهم الذي يحبونه ولا يرضون عنه بديلاً. كانت تلك اللقاءات الإذاعية والتلفزيونية التي قمنا بها في الإمارات بمنزلة استفتاء شعبي على الاتحاد، وعلى قيام دولة الإمارات العربية المتحدة برئاسة الشيخ زايد، ونائبه الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم رحمهما الله. أرجع أحياناً إلى تلك التسجيلات، ولا أنكر أنني فقدت الكثير منها، وكل ما أرجوه وأتمناه ألا تكون مكتبة الإذاعة قد تخلصت من أشرطة تلك التسجيلات، خاصةً بعد النقلة النوعية التي عرفها العمل الإذاعي؛ فقد أخذت بعض المكتبات الإذاعية الآن بتنفيذ فكرة التخلّي عن آلاف الأشرطة التي تأخذ حيزاً كبيراً، وفي المقابل، باتت تعتمد على الأسطوانات الصغيرة التي يسهل حفظها وتخزينها.

في الثاني من ديسمبر 1971، كنت مع معالي الأخ سعيد الغيث في دبي بوصفنا مذيعين للإذاعة والتلفزيون، ونقلت من هناك لحظات إعلان الدولة. فاجأني تلفزيون الإمارات في عام 2008 باستضافتي، بوصفي أول مذيع نقل نبأ دولة الاتحاد، وأصغيت مع المشاهدين إلى الكلمات التي أطلقتها في تلك اللحظات التاريخية، ولم أستطع منع دمعة الفرح والاعتزاز من تسجيل موقف المحبة التي جمعتني بهذا البلد وشعبه وقادته ■

شاعر وإعلامي

زمن السيداف.... رواية توثق تاريخاً من صمود الأجداد

وداد خليفة ترصد تحوّلات مفصلية في حياة المجتمع الإماراتي

نشوة أحمد

بين شحّ الماء، وقلة الزرع، وهجوم الأوبئة، وخيانة البحر، وتسلط الجوع، مارست الطبيعة صنوفاً من القسوة. وتربص الموت بالرقاب. لكن الصمود كان لغة أتقنها الأجداد. وكتبوا بها تاريخهم، الذي أعادت الكاتبة الإماراتية وداد خليفة إحياءه وتوثيقه، في روايتها «زمن السيداف»، الصادرة عن دار العين - القاهرة.

تشي العتبة الأولى للنص، بفضاء زمني، عانى فيه سكان الإمارات من قلة الموارد، وكان نبات السيداف أحد وسائلهم لمقاومة شح الغذاء، والظروف الصعبة التي زاد من وطأتها أفول مهنة الغوص، بعد تراجع تجارة اللؤلؤ، وكسادها نتيجة حروب عالمية، لم تكن الإمارات طرفاً فيها، لكنها تضررت منها، نظراً لوجودها تحت الحماية البريطانية حينذاك. وقد اعتمدت الكاتبة بناءً دائرياً في سرد الأحداث، فانطلقت من انهيار الشخصية المحورية «موزانة»، أمام دار الاعتماد البريطانية. وسلكت زمناً عكسياً عبر تقنيات التذكر، والفلاش باك، لتستعيد البطلة تاريخاً من المرارة والألم، وسلسلة من الأحداث تنتهي عند نقطة البداية ذاتها، لحظة انهيارها أمام دار المعتمد البريطاني.

ورغم ما لعبته موزانة من دورٍ محوري في السرد، لا سيما في ظل ما عاشته من قهر، ومصائر مظلمة، فإن الكاتبة فضلت استخدام سرد مركزي، منحت صوته لراوٍ عليم، يرى الشخوص بعينٍ موضوعية من الخارج، ويعلم بواطنها وأسرارها من الداخل، وربما برر هذا الاختيار تنوع الشخوص، والقضايا، والأحداث، وامتداد فضاءاتها الزمنية، والمكانية.

ثيمة الصدمة

في رحلتها السردية التي يمتزج فيها الحقيقي بالتخييل، لجأت الكاتبة إلى نظرية الصدمة، إذ انطلقت الأحداث المستعادة عبر تقنيات التذكر والاسترجاع، من إغارة رجال ابن ديلان على واحدة من القبائل في منطقة العين، وقيامهم بالسلب، والنهب، وسبي النساء، وخطف الأطفال. وكانت موزانة «الشخصية المحورية»، واحدة من أولئك الأطفال المخطوفين. وقد عزز منهج الصدمة، إمكانية إبراز الآثار النفسية والاجتماعية العنيفة لتجربة الرق والعبودية، كقضية رئيسية للسرد، جسدتها الكاتبة عبر تجربة البطلة، وما تعرضت له من هزة عنيفة، تغيّر على إثرها مسار حياتها، على المستويين السيكولوجي والاجتماعي. ولم تكن العبودية القضية الوحيدة للسرد، وإنما فَجّر النص العديد من القضايا الأخرى، التي تتصل بتاريخ طويل من صراع الشعب الإماراتي، مع طبيعة قاسية، وظروف معيشية صعبة قبل ظهور النفط، ومستعمر عمل على عزل الدولة وحرمانها من حقوقها وثرواتها لوقت طويل، ومن كل فرص التطور والنمو. وعبر هذا الصراع رصدت الكاتبة تناقضات النفس والعالم. وأبرزت الكثير من الثنائيات التقليدية، التي تتراوح ما بين الخير والشر، الحق والباطل، القسوة والرحمة، الإباء والذل.

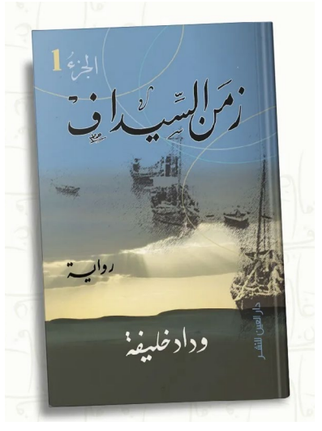

روافد التراث

انفتح النسيج الروائي في مساحات واسعة منه على التراث الإماراتي، فاستدعت الكاتبة ما يتصل بالزي التقليدي، مثل: الكندورة، والغترة، والعقال، والسويعية، والشيلة، والوسمة، والبرقع. وتطرقت إلى بعض أنواع الأكلات المحلية مثل: البلاليط، والعصيد، والخبيص والجراد. ورصدت طقوس دلة القهوة ومكانتها، والفوالة كجزء أصيل من ثقافة الكرم الإماراتي، والاحتفاء بالضيف. وتطرقت إلى الاجتماعات في المجالس، وما كان يدور فيها من نقاشات. كما رصدت الموروث من المعتقد الشعبي، الذي يتطير من امرأة يموت لها أكثر من زوج، ومن سدرة تكبر ويرتفع أعلاها ليطل على البحر، ويعتبره إنذاراً بموت واحد من أهل البيت، في حين يؤمن بأن دفن سرة المولودة الأنثى بجوار التنور، يجعلها - حين تكبر - ربة بيت ممتازة، ودفن سرة المولود الذكر بجوار المسجد وسيلة، لجعله مواظباً على الصلاة. وتطرقت إلى معتقدات أخرى منها أن المرأة التي لم تنجب تحمل، إذا جلست فوق مشيمة ساخنة. كذلك رصدت الحضور الكثيف للجن في المعتقد الشعبي الإماراتي، «أخذ خيزرانته، وقرأ عليها آيات من القرآن وأسماء الله الحسنى، ثم بلل الطرف المنحني منها بريقه، ووضعه في أذنه وبدأ ينفخ على العصا، وما هي إلا لحظات حتى صرخ الجني، الذي كان متلبساً أحد الغواصين الثلاثة. ولم يتوقف المطوع حتى أخذ عهداً منه بألا يقترب من الغواص، ولا يعود إليه وإلا سيحرقه بكلام الله». ص 166

الغث والنفيس

انفتح السرد كذلك على روافد أخرى للموروث، لا سيما الطب الشعبي، الذي تعددت وسائله بين العلاج بالوسم، ودق الزار، والحجامة، إضافة إلى بعض الوصفات الشعبية، مثل التداوي باليعدة لتخفيف أثر الحمى، ودهن الحروق بالدهن والسكر، وتجبير الكسور باستخدام الأخشاب الرقيقة وزلال البيض، ومعالجة القروح والأمراض الجلدية، مثل السمط الذي كان

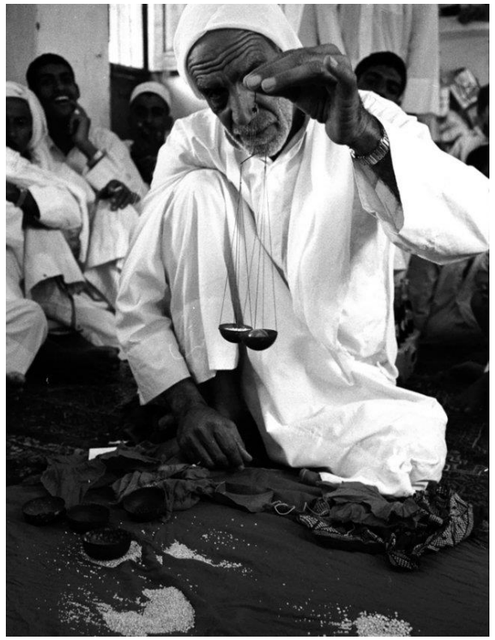

يصيب الغواصين، بخليط من الهليهلي، والكركم، والجفت، ويلف الرمان. واستدعت الكاتبة بعض المهن التراثية، مثل: مهنة المطوع، ومهنة مقتفي الأثر. واستدعت في غير موضع بعض الأمثال الشعبية، مثل «إن دميت كلني السمج، وإن غفيت كلني الطير»، «ما تقوم المويه، إلا وحادها الهوا»... وطعّمت نسيجها ببعض الغناء الشعبي، الذي يعد مكوناً أصيلاً

للتراث الإماراتي، سواء لدى سكان السواحل، أو سكان البادية. وعرجت على بعض العادات الاجتماعية، سواء التي اندثرت، أو التي لا تزال صامدة، مثل حرق طرف رسالة بعد كتابتها، ما ينم عن عدم قبول رد الطلب الذي جاء فيها، وامتناع العربي عن الجلوس بالدكاكين للبيع والشراء، لاعتبارها مهنة شائنة تحط من قدره، إضافة إلى بعض عادات الأعراس، مثل عرض أغراض العروس، وتعاون الأهل والجيران بتجهيزها للعرس، وملامسة الأنوف في تحية الرجال بعضهم لبعض، وامتناع العزباء عن حضور الأفراح والمآتم. وقامت «وداد خليفة» بتفنيد ما استدعته من موروث شعبي، لتميز بين النفيس والغث. ومررت من الرؤى ما يدين - ضمناً - عرفاً تبيح قوانينه الانتقام من الابن جراء ما اقترفه أبوه، أو تنذر فتاة لأحد أقاربها دون الالتفات لها، ولا الاعتداد برأيها «البنت مالها شوريا غانم، الشور شور أهلها وهاي عوايدنا... ليس كل ما توارثناه نافعاً، كم من الأعراف والعادات والمعتقدات الخاطئة التي يجب أن تُمحى من مجتمعنا».

متعة المعرفة

أتاحت الحقبة التي اختارتها الكاتبة فضاء زمنياً للسرد؛ بروز تمثلات سياسية وثقافية، وتمرير الكثير من الحمولات المعرفية، التي تتصل بتاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة، وثقافتها، وتراثها، وجغرافيتها، وعلاقاتها التجارية مع الهند، وزنجبار، وإيران، ودول الخليج العربي، إضافة إلى الظروف القاسية التي عاشها الإماراتيون تحت الحماية البريطانية، وتطور حالة الرفض لوجود المستعمر، وتضامن الشعب الإماراتي مع القضايا القومية العربية، لا سيما مع ظهور الراديو، ومع ما أحدثته الإذاعات الغربية والعربية، من أثر في الوعي، وفي إزالة العزلة المفروضة على المنطقة. وعبر ما استدعته الكاتبة من معارف، وثّقت التاريخ الاجتماعي للإمارات. ورصدت التحولات الكبيرة التي شهدتها مع أفول مهنة الغوص، وحالة الركود، وهروب الشباب للعمل في دول الخليج المجاورة. كما تخلل السرد معارف أخرى يتصل بعضها بتجارة الرقيق، ويتصل بعضها الآخر بمهنة الغوص واللؤلؤ والمحار، في حين يدحض بعضها مغالطات تاريخية، ويكشف حقائق حاول الغرب تزييفها، لا سيما حين سموا القواسم بالقراصنة لأنهم دافعوا عن سواحلهم ضد الغزاة.

كان الوصف وسيلة ناجعة أتاحت للكاتبة رسم ملامح البيئة المحلية ومفرداتها، وخاصة بعد اندثار كل أثر يدل على تلك الحقبة. ولجأت إلى هذه التقنية لا لرسم ملامح البيئة الإماراتية وحسب، وإنما لرسم الفضاءات المكانية كلها للسرد، التي امتدت لتشمل كل من الهند والعراق وزنجبار. ونجحت عبر مستويات الوصف الإبهاري، في إتاحة استراحات سردية تمكن من تأمل الماضي، وفي توريط القارئ بعالم

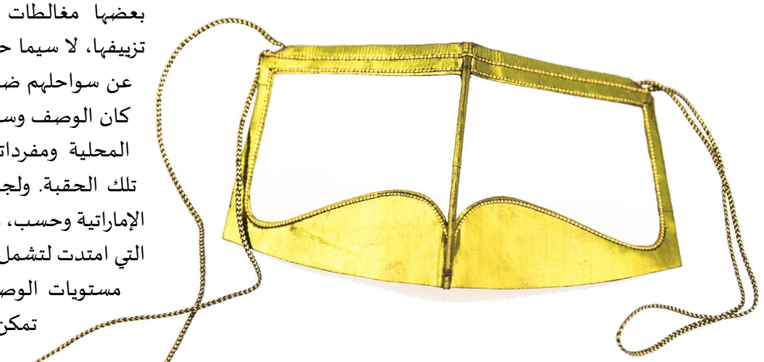

الشخوص رؤى تؤكد قدرة المرأة على المشاركة الفاعلة، وعلى تحقيق ذاتها وكسر القيود كافة. وكما قامت برصد تحولات اجتماعية مفصلية في حقبة مهمة من تاريخ الإمارات، عمدت إلى استجلاء أثر تلك التحولات، على الشخوص فولجت عوالمهم الداخلية، عبر تقنيات الحلم والمونولوج الداخلي، فكشفت عن صراعاتهم وتناقضاتهم، التي تراوحت بين قوة وعجز، أمل ويأس، تحدٍ وخنوع. كما استفادت من الوظيفة التمهيدية للحلم في التمهيد للاحق من الأحداث «يرى في منامه أنه في جب مظلم سحيق، وهو يدور على نفسه في ظلام الجب... رفع رأسه للسماء ليرى في نهاية الجب طاقة نور قوي لم تحتمله عيناه، وضع كفه عليهما محاولاً تخفيف حدة النور، ليرى خيالاً لشخص ماداً ذراعيه .. مشيراً إليه تعال، حاول عوض الصراخ التفوه بكلمة لا أستطيع، لكن صوته اختفى واستمر الشخص يلح عليه تعال، تعال». ورغم ما يتبع غايات الرصد والتوثيق؛ من سكونية التلقي، عمدت الكاتبة إلى كسر هذه السكونية، عبر ما لفت به بعض شخوصها من غموض، مثل شخصية سليم «زوج شيخانة»، لتشرك القارئ في لعبة السرد، عبر دفعه لتفسير ذاك الغموض ■

كاتبة صحفية مصرية

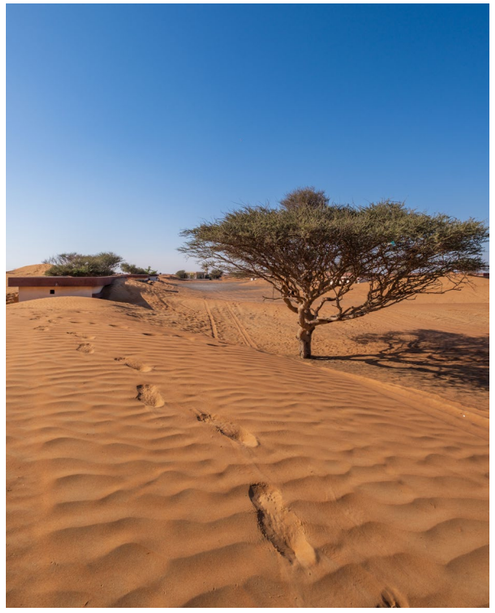

النص. وقد عززت هذه الحالة من التماهي؛ جاذبية الشخوص، وما استدعته الكاتبة من لهجات محلية، تخللت الحوار، الذي ساعد بدوره على الإيهام بواقعية، وآنية الحدوث. وأسهمت اللغة التي اتسمت بالمشهدية، وبالقدرة على استنفار الحواس، في إكساب السرد صفة صورية، نجحت الكاتبة من خلالها في نقل الشخوص والأحداث إلى حيز الرؤية والإدراك «في مطبخ البيت العود كانت دقات المنحاز تفتق سكون الفجر، جلست يميعة تدق حبات القهوة، بعد أن حمصتها في التاوة، دخل بخيت الكاسور المطبخ .. واجماً يعلوه الهم» ص 223

بعيداً عن التنميط

حظيت المرأة بحضور قوي داخل النص، وحدت الكاتبة ببعض شخوصها النسائية، بعيداً عن دائرة التنميط، إذ كسرت عبر بعض الشخصيات مثل عفراء، وسلامة العودة؛ الصورة النمطية للمرأة، التي تجنح إلى الانزواء وتتوارى إلى الظل، فجعلتها شخصيات مؤثرة، لعبت أدواراً اجتماعية وقيادية، وأدارت أنشطة تجارية بكفاءة واقتدار، لتمرر عبر تلك

النخلة في عيون شعراء الإمارات

قتيبة أحمد المقطرن

النخلة ذلك الكيان الراسخ في عمق صحراء شبه الجزيرة العربية.. هي الجانب الظليل الوارف فوق رمالها الذهبية، عاش الأجداد والآباء على رُطبها وتمرها، وبنوا بيوتهم من جريدها، واستظل عابرو الطريق بأفيائها. ولكنْ تبقى الرؤية قاصرة لو تخيّلنا هذه الصحراء خالية من هذه الشجرة المباركة، فهي بلا شك الابن الشرعي للصحراء وجزء لا يتجزأ منها، متجذّرة في رمالها منذ الأزل، عايشت حرّها وقرّها، وكانت الشاهد الأمين على الأحداث التي دارت رحاها على هذه الصحراء.

لقد حظيت النخلة باهتمام الشعراء على مرّ التاريخ، ولا تزال، فراحوا يتغنون بجمالها وظلالها وثمارها، والنخلة شجرة مباركة لها قدسيتها؛ فقد جاء ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من سورة، في قوله تعالى: حيث أوحى إلى مريم العذراء أن تأكل من ثمرها وهي تضع السيد المسيح، عليه السلام: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ مريم/25. وفي قوله سبحانه: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ ق/10، وفي قوله جلّ وعلا: ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ الرحمن/11. وجاء القرآن الكريم على ذكرها في سور أخرى كثيرة: الأنعام وطه والكهف

والشعراء والقمر والحاقة. وهذا يوضح بجلاء منزلة هذه الشجرة التي باركها الحق تبارك وتعالى، فكيف لا نباركها نحن بني البشر؟ والنخلة بهذه المكانة ليست كغيرها من الأشجار المترامية فوق رمال الصحراء.

وتذكر كتب التاريخ والأدب في الحديث عن منزلة النخلة عند العرب، أنه في العصر الأموي كتب خالد بن صفوان[1] إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يشيد بمحاسن البصرة، فكان النخيل بيتَ القصيد، قال: «ونَهرُنا العَجَب أوَّله الرُّطب وأوسَطُه العِنب وآخره القَصَب، فأما الرُّطَب عندنا فمن النخل في مَبَارِكِه كالزيتون عندكم في منابته، هذا على أفنانه كذاك على أغصانه، هذا في زمانه كذاك في إبَّانِهِ، من الراسخات في الوحل المُطعِمات في المحل»[2].

إن ابن صفوان في هذا الوصف رسم لوحة بديعة للنخل وكأنه يتغزل به من خلال المقارنة التي أبدع في تشكيلها بين هاتين الشجرتين المباركتين، النخل والزيتون.

إن الانتشار الكبير للنخلة في الإمارات لهو خير دليل على المكانة التي كانت تحظى بها عند أبناء الإمارات؛ وأكبر دليل على مكانتها ومنزلتها في الإمارات، اهتمام المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان - طيّب الله ثراه - بإكثارها وزراعتها في أنحاء الإمارات كلها، حتى غدت أعدادها بالملايين. إنها تعيش في كيان ووجدان أبناء الإمارات، في ماضيهم وحاضرهم، يستمدون منها الكينونة والوجود، ويستشعرون من خلالها معاني الأصالة والانتماء والولاء للأرض. عايشت آمالهم وآلامهم، ووقفت إلى جانبهم في أوقات القحط والجفاف وأمدّتهم بخيرها وثمرها، خصوصاً قبل الطفرة النفطية، إنها المكان المتجذر في المكان، تتعاقب عليها الأجيال والسنون وهي صامدة شامخة، هي تاريخ الأجداد وعنوان البقاء. واعترافاً بفضلها وتكريماً لها فقد بنى لها شعراء الإمارات صروحاً شامخة في أشعارهم، وراحوا يتحدثون عنها بكل حب ووفاء ونُبل، يقول الشاعر سيف المري:

هَامَـــتْ بِحُـبِّ النخلـــةِ الشعــراءُ
فَجَـــرَتْ على سُنَـــنِ الهـوى الأهـــواءُ
وتَتَابعــتْ فـــي وصفِهـــا أبياتُهـــم
والحُـــبُّ عنـــدَ بَنِي القَريضِ عَطـــاءُ
كانـــتْ لَنَـــا ظِلّاً وكانـــتْ مطعـــماً
إنْ قَـــلَّ زَادٌ أو أصـــابَ قضـــاءُ

مـــن تَمرِهـــا نَحيَـــا زماناً كُلَّمـــا
سَنَـــةٌ علينـــا أقبلـــتْ شهبـــاءُ
وثِمارُهـــا الرُطـــبُ الجَنـــيُّ كأنـــه
عَســـلٌ وَطِيـــبُ مَذاقِـــه صَهبـــاءُ
عِشْنَا عليهـــا حِينَ لَم يَـــكُ عندنـــا
نِفطٌ فكانـــتْ نَفْطَنـــا المعطـــاءُ[3]
فَفِراشُهـــم مـــن خُوصِهـــا[4] وَلِباسُهـــم
مـــن لِيْفِهـــا ومـــنَ الجَريـــدِ[5] بنـــاءُ
لـــم يَقلعوهـــا كـــي يُشَيِّـــدَ فنـــدقٌ
أو يَحرقُوهـــا كـــي يُقـــامَ بِنـــاءُ[6]

هذه النخلة شجرة معطاء مستودع لا تُحصى خيراته، منها الغذاء والكساء والمأوى، فقد استخدمها أبناء الإمارات لتلبية احتياجاتهم المعيشية، استفادوا من سعفها وجذوعها وألیافها وثمارها، صنعوا منها البيوت والأعمدة وأسقف المنازل والمساجد والقوارب الصغيرة وأَسِرّة النوم وأقفاص الطيور وشِباك الصيد، واستخدموها وقوداً للنار وعلفاً للحيوانات؛ ولهذا كله حرصوا على الاهتمام بها ورعايتها وإنمائها. ويتجلى جمالها بشموخها وثباتها في عمق الصحراء. ولو عقدنا المقارنة من الناحية الجمالية بين الأبنية والفنادق، وأشجار النخيل.. أيُّ المكانين ترجح كفته؟ منظر الطيور وهي تتنقل على أفنان أشجار النخيل ومنظر عناقيد التمر المتدلية بألوانها الساحرة، أم منظر تلك الأبنية الإسمنتية الصناعية الصماء؟ إن المرء عندما يبحث عن المناظر الجميلة وراحة النفس يراها في حديقة ازدانت بأشكال وألوان من الزهور والورود، أو على شاطئ البحر، أو في واحة قابعة في وسط الصحراء تظللها الأشجار وترعى الإبل والغزلان في أفيائها، ولا أظن أنه سيجدها في الأبنية الخرسانية مهما كانت هندستها المعمارية رائعة التصميم. كل ما جاء به الشاعر يدل على أهمية النخلة ومكانتها في حياة الأجداد، كل شيء فيها كان يشكّل مفردات حياتهم اليومية؛ ولهذا كرّموها ورفعوا منزلتها وأولوها عنايتهم. وتنظر الشاعرة عائشة البوسميط إلى النخلة نظرة إعجاب وتقدير وإكبار؛ حيث تتمثل فيها كل معاني الإباء والعزة والشموخ:

جَسَارةُ النَّخلِ
حَفاوةُ الصحراءِ
السنواتُ المئة
عَلِمْتُكِ
صديقةَ السماء
هذا المدى المُوحِش
لم يَنَلْ منكِ
عَجِبتُ: أَنَّى لِقامتكِ العَطْشى
قداسةُ المآذن
تكبيرةُ الصلاة

وَحدَكِ والموتُ يرتعش
على فراش الرمالِ من حولِك
صُراخُ العواصفِ
صوتُ المطرْ[7]

النخلة في طرح الشاعرة مكان مشغول بالأصالة والشموخ والقداسة؛ حيث تَجسّد مفهوم القوة والمنعة في الصحراء، فهي العطاء والحفاوة، والعمر المديد والتعلق بالأرض، وتشترك مع السماء بصفة العلو والرفعة، ولقامتها الباسقة عُلوُّ المآذن وقدسيتها عندما ترافقها تكبيرة الصلاة فتعلو مدوّية نحو السماء، وعلى رمال هذه الصحراء تُعايش هذه النخلة صراخ العواصف وصمت المطر. إن جماليات هذه النخلة تتجلى من خلال التوحد المصيري الأزلي بينها وبين الصحراء. إن ثباتها في الأرض وصمودها برغم الوحشة والرهبة، وقامتها الباسقة العطشى الشامخة كالمآذن، تتحدى الموت وتصرُّ على البقاء، والموت يتلاشى أمام صلابتها وصمودها.. لوحة جمالية تعاونت على تشكيلها: النخلة والصحراء والسماء والمدى الموحش والمآذن والموت والرمال والعواصف والمطر، لوحة مفعمة بالحركة والرهبة والقدسية، لوحة تنطق بمعاني الثبات

والأصالة والتحدي. وتأتي المقابلة بين صراخ العواصف، وصمت المطر لتضفي على المكان ظلّاً جمالياً آخر.

أما نخلة الشاعر كريم معتوق فهي تاريخ من الأسرار وكتلة من الإصرار والتحدي:

يا نخلةً حملتْ من الأسرارِ
ما احتملتْ من الإصرارِ
أنْ تبقى
وأنْ تلقى الذي تلقاه من شمس النهارِ
لا ماءَ فيها ولا غطاءْ
فانكمشَ الرجالْ
تحت النخيل يفتشون عن الظلالْ[8]

هذه النخلة سجلٌّ وتاريخ شاهد على الأحداث التي مرت عليها، عايشت الناس وعايشوها عن قرب، احتفظت بأسرارهم وسجلت أفراحهم وأتراحهم. إنها المكان الذي يأوي إليه الناس لقضاء أوقات الراحة والاستجمام، فيتبادلون أطراف الحديث تحت أفيائها، ويستظل المسافرون بظلها، ويرى فيها العشاق مستودعاً لأسرارهم وذكرياتهم، إن الشاعر يخلع عليها صفات البشر، فهي تحفظ الأسرار ولكن الإنسان قد يبوح بها.. وبقدر ما تحمل من أسرار بقدر ماهي صامدة راسخة في عمق الأرض، إنها تتحمّل من حرّ الشمس والأعاصير أضعاف ما نتحمل، ونحن لا نحتمل، ولا شيء يقيها من ثورة الطبيعة. وتبرز جماليات النخلة في هذه اللوحة من خلال معاني الثبات والرسوخ والتجذر، والإصرار والتحدي والصمود. خبرتها وتجربتها في الحياة أكبر من خبرتنا وتجربتنا، هذه الخبرة على مَرِّ السنين علّمتها الصبر والتحدي، فهي لا تتأوه ولا تنحني أمام عوامل الطبيعة التي تتوالى عليها، أما الإنسان فقد يتهاوى ويستسلم أمام أول عاصفة. إن كريم معتوق في هذه الأبيات يرتقي بمنزلة النخلة ويسمو بها من مكان جغرافي صامت محدود إلى مكان إنساني أرحب وأشمل، فَتُضاء مساحة المكان أكثر وتبدو النخلة بناء باسقاً شامخاً تشكّل القيمُ والخصال الإنسانية معالمَه وأركانَه هذه هي النخلة في الإمارات، وكيف تجلت مكانتها الرفيعة ومنزلتها العظيمة عند أبناء الإمارات، وكيف أحاطوها بكل أصناف الرعاية والعناية والاهتمام، وكيف بنى لها شعراء الإمارات بروجاً شامخة وكرّموها وعدَّدوا فضائلها، وكيف تجلّت في أشعارهم كل معاني الانتماء والوفاء والولاء لها ■

ناقد وأكاديمي مقيم في الإمارات

الهوامش والمراجع:

1. أبو صفوان خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم المنقري التميمي البصري: خطيب، وشاعر من فصحاء وخطباء العرب المشهورين في العهدين الأموي والعباسي الأول.
2. عبد الغني الهادي (النخل في الأدب العربي)، المجلة العربية، السنة الثانية، السعودية، العدد 5، ص 64.
3. في القافية إقواء، وهو اختلاف حركة الرَّوي، والصواب (المعطاءَ) لأن نفطنا خبر كانت منصوب، والمعطاء صفة نفطنا؟
4. خوص النخل: أوراق النخيل المنسوجة يدوياً ويستخدم تقليدياً في بناء الأسقف والحصائر.
5. الجريد: أوراق شجرة النخيل المتفرعة وهي ريشية الشكل وخشنة الملمس وذات أطراف حادة.
6. ناصر النعيمي، قصائد من الإمارات، سيف المري، قصيدة (النخلة)، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ط 1، الشارقة 1986، ص 19-20.
7. عائشة البوسميط، ديوان (سيدة الرفض الأخير)، قصيدة (النخلة)، ص 13-14.
8. كريم معتوق، ديوان (طفولة)، (اللوحة الرابعة عشرة)، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، مطابع الوحدة، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ص 89.

الفن الشعري وتساؤلات الوجود الإنساني

تجليات الفكر الوجودي في ديوان «خَجِلاً آتيكِ»

عادل نيل

الشعر في أبسط معنى إنساني له هو التعبير الوجداني الصادق عن الذات في تأملاتها التي ترتبط بفكرة الوجود ومصيره المحتوم، وهو ما يتداخل مع العديد من المعاني التي قد تعكس الخوف من المجهول، أو الإحساس بالتمزق والتيه أمام لحظات الفقد والفراق، أو الشعور بالضعف الإنساني، والعجز في الاستسلام أمام الموت الذي تخضع له كل موجودات الكون، أو أن يُرى في تلك الحقيقة الكونية الملاذ الآمن من واقع حياتي أو نفسي مؤلم.

وإذا كانت الوجودية في تنظيرها هي قضية فلسفية، فإنها لا تبتعد عن هموم الشعر، باعتبار أن كليهما يبحث في الوجود الإنساني وتساؤلاته، «فالوجودية أقرب الفلسفات إلى الشعر، والشعر أقرب الفنون إلى الوجودية، فالشعر والفلسفة صورتان للتعبير عن الوجود»[1].

ويأتي ديوان (خَجِلاً آتيكِ) للشاعر الإماراتي محمد العبودي[2] مفعماً بالمعاني الوجودية التي تصدر عن صوت وجدانيّ صافٍ، لم يأتِ انعكاساً لموقف فلسفي جاف يخضع لاعتبارات المنطق، وإنما هو صورة شفافة للذات وانفعالاتها تجاه الحياة ومعانيها الإنسانية الخالصة التي لا تعرف حدود عِرق، أو جنس، أو معتقد، بل كان تعبيراً دقيقاً عن صاحبه وعن موقفه من الوجود، بحيث يمكننا أن نقف في قراءته على طبيعة تلك الشخصية، «وتحديد الاختيار الأصلي الذي يحققه الكاتب عندما يختار الكتابة، ويجعلها وسيلة للتعبير عن نفسه وعن وجوده في العالم»[3]، إذ لم تأتِ معانيه عَرَضاً، وإنما شكلت بحضورها في نصوصه على اختلاف أغراضها اتجاهاً ثابتاً وعميقاً يجسد موقفه من الوجود الإنساني بوضوح.

وأول ما يطالعنا في شعر العبودي الوقوف على حقيقة المصير الإنساني المحتوم الذي يحكمه العدم والفناء، فيقول محدثاً (الإنسان) الذي جعله عنواناً لقصيدته[4]:

أنت لو تدرك بحره
في مساحات الخلود
أنت قطرة
أنت ماذا دون عينيه
فناءٌ في فناء
وهباءٌ في هباء

ونلمح حقيقة هذا المصير الذي يتربص بالوجود في التعبير عن أحاسيسه التي تأخذ بالبداية إلى النهاية، فالميلاد لديه يرتبط بالرحيل، والصبح يتعجله الليل، والحياة يتربص بها الموت، فالنقيض لديه يستدعي نقيضه، والشاعر بتلك الحقيقة الوجودية، رغم ما فيها من بواعث القلق والألم، قد يستحث طوعاً مآلات تلك النهاية في علاقاته بباعث قيمي، وليس بنظرة تشاؤمية، فيقول في قصيدته (نهاية)[5]:

وداعـــــاً.. لكـــل بقـــاء فنـــاء
ولكـــل طريـــق مشينـــاه غايـــةْ
لقـــد حـــان أن نستفيـــق أخيـــراً
مـــن السُّكـــر في ردهـــات الغوايـــةْ
فخيـــر البدايـــة بـــدء الجنـــون
وأســـوأ ما فـــي الجنـــون النهايـــة

لقد أصبح مفهوم الفناء سبيلاً يعلن الشاعر من خلاله التعبير عن موقفه الرافض، سواء من خلال معنى المغادرة أو الانسلاخ من الواقع الملموس، أو من خلال غياب العقل في متاهات الجنون، إذ إن ما يجمع بينهما هو الخروج من الوجود المُدرَك إلى وعيٍ آخر تتجلى فيه رغبة مُلحّة للخروج من ذلك العالم، فالرحيل أسمى لديه من الاستسلام لواقع يستلب ذاته؛ وبالتالي فهو يختار النهاية طواعية، حين تصبح الحياة - لا الموت - شبحاً يطارده، ويريد الخلاص منه، حيث شكّل الرحيل والانسحاب من المشهد طواعية لازمةً لديه؛ تعبيراً عن رفضه لانهزامات الذات وانكساراتها، حتى إن كان هذا الرفض بالصمت، فلدى الشاعر الوجودي، «لكل كلمة صداها، حتى إن الصمت موقف له دلالته»[6]، يقول في قصيدته (رحلتُ)[7]:

انسحبـــتُ.. طويـــتُ انهزامي.. رحلـــتُ
وودعـــتُ فيـــكِ الليالـــي الحزينـــةْ
تركـــتُ لديـــك انبـــعاثَ وجـــودي
علـــى شفتـــيَّ صـــراخُ أنينـــةْ
وغـــادرتُ إلا مـــن الصمـــت.. يجثـــو
وقلبـــي علـــى كفتيـــك رهينـــةْ

وهذا المعنى الوجودي المُلحّ على اختيار التحرر من قيود واقعه بالرحيل ينبعث من المعنى القيمي لدى الشاعر، وقيمة «الأنا» التي تستعلي على بقاء/ وجود يفتقد إلى القيم التي يعتنقها، وتحيا بها ذاته، فنظرته إلى الوجود مرتبطة بما يلبي مفاهيم الوجود لديه، وقيمه التي يؤمن بها، وهو إدراك عميق لقيمة الحياة، باعتبار «أن من كمال الشخصية وثرائها أن تكون شاعرة بقيمة وجودها»[8]، فلا ينظر إلى الوجود على أنه فرصة يقتنص منها ملذاته الزائفة، بعبثية النَّهِم من لذة يخشى فواتها، ولا يتمرد عليها تمرد الهارب من حتمية القدر، ولا يدعوه يقينه بالنهاية الحتمية إلى قلق الخائف المتوجس الذي يهبط إلى منازل تمس قيمة وجوده، ولعل أدنى مستويات الشعور بتلك القيمة هو التماسك أمام انكسارات تنال من سمو الروح، أو تقدح في غاياتها النبيلة، وإنسانيتها الرفيعة[9]:

عشـــقتُ الجبـــال وحـــب الصعـــود
ولـــم أعـــرف الوهـــن والمستحـــيلا
وشئـــتُ اختصـــار الحيـــاة سراعـــاً
فعشـــت المواقيـــت عرضـــاً وطـــولا

حـــــذارِ فلـــن أنثني عـن شموخـــــي
إذا شئـــت عـــودي الثـــرى والسهـــولا

يعكس البيت الأول الذي يتقاطع معناه مع بيت الشابي الشهير: «ومن لا يحب صعود الجبال» وعياً بقيمة الوجود الإنساني من خلال التمرد على القيود التي تكبل إرادته، ورفض الاستسلام للوهن الذي يكسر داخله سمو الروح ونُبل الغاية، وهو تمرد لا يعصف بقيمة الحرية التي تعرف مسارها، وتدرك غايتها، وتنضبط بتلك الثوابت التي تعلي من قيمة الوجود الإنساني، وتخدم أهدافه النبيلة؛ إذ إن من شأن تلك الحرية غير المنضبطة بوعي فكري أن تكون «الأساس لكل فعل متمرد هدام، إنها «روح السلب» التي تتجلى في عمليات الهدم والتدمير والعصيان»[10]، فهو لا يعادي الوجود حتى يكون تمرده مصحوباً بسلبية وعبثية وهمجية تماثل نزق أعداء الإنسانية، ومن ثمَّ فإن هذا التغني بالشموخ وتحدي الواقع والانتصار للإرادة الحرة لا ينفصل، رغم ذاتية الخطاب/ عن البُعد الإنساني، لأن في ذلك دعوة مطلقة لتمرد الإنسان على الضعف، وعدم الاستسلام لأوهام المستحيل، إنها دعوة للإيجابية إزاء الوجود لا العكس.

وهذا المعنى القيمي لا يعني أنه ينتظر مثالية أفلاطونية، يعتزل في افتقادها واقع الحياة، وإنما يدرك أن الحياة ليست بذاك النقاء الذي ينشده الفلاسفة، بل هي حياة بشرية تجمع في ردائها الجمال والقبح، الفضيلة والرذيلة، الطهر والإثم، الهدى والضلال، فمثلما يُختزل مفهوم الوجود ذاته في ثنائية البداية والفناء، أو الحياة والموت فإن الوجود في مفهوم العبودي يُختزل في تلك الثنائيات والتناقضات[11]:

وفيـــكِ اختزلـــتُ الوجـــود فجئـــتِ
رســـولاً وإفكـــاً وإثـــماً وآيـــــة

وقد أقام العبودي في بعض قصائد ديوانه معادلاً موضوعياً لفكره الوجودي الذي يعكس نزعته الإنسانية في تأمل واقع الضعف الإنساني أمام مصيره المحتوم، ففي قصيدته (الشيخ العجوز) يجسد في صور فنية متتابعة مشهد عجوز يسير في صحراء الحياة بخطوات ثقيلة لا يعرف صاحبها سبيلاً، ولكنه يستحث تلك الخُطى إلى ذلك الغيب المجهول الذي يأمل أن يجد فيه ما يدفع عنه ذاك التشرد والتيه، بينما هو في حقيقته الوجودية يمضي نحو التلاشي والفناء[12]:

إلى أيـــن.. لا يـــدري.. فقـــد مـــلَّ وجهُـــه
من السيـــر في الصحـــراء عمـــراً مشـــردا
ولا في المـــدى مـــا يكـــشف الغـــيبَ عله
إذا ما رأى مـــا الغيـــب أن يعـــشق الغـدا
مشـــى لم ينـــل من غيمـــة العمـــر قطـــرة
وخـــال ســـراب الوقـــت في رقة النـــدى
تلاشى كـــما لو أنـــه طيـــفُ نائـــــمٍ
وغـــاب كقرص الشمـــس في آخر المدى

هذا التلاشي الذي يرتبط بنظرة الشاعر لطبيعة الإنسان مع مصيره هو في حقيقة الأمر توصيف لرؤيته للحياة التي تعدل طيفاً يمر بغفوة نائم، وثمة معنى يصاحب هذا الفكر الوجودي أراد الشاعر التعبير عنه، وهو الحرمان الذي يلازم بني البشر، فهذا العجوز يمضي مشرداً، تملؤه أسئلة الحيرة وانتظار الآتي باستشراف المتلهف إلى غد يأتيه بقطرة من غيمة العمر ليدفع عنه هذا الحرمان، وشيئاً من قسوة الواقع وشقائه، وتنكر البشر، بينما يتبين في نهاية الدرب أنه شارف نهايته، وأن الوقت الذي يتزين لصاحبه وهْمُ سراب خادع، يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

وفي قصيدته (مقتل العصفور) أتت الأبيات في معادلها الموضوعي صرخة في وجه النزق الإنساني بهذا الوجود الذي يحتشد بالظلم، وصراعات الزيف في سباق محموم نهايته الفناء، وواقع مؤلم تشوه قيمه أطماعُ الشر ونزعاته التي أخضعت حضارة الإنسان لمنطق القوة والهمجية، فجاءت الأبيات تجسد في مشهد فني متتابع عصفوراً يغدو بين مرح

الحياة في جدولها الساري، وغصنها المورق، ووشاح زهورها، وفي لحظة خاطفة يقرر أحدهم تسليط أداته الهمجية على ذلك الآخر ليسقط ومعه صرخة الموت الأخيرة، وتغدو تلك الكيفية التي واجه بها هذا العصفور مصيره إدانة لواقع الإنسان في تلك الحضارة المزعومة القائمة على همجية القوة[13]:

طائـــراً.. لـــم يقـــبل الأرض لـــــه
موقعـــاً.. دار على هـــذي البطـــاحِ
هازئـــاً كيـــف تمـــوت النـــاس فـــي
صخـــب الدنيـــا وأصـــوات الســـلاحِ
في صـــراع المـــلك والزيـــف ومـــا
بيـــن حـــق ضائـــع أو مستبـــاحِ
فجـــأةً.. دوت علـــى أسماعـــه
طلقـــة.. أســـرع مـــن رفِ الجنـــاحِ
فتهـــاوى.. كاتمـــاً فـــي قلبـــه
صرخـــة المـــوت على لـــون الجـــراحِ

يعكس العصفور- بوصفه رمزاً يجسد به الشاعر فكرته المجردة - محنة الإنسان في هذا الوجود، حين تتملك من ذاته نوازع الشر وانعدام القيم التي تضبط واقعه، أو تقيد حريته أطماعُ الآخر، بل وتنزع عنه حق البقاء؛ ولذلك يلح عليه هذا الشعور الطاغي بهمجية الإنسان الذي أورث الأرض خراباً ودماراً، ويبقى منتظراً الارتحال عن حيز هذا الوجود، ويرى سعادة الراحلين المغادرين[14]:

يا تعباً أسكت فيك الحزن
والضوضاء.. والضجرْ
في انتظارِ لحظةِ الهروبِ والسفرْ
ساهمةٌ في أبدِ السكون
غادرتِ أرضَنا الحمقاءَ والحروب
والدماءَ والجنونَ
والدمار والخطرْ

والشاعر إزاء هذا النزق الذي يجعل الوجود ساحة للخراب، ومرتعاً لبهيمية تقضي على كل قيمة يحيا بها الإنسان يعبر عن مفارقة الضعف أمام الاستعلاء بالقوة، من خلال «العنكبوت» الذي يراه رمزاً للواقع الإنساني ووجوده، بين ثنائية الضعف والاستقواء، الضحية والجاني، وهْم القوة وحقيقة الوهن، فضلاً عما يسقط مع هذا الرمز من قيم ومعانٍ إنسانية وأخلاقية، أولها الخديعة التي تنسج خيوطها من حولنا، وهو في تلك المعاني يرى أبجدية لغة هذا الإنسان الذي يظن في نفسه الجبروت بينما هو أوهن وأضعف وأقرب إلى موت وضيع، فيقول في قصيدته (العنكبوت)[15]:

آهٍ ما أصعبَ أن يقتلني
الصمت... ولا ترفع عينيك عنّي
غرفتي أصبحتَ فيها سيّدا
وأنا أصبحتُ في عينيك أشباهَ ضحية
فافترسني إن تشأ

أنت رفيقي.. أنت رمزُ الجبروت
يا لها من أبجدية
حين نحيا ثم نهوي فنموت
في خيوط العنكبوت

إن الحقيقة الوجودية الجلية لهذا الإنسان الضعف مهما أخذه الغرور، واستحكم في نفسه شعور الاستعلاء، فهو أضعف حلقات هذا الكون[16]:

كلنـــا مـــن جـــذور هابيـــل فـــرع
وبنـــا النبـــض فـــي وريـــد الغـــرور
نتناســـى بأننـــا لحظـــات
لا تضاهـي بقـــاء عمـــر الزهـــور
فجـــأة وإذا بنـــا حســـرات
كيـــف نمضـي بـــدون هـذي القـــصور
لحظـــة ودوننـــا ظلمـــات
تفضح الوهـــم في انقـــلاب الأمـــور
وإذا بالفـــؤاد ذرة رمـــل
حملتهـــا الريـــاح نحـــو القبـــور

وفي البيت الأخير مفارقة صارخة بحقيقة الإنسان في هذا الوجود، حين يكون مصير ما يحيا به الإنسان في شتى انفعالاته الإنسانية ذرة رمل تحملها الرياح إلى صمت القبور، وهي إشارة إلى ضعف هذا الإنسان الذي يغدو موطن الحقد، والبغض، والكراهية، والاستعلاء فيه ذرة تحت الأقدام، وهو في ذلك ينطلق من موقف إنساني يتجاوز الفردية، ويعبر عن الإنسان مجرداً من أي انتماءات ومرجعيات، «فلا يعرف الوجودي سوى واقع واحد لا يتجزأ هو الواقع الإنساني»[17]، فالوجودية التزام بالتعبير عن مأساة الوجود الإنساني ومناصرة الجماعة، وليس الغرق في الذاتية التي تنفصل عن قضايا واقعها.

وهو في توظيف هذا الواقع لا يعمد إلى مباشرة المعنى فقط، أو إلى إقامة معادل موضوعي يجسد المعنوي في صورة حسية، وإنما يعمل على استلهام الأسطورة في رمزيتها لتجسيد هذا الواقع، كما في قصيدته (إيكار) التي وظف فها الرمز الأسطوري للتعبير عن هذا المعنى الوجودي، فتجسد الأسطورة اليونانية شخصية ذات جناحين من شمع يتلاشى بعد أن حلق بهما عالياً؛ ليلقى بعد وهْم التفوق ونشوة الاستعلاء مصيره المحتوم، ويحصد القبر قوته الزائفة، وتنهار أوهام الخروج عن منظومة هذا الكون وحقيقته التي تتحد فيها الموجودات جميعها، وهو معنى يلتقي مع غيره من معاني قصائده الوجودية التي تقوم على فكرة التلاشي والفناء لكل موجودات الحياة.

ولأن الإنسان هو المنبع الثرُّ لهذا الوجود وسره الذي من أجله سخرت المخلوقات كلها؛ يجسد العبودي في قصيدته (الإنسان) حجم هذا المركز وذاك المنبع، فأقام علاقة تبادلية بين الإنسان والوجود، الإنسان ذرة في عمق الكون، والكون

ذرة في عمق الإنسان[18]:

أيها الإنسان
أنت في أعماق هذا الكون ذرة
أيُهذا الكون..
أنت في الإنسان ذرة
فاحتوى في قلبهِ سر الوجود
هل ترى تعرف أمره؟!

ويمكننا أن نلخص تلك المعاني التي يرتبط بها الوجود في تجربة محمد العبودي الشعرية في المعنى القيمي، فإعلاء الحياة/ الوجود في إعلاء تلك القيم التي ترتقي بها الذات والجماعة؛ ومن ثمَّ يستثير وجدانه ووجعه أطماعُ الإنسان، أو استضعافُه، أو ارتضاؤه النقيصة والدونية في وجود تحكمه العدمية والفناء، فالخلود إذاً ليس للوجود، وإنما للقيم التي تحكم حركته ■

كاتب وأكاديمي مصري

الهوامش والمراجع:

1- عبد الرحمن بدوي، الإنسانية والوجود في الفكر العربي، دار القلم، بيروت، 1982م، ص 111.
2- محمد سلمان العبودي: من مواليد 1955م في إمارة الشارقة، حاصل على ليسانس في اللغة العربية من جامعة الكويت عام 1977م، وعلى درجة الدكتوراه في الأدب الفرنسي من جامعة السوربون عام 1987م، عمل أستاذاً في جامعة الإمارات، إلى أن تقاعد عن التدريس عام 2010م؛ ليتفرغ لأعمال الترجمة، له دراسات عدة في الأدب الفرنسي نشرت في مجلات علمية، وقد منح وسام بدرجة فارس من فرنسا، وهو من الشعراء المقلين؛ فلم يصدر له غير الديوان الذي بين أيدينا الصادر عن دار الجديد اللبنانية، 1996م. (يُنظر: دليل الأدباء بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، من إصدارات الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، دار المفردات للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 2008م، ص 49).
3- نهاد التكرلي، التحليل النفسي الوجودي: تطبيقات سارتر في ميدان النقد الأدبي، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، لبنان، العدد (13)، يونيو، 1981م، ص 99.
4- د. محمد العبودي، خَجِلاً آتيك، دار الجديد، بيروت، 1996م، ص 42.
5- المصدر السابق نفسه، ص 81.
6- د. عبد الله خضر محمد، المذاهب الأدبية: دراسة وتحليل، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2017م، ص 116.
7- خجلاً آتيك، ص 64.
8- محمد رشدي عبيد، الموت في التصور الوجودي والإسلامي وأثره في الأدب، مجلة الأدب الإسلامي، السعودية، المجلد الثامن، العدد (32)، 2002م، ص 28.
9- خَجِلاً آتيك، ص 11.
10- د. محمد شبل الكومي، الوجود والحرية بين الفلسفة والأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009م، ص 167.
11- خَجِلاً آتيك، ص 81.
12- المصدر السابق نفسه، ص 34.
13- المصدر السابق نفسه، ص 46.
14- المصدر السابق نفسه، ص 30.
15- المصدر السابق نفسه، ص 28.
16- المصدر السابق نفسه، ص 93.
17- المذاهب الأدبية: دراسة وتحليل، ص 116.
18- خَجِلاً آتيك، ص 42.

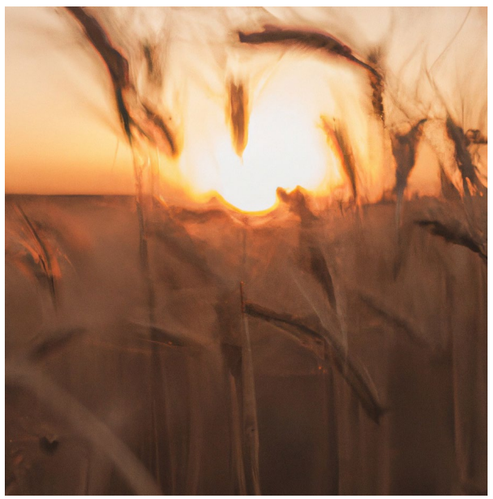

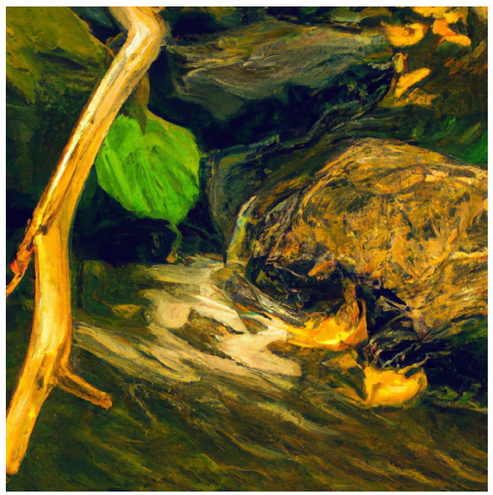

تجليات الرياح في الموروثين العربي والغربي

نوزاد جعدان

تعد الرياح واحدة من العناصر الطبيعية التي تناولها الأدباء والشعراء عبر العصور بطرق متعددة ومعانٍ مختلفة، حيث لعبت دوراً مهماً في تصوير الأحاسيس والمشاعر، وفي التعبير عن التغييرات البيئية والاجتماعية أيضاً بما فيها من لينٍ وخصبٍ تُسلّط على الإنسان أنواعاً من المصاعب تدفعه إلى التأمّل والتدبّر من أجل السيطرة على مختلف العناصر الطبيعية وإحكام استغلالها لفائدته، كما كانت تعد إحدى رزم «درور» القدماء في التنبؤ بحالة الطقس وقدوم المواسم تماماً كحالة النجوم والطوالع.

ويواجه الإنسان الرّياح بما تحدثه من فعلٍ في الوجود عموماً، فهي قادرة على إزعاجه في حركته وفي سكونه، وقادرة على مساعدته في مواجهة الحرّ، وقضاء بعض شؤونه أحياناً. وذكر الأصمعي وأبو زيد الأنصاري في تحديد الرياح نحواً مما قاله أهل الحساب. قال الأصمعي معظم الرياح أربع وحدهن بالبيت الحرام حرسه الله تعالى فقال: القبول تأتي من قُبل الكعبة شرفها الله تعالى، وهي الصَّبا. والدبور التي تأتي من دبر الكعبة، والشمال التي تأتي من قِبل الحجر والجنوب من تلقائها، يريد تلقاء الشمال قال وكل ريح انحرفت. فوقعت بين ريحين من هذه الرياح فهي نكباء وقال أبو زيد مثل ذلك.

ووفق ما ورد في كتاب الأنواء في مواسم العرب، فإن الرياح أربع وهي الشمال والجنوب والصَّبا والدبور، فالشمال عالي من ناحية القطب الأعلى، والجنوب تأتي من ناحية القطب الأسفل، والصبا تأتي من وسط المشرقين، والدبور تأتي من وسط المغربين». وهذا الحد يقارب ما ورد في كتاب «الأزمنة والأنواء»: (إذ الرياح أربع: الصَّبا والدبور والشمال والجنوب، فالصَّبا تهب من مشرق الاستواء، وهو وسط المشرقين. والدبور تهب من مغرب الاستواء، وهو وسط المغربين مقابلة للصَّبا. والشمال تهب من ناحية القطب الأعلى، والجنوب تهب من ناحية القطب الأسفل مقابلة للشمال). والملاحظ أن لهذه الرياح أسماء كثيرة، وأحكاماً في العربية لأن بعضهم يجعلها نعوتاً وبعضهم يجعلها أسماء.

وللرياح تسميات أو نعوت متعددة على اختلاف المواسم في الخليج العربي، فيقال هبايب سهيل من منتصف أغسطس إلى نهاية ديسمبر وهي رياح رطبة لطيفة، أما رياح الأكيذب تمتاز بقوتها وشدتها يسبقها هدوء تام للريح، تهب بعده رياح قوية محملة بالسحب والأمطار الغزيرة.

مع دخول الوسم يستبشر أهل الجزيرة العربية ببداية نشاط رياح «الأربب» خلال هذه الفترة، وهي الرياح الجنوبية المحملة بالرطوبة وبخار الماء والقادمة من المحيطات والبحار الداخلة عرفها العرب منذ القدم، وكانوا يستبشرون بها إذ تشير إلى قدوم المطر، ومن الأشعار التي قيلت في رياح «الأربب»، قول الشريف الرضي:

أهفـو إلـى الريـح إن هبـت يمانيـة
تـحذو زعازعـها عيـراً مـن المـزن

وكثيراً ما نجد ارتباط صورة الرياح بمهنة الشعراء لاسيما الصيادين كقول الشاعر الإماراتي سالم بن حميد البحري السويدي:

م الفجـر تطالـع النتـار
علايـم الأزيـب اللافـي

كما نرى قول الشاعر حميد بن ذيبان عن هذه الرياح أيضاً:

البحـر الأحمـر قصاصيـره خطر وزياغ
وبها عواصيـف الأزيـب ريـح هبابـه

ولعل من أشهر مسميات الرياح وما وصفه الشعراء رياح الشمال التي نجدها في شعر جميل بثينة:

أيـا ريـحَ الشَمـالِ أمـا تَرَينـي
أهيـمُ وَإِنَّنـي بـادي النُحـولِ

وفي وصف البحتري كذلك:

ريـحُ الشَمـالِ أَتَـت بِريـحِ شَمـالِ
سَحَـراً فَهاجَـت ساكِـنَ البَلبـالِ
واهـاً بِما جـاءَت بِـهِ واهـاً لَـهُ
أَحيَـت بِهِ مـا مـاتَ مِـن أَوصالـي

وتمتاز رياح الشمال بأنها شتوية من منتصف ديسمبر إلى نهاية فبراير، وهي رياح شمالية إلى شمالية غربية باردة إلى شديدة البرودة وجافة، ومن دلائل هبوبها ظهور الزبد منه بفعل الأمواج المتلاطمة. كما يستدل أهل الزراعة على هبوبها ببداية جفاف اللحاء وسقوط أوراق الأشجار.

وقد تعامل العرب مع مختلف الظواهر الطبيعية فانعكست فناً في شعرهم، ومعرفةً في حياتهم. فشكّلوا صوراً شعرية فيها من الجمالية الكثير، وفيها ما يوحي بالإبداع والإنتاج المعرفي، فالرياح كانت ترمز إلى القوة والطبيعة القاسية التي يواجهها

الإنسان في الصحراء. واستخدم الشعراء الرياح كاستعارة للتعبير عن الفراق والحنين، حيث كانوا يبكون على الأطلال ويستحضرون رياح الشمال التي تثير الأشجان وتعيد الذكريات المؤلمة. أما في العصر الإسلامي، فقد اكتسبت الرياح رمزية دينية حيث ذُكرت في القرآن الكريم في مواضع عدة، منها ما يشير إلى دورها في تلقيح النباتات (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ). أما في الشعر الأندلسي، فاكتسبت الرياح بُعداً جمالياً حيث كانت تثير الإلهام بين ظواهر الطبيعة الخلابة في الأندلس. فقد استوحى الشعراء من حركتها الرشيقة بين البساتين والأنهار، الصور والعواطف معبرين عن مشاعر الحب والشوق. كما تم توظيف الرياح كرمز للتغيير والتحول، لكنها اكتسبت معاني أكثر تعقيداً مع تطور الأوضاع الاجتماعية والسياسية. ويمكن أن نرى الرياح كرمز للتحرر أو الثورة أو حتى الغموض الذي يحيط بمستقبل الإنسان، كما تظهر الرياح لتشير إلى بداية تغيّر أو تحوّل في حياة الشخصيات أو لتضفي على المشهد جواً من التشويق والتوتر. في أعمال نجيب محفوظ، على سبيل المثال، يمكن أن تكون الرياح حاملة لتغييرات كبرى في حياة الأبطال. على الصعيد الآخر، لم يخلُ الأدب الإنجليزي من استخداماتٍ وتوظيفٍ للرياح في الشعر والنثر التي تُعد من العناصر الطبيعية المستخدمة بشكل واسع لأغراض رمزية وجمالية على مرّ العصور. من خلال الأعمال الأدبية، نجد أن الرياح تعكس مجموعة متنوعة من المشاعر والموضوعات، مثل: التغيير، والحرية، والقوة، وحتى الغموض. فنجد خلال عصر النهضة، أن الشعراء والكُتّاب استلهموا من الرياح أغراضاً وصفية ورمزية. على سبيل المثال، في أعمال ويليام شكسبير، تظهر الرياح لتجسد مشاعر التوتر والتحوّل. كما

في مسرحية «العاصفة» حيث يلعب الإعصار دوراً محورياً في الحبكة، ويجلب معه التغيير والانقلاب في مصائر الشخصيات. وخلال زمن الرومانتيكية الإنجليزية أصبحت الرياح تعبيراً عن الروح البشرية وعلاقتها بالطبيعة. الشاعر شيلي في قصيدته الشهيرة «إلى الريح الغربية» يعبّر عن الرياح الغربية كرمز للحرية والقوة الثورية. الرياح هنا ليست مجرد ظاهرة طبيعية، بل كيان حيوي يجسد الطموحات الإنسانية والإرادة للتغيير: «أيتها الريح الغربية المتوحشة، يا زفرات كيان الخريف / أنتِ التي أمام حضرتك الخفية تندفع أوراق الشجر الميتة / كما تفرُّ الأشباح هرباً من ساحر /صفراء وسوداء وشاحبة، وحمراء محمومة».

في السياق ذاته، نرى تشارلز ديكنز في روايته «ترنيمة عيد الميلاد» يستخدم الرياح الباردة والمزعجة لخلق جو من الكآبة والرهبة، ما يعكس الحالة النفسية لبطل القصة سكروج، لتجسد كآبة العصر الفيكتوري وتمثل العزلة والبرودة العاطفية التي يعيشها سكروج قبل تحوله.

في رواية «جسر إلى تيرابيثيا» للكاتبة كاثرين باترسون، التي تحولت إلى فيلم سينمائي عام 2007، تعبّر الرياح عن التغيير والنمو الشخصي الذي يمر به الأطفال. تماماً كما أن الرياح في أدب الفنتازيا لاسيما المقدمة للأطفال مثل أعمال جون رونالد تولكين، قد تستخدم لخلق أجواء معينة أو لإضافة عنصر من الغموض والسحر. كما استُخدمت الرياح لتجسد مشاعر العزلة والغموض والتأمل وهو مانجده في قصيدة الشاعر تيد هيوز، زوج الشاعرة سيلفيا بلاث، «ريح» يتناول الرياح كقوة طبيعية تسيطر على البيئة وتؤثر في الحالة النفسية للشاعر: طوال الليلة كان المنزل يهجع بعيداً قرب البحر/ الغابات تتهشم في الظلمة / التلال هادرة / الرياح تفر مذعورة عبر الحقول/ والنافذة تتخبط في الريح رطبة سوداء مفتوحة.

في الهند، استحضرت الشاعرة كوثر منير الرياح وتصفها بأنها هي من غيّرت الأقدار: «جذف أيها البحّار جذف / يا ملك المحيطات / أنت نجمي الهادي / وأنا الشاطئ / في كتاب الحياة / لو كنتَ لي وكنتُ لك / سيغدو العالم ملكاً لي ولك / لكن / نزلتُ بقاربي إلى بحر مفتوح / لا نهاية له/ مع ذلك صنعت قدري تحت سماء واسعة / تغيرتْ الريح.. تبدلتْ السماء / لكن عشرتنا لم تتبدل أبداً / جذف أيها البحّار جذف / يا ملك المحيطات.

تبقى الرياح توجّه أشرعتنا صوبها دوماً فهي غنية الذكر في الموروث الثقافي والشعبي ولها دلالاتها وإيحاءاتها المتعددة، وذلك نظراً إلى طبيعتها المتناقضة في الإيقاد والإطفاء، والإرسال والإيصال.. ولفهم تغيرات الطقس والبحر.. كذلك يبقى الهواء هو مرسالنا في إيصال منتجنا.. كما قال الشاعر أنسي الحاج: ليكتب كلٌّ على هواه.. ولينقل الهواء ما يحلو له نقله ■

كاتب سوري

القيم الجمالية في مسرحية (مجلس الحيرة)

المسرحيّة التي ألّفها سموُّ الشيخ الدكتور سلطان محمد القاسمي

سمر علي زليخة

«الجمال ليس مفهوماً فلسفياً نظرياً، إنمّا هو ممارسةٌ»؛ انطلاقاً من هذه المقولة يمكن الحديث عن نوعين من الدراسة الجمالية لأي نصٍّ فني أدبي، الأولى: النصُّ بوصفه عملاً أدبياً مبنياً وفقَ لغةٍ منزاحةٍ عن مسارها العادي، ومتخذةٍ صيغةً فنيةً في الأداء الكتابي. والثانية: القيمة الجمالية التي تسعى الفنون لإبرازها، فالفنُّ في جوهره خبرةٌ جماليةٌ، وممارسة جمالية على صعيد اللغة والأداء. وللإجابة عن سؤال: ما هي القيم الجمالية التي تضمنتها مسرحية (مجلس الحيرة)؟ فإن الإجابة لا تخرج عن نطاق المقولة السابقة التي ترى الجمال ممارسةً؛ ممارسة اللغة بصيغتها البلاغية، وممارسةُ القيمة الجمالية واقعياً في انسجامٍ تامٍّ مع القيمة الأخلاقية.

فالقيم الجمالية التي يُحدِّدها علم الجمال بِـ (الجميل، والجليل، والتراجيدي، والكوميدي، والمعذّب، إضافةً إلى القبيح)، لم تظهر جميعها في المسرحية؛ إنما هناك قيمتان جماليتان تنازعتا الحضور فيها: (الجميل والقبيح).

بالنظر في الفصل الأول، حين تظهر والدة عمرو بن كلثوم، فبالإضافة إلى القيمة الأخلاقية التي تمثّلها الأم في الحياة، وبما هو موصىً عليه دينياً من طاعتها واحترامها؛ فلها من الحسب والنسب ما يجعل منها؛ اجتماعياً، ذات قيمة أعلى، فأبوها المهلهل بن ربيعة، وعمها كليب، وبعلها كلثوم بن مالك أفرس العرب، وابنها عمرو بن كلثوم سيد تغلب.

وحين تتعرض أمُّ عمرو بن كلثوم للإهانة من قِبل أمّ عمرو بن هند، ترفضها، وعلى الرغم من الرفض: (لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها)؛ فإنها صاحت: واذلّاه، يا لتغلب!

إذاً: في قراءة المشهد جمالياً، تتعرض القيمة الأخلاقية والإنسانية الأهم وجودياً (الأم) للإهانة، والإهانة قيمة أخلاقية سلبية أو قبيحة بالمعنى الجمالي، وعلى الرغم من أنّها ردّت الإهانة؛ فإنها صاحت: (واذلاّه)، فالاستجابة الجمالية لما هو قبيحٌ تولّد في النفس النفور، وترفض حضوره.

في الجانب الآخر، تظهر استجابة ابنها للموقف أيضاً لكن بطريقةٍ أكثر نفوراً: (قام إلى عمرو بن هندٍ فقتله).

وعلى الرغم من أنّ القتل قيمةٌ سلبية من وجهة نظرٍ أخلاقيةٍ للأفعال أيضاً، فإنه تفرّغ من مضمونه القبيح في تأثيره فينا، فالقتل (القبيح) جاء للحفاظ على القيمة الأخلاقية الجمالية التي تمثلها الأم؛ أي الغاية منه الحفاظ على القيمة الجمالية ومنع تشويهها بالنقص والإهانة.

ثمّ أنشد: بأي مشيئة عمرو بن هند؟ سؤال استنكاري، غايته استمرار الاستجابة الجمالية، فالقتلُ وحدَهُ لم يفرّغ الاستثارة التي حصلت جراء النقص، فاستعمل الشعرَ أيضاً، والشّعرُ «هو اللغة في وظيفتها الجمالية» بتعبير رولان بارت، وهذه اللغة برع العرب في نسجها شعراً للتعبير عما يجول في دواخلهم، واللغة الشعرية؛ بوصفها فنّاً، أي قيمة جمالية لغوية، تمّ توظيفها للتعبير عن رفض ما هو قبيحٌ في الحياة أيضاً.

أضِف إلى ذلك أنَّ هذا الشّعر قيل في الفخر؛ الذي هو قيمة جمالية سلبية كذلك من وجهة نظرٍ دينية للأفعال، إذ تمّ النَّهيُ عنه في النص الكريم بواقعِ: (إنّ الله لا يحبُّ كلَّ مختالٍ فخور)، ورغم المبالغة في الفخر التي جاء بها عمرو بن كلثوم: (إنا المطعمون، المهلكون، المانعون، النازلون، التاركون، الآخذون، العاصمون، العازمون،..) إضافة إلى: (إذا بلغ الفطام لنا صبيٌّ/ تخرُّ له الجبابر ساجدينا)؛ إلّا أننا حين نقرؤه لا نشعر بالنفور الذي تولده الاستجابة الجمالية لما هو قبيحٌ أو مرذول اجتماعياً وأخلاقياً؛ لأن الخوف على سقوط الجميل في الحياة (الأم)، يبرر هذا النوع من الاستجابة النفسية بوصفها أداةً دفاعيةً لبقاء الجميل في الحياة بصورته المثلى.

في الفصلين الثاني والثالث من المسرحية، إذا أردنا النظر في القيم الجمالية كما أتى بها كسرى الفرس، نجده يفضل - في كثيرٍ من المواطن - القيمة المادية للجميل على المعنوية أو الروحية، فما هو جميلٌ من وجهة نظره فيما لدى الروم من: (اجتماع الألفة، وعظم السلطان، وكثرة المدائن، ووثيق البنيان، وجود الدين الذي يبين الحلال من الحرام، ويرد السفيه، ويقيّم الجاهل)، ولدى الهند من: (الحكمة والطب،

وكثرة الأنهاروالثمار، وعجيب الصناعة، وطيب الأشجار، ودقيق الحساب، وكثرة العدد)، ولدى الصين من: (اجتماعها وكثرة صناعات أيديها في آلة الحرب، وصناعة الحديد، وفروسيتها وهمتهما، وأن لها ملكاً يجمعها). وما هو مستقبحٌ لدى العربِ كما يقول بهِ كسرى: (لم أرَ للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دينٍ ولا دنيا، ولا حزمٍ ولا قوة، ومما يدل على مهانتها وصغر همتها محلتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطير الحائرة، يقتلون أولادهم من الفاقة، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة، وقد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها، أفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الإبل، التي يعافها الكثير من السباع، لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها، وإن قرى أحدهم ضيفاً عدها غنيمة، تنطق بذلك أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم). وإذْ تذهب نظرته لما هو جميلٌ بالمادية أكثر من الروحية، نجد في ردِّ النعمان بن المنذر ملك الحيرة على ما جاء به كسرى الفرس ما يناقض نظرته لما هو جميل، إذ فضّل أمة العرب على غيرها من الأمم بالشيء نفسه الذي عدّه كسرى قبيحاً ومرذولاً:

(بعزها ومنعتها، وحسن وجوهها، وبأسها وسخائها، وحكمة ألسنتها، وشدة عقولها وأنفتها ووفائها. مجاورون لكسرى ولم يستطع احتلالهم، لم يطمع بهم طامع، ولم ينلهم نائل، حصونهم ظهور خيلهم، ومهادهم الأرض وسقوفهم السماء، وسلاحُهم السيوف وعدتهم الصبر).

أما غيرها من الأمم إنما عزها الحجارة والطين، وجزائر الطين/ وأما حسن وجوههم وألوانهم فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند، والصين المنحفة، والترك المشوهة، والروم المقشرة.

أما أنسابها وأحسابها، فليست أمةٌ من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها كثيراً، حتى أن أحدهم يُسأل عما وراء أبيه دنياً فلا ينسبه ولا يعرفه، وليس أحدٌ من العرب إلا يسمي آباءه أباً فأباً. ومن سخائهم إذا كان لأحدهم ناقة وحيدة وأتاه الزائر ليلاً، فيعقر له ناقته، ويرضى أن يخرج عن الدنيا كلها فيما يكسبه من حسن ما يتحدث به الناس عنه وطيب الذكر. ولهم في ألسنتهم حكمة، فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه، وإبلاغهم في الصفات، ما ليس لشيءٍ من ألسنة الأجناس. خيلهم أفضل الخيل، ونساؤهم أعفُّ النساء، ولباسهم أفضل اللباس، ومعادنهم الذهب والفضة، ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفر، ولا يقطع بمثلها بلدٌ قَفْر. متمسّكون بدينهم وشريعتهم، لهم أشهرٌ حرمٌ وبلدٌ حرام، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثأره فيمنعه كرمه، ويمنعه دينه عن أذاه. إضافةً إلى الوفاء بالعهد، وحسن الاستجارة في إغاثة الملهوف، وسوى ذلك من الصفات والخصال الحميدة التي تفتقر لها أيّة أمةٍ أخرى). وفي هاتين الرؤيتين تناقضٌ حادٌّ في إبراز ما هو جميل أو قبيح، ومن موقع الناظر، فإنّ ما هو جميلٌ لدى كسرى قبيحٌ لدى النعمان؛ أي لدى العرب، والعكس صحيح، والموضوع الخاضع للتقييم الجمالي (العرب وسواهم من الأمم) بين جميلٍ وقبيح، لا يمكن بناؤُه على السِّمات المادية الطبيعية التي قال بها كسرى، إذْ لا يمكن إغفال البعد الرُّوحيّ في التَّقييم الجماليّ، مما يعني أنَّ علاقة الإنسان بالموضوع هي الّتي تؤسِّس للفهم الجماليّ. وتتفق رؤية كسرى لما هو جميل بالنفعية أو الفائدة التي قال بها سقراط، فالجميل لدى سقراط هو المفيد، فوجود ملكٍ ودينٍ وعمارةٍ وصناعة يعود بالفائدة على المجتمع، وفي هذا قيمةٌ

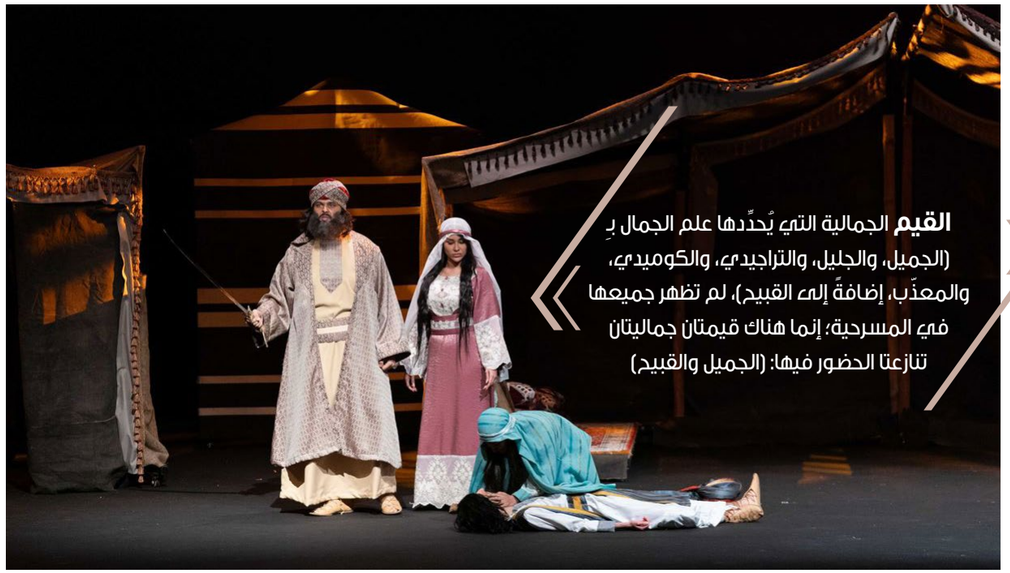

القيم الجمالية التي يُحدِّدها علم الجمال بِـ (الجميل، والجليل، والتراجيدي، والكوميدي، والمعذّب، إضافةً إلى القبيح)، لم تظهر جميعها في المسرحية؛ إنما هناك قيمتان جماليتان تنازعتا الحضور فيها: (الجميل والقبيح)

عليا تعني الخير، إضافةً إلى اهتمامه بالجميل طبيعياً كالأنهار والأشجار ذات الثمار، بما يتفق مع رؤية تشيرنيشيفسكي من أن الجميل في الطبيعة هو الأهم.

فيما تجنح رؤية النعمان بن المنذر لما هو جميل لأن تنسجم مع ما جاءت به الأفلاطونية التي حددت نظرتها للجميل بالروحية فقط، وبما ذهب إليه كانط من نفي الفائدة عن الجميل نفياً قاطعاً أيضاً. فالجميل؛ عربياً، تتحدد فائدته بالروحية أكثر من أي فائدة أخرى، فالسخاء وإغاثة الملهوف، ومعرفة الأنساب والأصول، والهمة، والوفاء بالوعد، والتعايش مع القفار، جميع هذه الخصال لا يمكن تلمسُّ النفعية فيها إلا من وجهة نظر أخلاقية وإنسانية بعامة، لذلك: الجميل عربياً أخلاقيٌّ.

أضف إلى تلك القيمة الأخلاقية، القيمة الجمالية التي تضطلع بها اللغة، فالمنذر؛ حين ابتدر وفداً من العرب للذهاب إلى كسرى اختار من العرب حكماءها، وفي النصِّ: (ومن يُؤتى الحكمةَ فقد أوتيَ خيراً كثيراً)، وغاية المنذر أن الحكمة المبنيّة على اللغة التي تضطلع بخصائص بلاغية كان قد ذكرها المنذر سابقاً: (ولهم في ألسنتهم حكمةٌ؛ فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحُسنِه ووزنه وقوافِيه، وإبلاغهم في الصفات، ما ليس لشيءٍ من ألسنة الأجناس)، تؤسس لاستجابةٍ جماليةٍ غايتها الخيرُ، بما يدرأُ عن أمة العرب غضب كسرى ويجنبّهم حرباً ربما.

لكن مقالة وفد العرب عند ملك الفرس، ابتداءً بما قاله أكثم بن صيفي: (إن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكها، وأفضل الملوك أعمها نفعاً، وخير الأزمنة أخصبها، وأفضل الخطباء أصدقها، الصدق منجاة، والكذب مهواة، والشر لجاجة، والحزم مركب صعب، والعجز مركب وطيء. آفة الرأي الهوى، والعجز مفتاح الفقر، وخير الأمور الصبر، وحسن الظن ورطة، وسوء الظن عصمة،... إلخ)، وما قاله حاجب بن وزارة التميمي: من أن (العرب أمة قد غلظت أكبادها، نحن وفودها إليك، وألسنتها لديك، ذمتنا محفوظة، وأحسابنا ممنوعة، وعشائرنا فينا سامعة مطيعة،...)، وما قاله الحارث بن عباد البكري: (من طال ثناؤه كثر متحه، ومن ذهب ماله قل منحه، نحن جيرانك الأدنون، وأعوانك المعينون، خيولنا جمة، وجيوشنا ضخمة، إن استنجدتنا فغير ربض، وإن استطرقتنا فغير جهض، وإن طلبتنا فغير غمض، لا ننثني لذعر، ولا نتنكر لدهر، رماحنا طوال، وأعمارنا قصار، ...). هذه المقالات تستند إلى القيمة الجمالية الأخلاقية التي يعيش بها العرب، والتي بموجبها يتحدد وجودهم، لكن هذه القيمة الرُّوحية لا تنسجم مع تصوُّرات كسرى عما هو جميلٌ في الوجود فقط؛ والذي يتحدَّد بالنفعية والطبيعية، فكانت استجابة كسرى

للقيمة الجمالية التي عرضها العرب على هذا النحو: (أنفس عزيزة، وأمة والله ضعيفة)، بما يعني إقراراً بأهمية القيمة الروحية (أنفس عزيزة)، لكنه أكّد على جانب آخر في استجابته الجمالية: (وأمةٌ والله ضعيفة)، بما يعني أن القيمة الأخلاقية الروحية التي تحدّد نظرة العرب لما هو جميل، وممارستهم لها بوصفها أنموذجاً جمالياً يؤسس لاستجابة كسرى: (أنفس عزيزة)، لكنها إذ تقصر الجميل بهذا التحديد تبتعد عن القيمة المادية والنفعية التي يرى فيها كسرى عامل وجودٍ واستمرارٍ وقوة، وإن هذا الحصرَ لما هو جميل بالروحي والأخلاقي يجعل في وجودهم ضعفاً يجب ملؤه بما هو ماديّ ليبلغ مرحلةً من التناسق والانسجام يستقيم بها التقييم الجمالي كما يرى شارل لالو. وفي الفصل الأخير يعود الجميل والقبيح لتنازع الظهور، فالنابغة ذو حظوةٍ لدى المنذر لم يستطع المنخّل اليشكريّ بلوغها، وحين اصطحب المنذر النابغة لتناول الطعام معه في حجرته، كان من نصيب اليشكريّ تناول الطعام مع الحرس. فتظهر هنا قيمتان سلبيتان فيما قام به المنخّل: الكيدُ: مع التأكيد عليه: سأكيدُ لكَ كيداً، .. سأكيدُ لك كيداً، وهذه نيةٌ مرذولة أخلاقياً، تأسس عليها فعلٌ مستقبحٌ آخر هو الوشاية أيضاً، مضافاً إليها الكذب حين قال للمنذر إن النابغة عرّض بزوجته. هنا يمثّل النابغة القيمة الجمالية المحمولة على بلاغته، فقد سمّي نابغةً لنبوغه في قول الشعر، وهذا ما أسس لبراءته مما نُسب إليه، لذلك حين وقع المنخّل بشرِّ فعلته، لم يُثِرْ في النفس التعاطف، لأن الخوف على سقوط القيمة الجمالية الأخلاقية على يدِ (الكيد والوشاية) بما أنهما قيمتان سلبيتان من منظور القيمة الأفعالية للأخلاق، ينفي التعاطف مع سقوط الإنسان الموصوف بهما.

هاتان القيمتان الجماليتان: (الجميل والقبيح) في المسرحية، ليستا متنارعتي الظهور في المسرحية فقط، بل تتنازعان الوجود برمته منذ بدايته أيضاً، وعلى الرغم من أن الجميل لا يبقى جميلاً على الدوام حسب ما أتت به المقولات الجمالية، فإن هذا النوع من القيم الأخلاقية والإنسانية والاجتماعية يبقى محتفظاً بأهميته الجمالية، والدليلُ أن في استحضاره بعد مدة طويلة من الزمن، ما زال النفور من القبح متصدّراً، ولا يزال الميل للجميل أخلاقياً وسلوكياً حاضراً، مما يمكن أن يعني أن الجمال المادي لا يبقى كذلك على الدوام، نعم هذا صحيح، لكنّ ما هو جميلٌ أخلاقياً سيبقى كذلك مهما طال به العهد، ولن يسري عليه الشرط التاريخيّ بأنّ ما هو جميلٌ قديماً لن يبقى كذلك بصورة مستمرة، لأنه ببساطة يخضع للتفضيلات الثابتة طويلة الأمد ■

روائية سورية

(دِعِيَـــة)

جميع سالم الظنحاني
باحث في التراث الإماراتي

استوقفني مشهد فيديو تم تداوله على منصات التواصل الاجتماعي، يظهر فيه أحد شبان الدولة وهو يصور نبتة «اليح» (البطيخ) في صحراء الإمارات، مستغرباً من أن تكون اليحة مثمرة. وعلّق على المشهد بأنها نتيجة الأمطار الاستثنائية التي شهدتها الدولة في موسم الربيع (الصيف، كما يُعرف ملاحياً). اللافت للانتباه أن أغلب من شاهد الفيديو كانوا يعتبرونها حالة نادرة وغريبة، حيث عبّر الكثيرون عن دهشتهم وشكوكهم، قائلين إنها ربما تكون حنظلة وليس بطيخاً.

وما يلفت النظر في المقطع المصور هو استغراب أغلبية من شاهده، لكنني أرى أنه من الطبيعي أن تنمو (اليحة)، كما نسميها في لهجتنا المحلية، التي تُعرف بأسماء مختلفة في دول الخليج مثل: الرقي، والحبحب،، والبطيخ، والشمام، حيث إنها من الفصيلة نفسها. وتنمو هذه النباتات في المناطق الرملية والسيوح وبين الفرجان بفضل مياه الأمطار المتساقطة، خاصة في بعض المناطق الرملية مثل رأس الخيمة خلال السنوات المطيرة والخصبة. هذه الظاهرة جزء طبيعي من الحياة الفطرية، مثل باقي النباتات الموسمية والحولية في أراضينا «العذية»[1]. وهي تعرف باسم «دعية» منذ القدم بين كبار المواطنين. وهذه النبتة تنمو بفضل مياه الأمطار وتكون قوية ومثمرة دون الحاجة إلى الزراعة أو السقي. وتتميز بخضرتها

وطعمها اللذيذ إلى أن تذبل وتموت من قلة الأمطار، منهية بذلك دورة حياتها.

وفي حوار للدكتور الشيخ سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، مع الإعلامي محمد خلف في دارة الدكتور سلطان القاسمي للدراسات الخليجية، تحدّث عن زراعة البطيخ في الماضي في إمارة أم القيوين بطريقة عجيبة. وقال إن البطيخ كان يُزرع على الرمال القريبة من البحر ويتغذى على الرطوبة فقط دون الحاجة إلى السقاية. وكانوا يضعون له عوداً من البوص، لأنه أملس، وعند حلول الرطوبة عليه تتشكل قطرات الندى التي تسقط على جذور البطيخ، مما يساعده على النمو. وكان يتميز البطيخ بطعمه الحلو وكبر حجمه، لدرجة أنهم كانوا يربطونه بحبال كي لا يتشقق[2]. هذا الحوار غني بالمعلومات القيمة وعن مسارات الأودية في دولة الإمارات العربية المتحدة وتنوع تضاريسها الجيولوجية، كما أشار إلى الحالة الجوية لمنخفض الهدير بتاريخ 2024/4/16، الذي أثار دهشة الكثيرين كحدث تاريخي للمنطقة.

الجدير بالذكر أنه ينبغي علينا النظر بعناية إلى تراثنا وما خلفه الآباء من موروث غني، لنفهم بشكل أفضل طبيعة أرضنا وما تقدمه لنا من خيرات ■

الهوامش:

1. العذية: التربة الخصبة والمياه والصيد الوفير.
2. حديث الدكتور الشيخ سلطان بن محمد القاسمي مع الإعلامي محمد خلف (يوتيوب).

التشافي بالموسيقى عبر العصور

نورة صابر المزروعي
أكاديمية من الإمارات

اهتمت الحضارات القديمة بالفنون عامة وبالموسيقا والرقص والشعر والغناء خاصة وعدّوها فناً واحداً، ونُقشت كثيرٌ من النصوص التي تبين أهمية الفنون في المعابد والقصور والتوابيت، ونجدها كذلك محفوظة في أوراق البردي، واهتم ملوك الحضارات القديمة بفن الموسيقا وخُصصت فرق موسيقية داخل القصور الملكية وعدّت التربية الموسيقية علماً أساسياً في المدارس والمعابد. وكما في عصرنا الذي نعيش فيه كان هناك بين الحضارات القديمة تبادل ثقافي وحركة انتقال للعلوم والفنون والتأثر بها والاستفادة منها، فانتقلت بالتمازج والتجارة والسفارات الدولية وأسهم هذا التبادل في إدخال آلات موسيقية لم تكن متداولة من قَبلُ لدى الحضارات القديمة مثل آلة «الهارب» الفرعونية التي اشتهرت في معظم حضارات جنوب أفريقيا، وآلة «الشاهرود» التي انتقلت من بلاد السند إلى بغداد وتطورت إلى أن أصبحت آلة القانون. آمنت الحضارات القديمة بفكرة خلود الروح وعودتها للجسد، فاستخدمت الفنون في مناجاة الأرواح، كما خصص الكهنة أناشيد وتراتيل تمجيداً لها. فاستخدمت الموسيقا في المعابد لمعالجة المرضى النفسيين فكان لها دور شفائي لدى الحضارات القديمة. وكانت الفرق الموسيقية تخضع لمراقبة كهنة المعابد حتى لا يجري استغلالها بطريقة تسيء لسمعة الملوك والشعوب. وتشترك الحضارات القديمة في رفض الموسيقا المستوردة التي لا تعبّر عن ثقافتها والتي

عُرفت باسم «الموسيقا المبتذلة أو الفاسقة» وهي التي تعمل على تقاعس الشعب وتثير الغرائز. وقد أدّت الموسيقا دوراً مهماً في حفظ التراث الشفاهي وقوانين الحضارات وذلك بواسطة تلحين الكلمات بالموسيقا. نقل الإغريق الذين درسوا العلوم الروحانية والموسيقا والهندسة والفلك من الحضارة الفرعونية إلى الحضارة الإغريقية ونجدها في مؤلفات كل من أرسطو وأفلاطون وجالينوس وأبقراط وبطليموس، وتُرجمت العلوم اليونانية في الحضارتين والعصرين العباسي والأندلسي المتزامنين، حيث برزت الكتابات والأبحاث في الجانب الفني. وذلك عندما أنشأ الخليفة المأمون «دار الحكمة». إن دراسة العلوم اليونانية كان له الأثر البالغ في تطور الأبحاث النظرية لعلم الموسيقا وتطورها في الحضارتين العباسية والأندلسية، وبدأ تدوين الموسيقا يأخذ مكانته في تلك الحقبة، إذ جُمعت الأبحاث الموسيقية من مصادر يونانية، ومن أشهر الرسائل الموسيقية التي ترجمت: رسائل أرسطوكزينس وإقليدس وبطليموس ونيقوماخس ولرؤثموس، والتي استفاد علماء المسلمين منها لاحقاً في مؤلفاتهم الموسيقية كمؤلفات الكندي الموسيقية، وكتاب الموسيقا الكبير للفارابي، والأدوار في الموسيقا للأرموي، وكتاب الشفاء لابن سينا، وكتاب الحاوي في الطب لأبي بكر الرازي. وأظهرت مؤلفات المسلمين ضرورة استخدام الموسيقا في المستشفيات من أجل التخفيف عن المرضى ولاسيما قسم العلاج النفسي، كما أسست فرق موسيقية بإشراف الكندي والرازي في بغداد من أجل مداواة المرضى على أنواع معينة من المقامات الموسيقية بحسب حالة المريض النفسية، وانتشرت كتب تشتمل على سير الفنانين وأخبارهم، مثل: كتاب الأغاني الكبير لأبي الفرج الأصفهاني، وأخبار عزة الميلاء، وكتاب أغاني معبد، وكتاب أخبار حنين الحيري، وكتاب أخبار طويس، وكتاب أخبار سعيد بن مسجح، وكتاب الرقص والزفن، وكتاب النغم والإيقاع، وكتاب قيان الحجاز،... إلخ. كذلك ازدهرت الفنون في الأندلس ازدهاراً كبيراً ولاسيما في إشبيلية التي كانت مركزاً للفنون والثقافة، وبرز كثير من الملحنين والشعراء، واستعمل الأندلسيون آلتي العود والقانون (المستوردة من بغداد) اللتين تحتلان الصدارة بين جميع الآلات الموسيقية، وكانت إشبيلية مركزاً لصناعة هذه الآلات. وجد الموسيقيون رعاية وحماية من الخلفاء، وأصبحوا ندماء لهم، كما أسسوا معاهد موسيقية وأهمها معهد إسحاق الموصلي الذي يُعدُّ من أهم المعاهد الفنية لتنمية المهارات وتدريب الكفاءات الفنية من تعليم الغناء والتلحين وتصميم الرقصات، وتخرّج فنانون كثيرون من هذه المعاهد. وأنشأ زرياب أول معهد للموسيقى العربية في الأندلس عرف باسم «دار المدنيات» الذي اختص بالتربية الفنية، وكان له الأثر الكبير في تعزيز التبادل الثقافي، ونشر ثقافة الفنون واستقبال البعثات الفنية. واستقبل المعهد طلاباً من أنحاء الأندلس وخارجها من إيطاليا وفرنسا وألمانيا وإسبانيا،... إلخ، وأشهرها البعثة البريطانية التي كان على رأسها بنات الملوك وفيهن الأميرة دوبانت، ابنة أخ ملك إنجلترا جورج الثاني. ومن خريجي معهد زرياب، العالم عباس بن فرناس - صاحب أول محاولة طيران - والفنانة صبح البشكنجية وهي أم الخليفة هشام المؤيد بالله في قرطبة. وقد كان لتلك المعاهد صيت واسع في تحضّر الشعب والارتقاء بذائقته الفنية.

بعد انهيار الخلافة الإسلامية في بغداد وقرطبة ظل العلاج بالموسيقا قائماً في العديد من المدن ومنها: القاهرة ودمشق فكانت تملك العديد من المستشفيات التي تستخدم العلاج بالموسيقا، وفي العصر المملوكي، أنشأ المنصور سيف الدين قلاوون مستشفى في القاهرة اشتمل على قسم للمعالجة بالموسيقا لاستقبال المرضى النفسيين، وجرى توظيف فرق موسيقية علاجية تحت إشراف معالجين بالموسيقا. وفي دمشق

شيّد نور الدين زنكي مستشفى، استخدمت فيها الموسيقا وسيلة للعلاج في قسم الأمراض العقلية والنفسية. وذكر المستشرقون أن العرب كانوا رواداً في مجال الطب والتشافي بالموسيقا كما ذكروا فعالية المعالجة بالموسيقا في المناطق التي يحكمها العرب والأتراك، ثم بعد ذلك تراجعت فكرة إدراج العلاج بالموسيقا في المستشفيات في المنطقة العربية وجرى استيرادها من أوروبا (حقبة الاستعمار)، وأدخلت فكرة التشافي بالموسيقا بالتحديد في زمن الحرب العالمية بغرض التخفيف عن المرضى كما أدرجت الدول الأوروبية تخصصاً علمياً يؤهل الخريج أن يكون معالجاً موسيقياً ما يؤهله للعمل في القطاع الصحي بالمستشفيات. وفي وقتنا الحاضر تطالب الأحزاب السياسية والجمعيات المدنية في أوروبا بتبنّي فكرة الفنون في المستشفيات بوصفها أداة علاجية إلى جانب الأدوية الطبية. وتؤكد الدراسات الأوروبية استجابة الكثيرين من مرضى التوحد، والزهايمر، وأمراض القلب، ومرض السرطان وأمراض الجهاز التنفسي عقلياً ونفسياً وحركياً للموسيقا. وأظهرت الدراسات أن للموسيقا تأثيراً فعالاً على نفسية المرضى ■

توظيف الأدب الشعبي في النص المسرحي الخليجي

هيثم يحيى الخواجة

إن كتاب توظيف الأدب الشعبي في النص المسرحي الخليجي، تأليف الأستاذ سعيد محمد السيابي، بالإضافة إلى أهمية موضوعه فهو يتضمن طروحاً مهمة تستند إلى العلمية والواقعية، والرؤية الثاقبة، وقد قسّم المؤلف الكتاب إلى ثلاثة أقسام إضافة إلى المقدمة والخاتمة[1]. أنار المؤلف في المقدمة على أهمية فنون الأدب الشعبي وكيف حظيت باهتمام الدارسين، كما أشار إلى المنهج الوصفي الذي اتبعه في تأليف الكتابة، وخاصة بما يتعلق بتوظيف الموروث الأدب الشعبي في النصوص المسرحية، وقد اعتمد المنهج التحليلي لأثر هذا الموروث على العناصر المكونة للنص المسرحي.

1 - المثل في النص المسرحي الخليجي

أ - الأدب الشعبي والمسرح

يؤكد المؤلف أن الأدب الشعبي من أكثر مجالات التراث والموروث ارتباطاً بالإنسان: (ومجال الأدب الشعبي هو النتاج الفكري والمعيشي للجماعة الشعبية التي يعبر عن روحها وإبداعها قديماً وحديثاً)[2]، وحدد المؤلف صفات الأدب الشعبي بالتالي:

اعتماد اللهجة الدارجة، أدب شفوي يتناقله الناس، أدب يشترك في تأليفه أكثر من فرد، أدب مجهول المؤلف، أدب قائم على عملية التجميع التي تتم على مدى الزمن لمجموعة روايات أو أخبار ينظمها موضوع واحد، ويمكن أن تدور حول شخصية متفردة. فالأدب الشعبي يعبر عن ذاتية الشعب، ويورد المؤلف ما ذكره بعض الباحثين من تعريفات حول الأدب الشعبي وعند الحديث عن عناصر الأدب الشعبي وأنواعه يذكر بعض من أدلى بدلوه في هذا المجال، من ذلك ما ذكره محمد الجوهري في كتابه علم الفلكلور، حيث ذكر خمسة عشر لوناً، منها الشعري، ومنها النثري كالأسطورة، والخرافة، والحكاية، والموال، والأغاني، والمدائح الدينية، والتخمير، والابتهالات الدينية، والرقى، والأمثال، والتعابير والأقوال السائرة، والندوات، والألغاز، والنوادر، والقصص الفكاهية، والأعمال الدرامية. أما عن مفهوم التوظيف في النص المسرحي فيعني الاستفادة من الخامات التراثية التي يحتويها الأدب الشعبي، ويشير الكاتب إلى أن توظيف الأدب

«الخرايف» والأساطير فضاءات التأويل والتجريب في الأدب الإماراتي

الشعبي في المسرح الخليجي يمكن أن يكون مرئياً أو مسموعاً أو بنائياً نصياً. كما يشير إلى أن فكرة التوظيف تأخذ أهميتها في العصر الحديث من سياق البحث عن الهوية والتأصيل، وهذا التوجه لابد أن يفرز إثراءً جديداً في المسرح سواء أكان عبر الاستلهام أم التحديث أم التهذيب.

ب - توظيف المثل الشعبي في النص المسرحي الخليجي

لا ريب في أن المثل الشعبي من أكثر أنواع الأدب الشعبي انتشاراً، فالأمثال تهدف إلى تنظيم السلوك، كما تهدف إلى العبرة، لبلاغتها وأبعادها الفلسفية، ولأنها ترسم موقفاً من الحياة، ولأنها تتضمن حكمة صاغها مؤلف في الأغلب ليس معروفاً، فهي تعبر - كما يرى المؤلف - عن الاستحسان والاستهجان، من مثل: (حلاة الثوب رقعته منه وفيه)، الذي يشبه المثل الشعبي المصري (زيتنا في دقيقنا). ويرى الكاتب سعيد محمد السيابي أن المثل الشعبي في دول الخليج يعبر بصدق عن حياة الإنسان الخليجي فوق أرضه، كما أن دراسة الأمثال الشعبية تفسح المجال للتعرف إلى شخصيتنا الحضارية وواقعها النفسي والاجتماعي. وللمثل تعريفات عدة ذكر المؤلف بعضها وخلص إلى القول: (المثل عبارات متداولة بين الناس تتصف بالتكامل، ويغلب عليها الطابع التعليمي، وتبدو في شكل فني يرتفع درجة عن الأسلوب العادي)[3]. ويخلص المؤلف إلى أن الأمثال خلاصة تجارب الأمة، المشبعة بالذكاء، ولها مدلولات اجتماعية تعكس الواقع الموضوعي لمجتمع ما، وهي مظهر حضاري يتصل بجذور الشعب لأنه تراث العامة والخاصة. ويرى السيابي بأن المثل وظِّف في عدد من النصوص المسرحية الخليجية، وأن المسرح الكويتي

كان من أوائل من قام بهذا التوظيف من مثل مسرحيات: (ديرة بطيخ)، و(ناس وناس)، و(حي بحي)، و(التالي ما يلحق)، وغير ذلك. ومن المسرحيات الإماراتية التي وظفت الأمثال: (اللي ماله أول ماله تالي)، و(إذا غاب القط)، و(ولد الفقر طايح في نعمة)، و(فقير ودمير)، و(فار ومحصل شحمة)، و(المصفوع ما ينسى)، و(إذا فات الفوت)،... إلخ[4]. وقد وظف المثل المسرح القطري والمسرح السعودي أيضاً.

ثم يحلل المؤلف أنموذجاً لتوظيف المثل في عنوان المسرحية وأثره في عناصرها، كما يتحدث عن التوظيف داخل النص المسرحي الخليجي، ويرى أن أشكال ورود المثال في النص المسرح الخليجي لا تخرج عن ثلاث حالات هي: المثل الشعبي كاملاً وهو الأكثر وروداً في النصوص وذكر جزء من المثل، وتحوير المثل. ويتوقف السيابي عند أنواع الأمثال وسماتها العامة في النص المسرحي الخليجي، حيث تندرج تحت مسميات مختلفة (الموجز، الخرافي، الحكمي) وفي حديثه عن دلالات الأمثال في النص المسرحي الخليجي يشير إلى الدلالات الاجتماعية، والاقتصادية، والبيئية الثقافية والدينية.

2- الحكايات الشعبية في النص المسرحي الخليجي

الحكاية الشعبية قديمة ابتدعها الخيال الشعبي، بغاية الحكمة وإظهار تجارب الحياة، ونظراً لتنقل الحكاية، فهي تكسب في كل مكان مزايا وإضافات جديدة: (الحكايات الشعبية من أكثر موضوعات الأدب الشعبي والمأثورات الشعبية تأثراً بحكايات المجتمعات الأخرى، وكل ما زاد الاحتكاك الاجتماعي المجتمعي بغيره من المجتمعات زادت عوامل التداخل واكتساب عناصر جديدة)[5]. ويرى المؤلف بأن الحكايات الشعبية تقوم بدور كبير في تأكيد الروابط الاجتماعية بما تحمل من قصص عن القيم الاجتماعية والروابط الأسرية، إضافة إلى التفاعل والتأثير الثقافي والفكري والاجتماعي. وعن تعريف الحكاية الشعبية يورد المؤلف آراء عديدة حول ذلك ويرى أنها (خرافة أو سرد قصصي تضرب جذورها في أوساط شعب وتعد من مأثوراته التقليدية، وخاصة في التراث الثقافي)[6].

وفي مجال الحديث عن خصائص الحكاية الشعبية يرى المؤلف أنها تتلخص بالعراقة والحرية والمرونة، والجماعية، والتركيبات الشفهية، والمقارنة، وفيما يتعلق بوظائف الحكاية الشعبية يورد الوظيفة النفسية، والبيولوجية، والتسلية والإمتاع، والاجتماعية والثقافية، إذ يمكن أن تقوم بتعزيز القيم، والتحفيز نحو الأفضل، والتعليم، وإبراز القدوة الحسنة، والتنبيه من خلال التجربة البديلة. وقد قسّم الدارسون - كما يرى المؤلف - الحكاية الشعبية إلى أنواع حسب موضوعاتها (حكايات الحيوانات، وحكايات عادية، ونوادر ولطائف) وقد تناول المؤلف في توظيف الحكايات الشعبية في النص المسرحي الخليجي:

الأسطورة، والسيرة الشعبية، وحكايات الحيوان، وحكايات الخوارق، والحكاية الاجتماعية، والحكايات المستمدة من قصص ألف ليلة وليلة - «فحكايات ألف ليلة وليلة التي عرفها الشعب العربي تتضمن معظم هذه الأنواع بين حكاياتها، فقد كانت الليالي من أهم المصادر التراثية التي يستلهم منها المسرحيون الخليجيون العديد من العناصر في إبداعاتهم المسرحية»[7]. واستفاد المسرح الخليجي من الحكايات

الشعبية، ولأن المسرح بطبيعته وظّف التراث، ومن ذلك في موضوع الأسطورة (مسرحيات بودرياه، ومسرحية إيكاروس)، وفي موضوع السيرة والملحمة الشعبية مسرحيات: ابن جلا، والزير سالم، وجحا باع حماره، وصلاح الدين، وصقر قريش، وخالد بن الوليد، وغير ذلك. وفي توظيف حكايات الحيوان مسرحيات منها: الأرانب الطيبة، والنحلة والأسد، وأرض المسك، والنحلة الكسول، وغير ذلك. وفي موضوع توظيف حكايات الخوارق ذكر المؤلف مجموعة مسرحيات من مثل: مندرا، حبة رمل، ليلة الزفاف، الكنز، جميلة، وفي موضوع توظيف الحكايات الاجتماعية ذكر مسرحيات منها: سرور، هالشكل يازعفران.

أما عن توظيف الحكايات المستمدة من قصص ألف ليلة وليلة فهي: خروف ينام ينام، مهزلة في مهزلة، رحلة شهريار، هذا وقد درس المؤلف نماذج مما ذكرته من أمثلة.

3- الأغاني الشعبية في النص المسرحي الخليجي

للأغاني الشعبية دور في التأثير ومكانة في القلوب لما تفعله هذه الأغاني في المشاعر والأحاسيس، فالأغنية الشعبية تعتبر جزءاً من الأدب الشعبي، وبالتالي هي من الفلكلور كما أنها قديمة جداً في تاريخ الأمم، ومن مميزاتها أنها تصور البيئة، والحالة النفسية للإنسان، والعادات التي تمارسها الشعوب، وقد ترمز إلى نصوص موروثة يحملها الطابع الوجداني والعاطفي، كما قد تعبّر عن التراث الشفوي وهي جزء من الأدب الشعبي، وتعكس ثقافة شعب ما. وعلى الرغم من تعدد التعريفات الخاصة لها فهي برأي (جورج هيرتسوج) «الأغنية الشائعة أو الذائعة في المجتمع الشعبي، وهي تشمل شعر وموسيقى الجماعات الريفية التي تتناول آدابها عن طريق الرؤية الشعبية دون ما حاجة إلى تدوين أو طباعة»[8]. ويذكر السيابي صفات الأغنية الشعبية نجملها بالآتي: أن تكون شائعة ومن غير نص مدوّن وتتميز بأكثر من شكل مع انتشارها ومرنة وعذبة وتظل محفورة في ذاكرة الناس وتحافظ على الأسلوب الموسيقي الذي تستخدمه ولا يُعرف مؤلفها - أي مجهولة التأليف -[9].

أما عن وظيفتها فهي تحقق غاية أخلاقية أو سلوكية أو تعليمية أو وظيفية تدريبية. ومن خصائصها الرئيسية أنها تحمل طابع الشعبية أي تعبر عن عادات وتقاليد وأخلاقيات شعب ما، إضافة إلى التميز بالنص والبناء والتعبير واللحن والموسيقى والثقافة والاتصال بالمجتمع.

تصنيف وتوظيف الأغنية الشعبية

يكون تصنيف الأغنية إما على أساس الموضوعات وإما من حيث وظائف الأغاني:

(ويتضح ذلك من خلال أنواع التوظيف وأحجامه في النص المسرحي الخليجي من خلال ثلاثة محاور رئيسية هي: أغاني العمل، وأغاني المناسبات، وأغاني الأطفال[10]).

ويذكر المؤلف من العمل ما ورد في مسرحية (ليلة زفاف) للكاتب الإماراتي سالم الحتاوي:

آمنة: توب توب يا بحر

ميثاء وعلياء: يا بحر

آمنة: جيبهم

ميثاء وعلياء: يا بحر

آمنة: جيبهم

ميثاء وعلياء: يا بحر

آمنة: ياللومي[11]

كما يذكر المؤلف من أغاني مرحلة الصبا والألعاب الشعبية المرافقة لها أغنية المطر:

«طاح المطر بيد الله

كسر حوي عبد الله

طاح المطر برعوده

كسر حوي سعود[12]

توظيف الأغنية في النص المسرحي الخليجي

وقد حلل المؤلف مسرحية (البراقع) لتكون نموذجاً واضحاً

حول توظيف الأغنية في النص المسرحي الخليجي واستنتج بعد ذلك أموراً كثيرة منها:

- إن استدعاء الأغاني الشعبية في النصوص المسرحية الخليجية جاء توظيفها متفاوتاً.
- ارتبطت الأغنية الشعبية في الخليج بالشعب.
- اتسعت حدود الأغنية الخليجية في النصوص المسرحية.
- عبرت الأغنية الشعبية في النص المسرحي الخليجي عن المجتمع وطموحاته وأحزانه وأفراحه.
- شملت الأغنية الخليجية أكثر المراحل في حياة الإنسان.
- كانت متنوعة وارتبطت بالمهن.
- عبّرت عن مناسبات وقضايا كثيرة.

وجاء في خاتمة الكتاب: «وبما أنه لا توجد دراسات أدبية أو نقدية أو فنية أو توثيق في دول الخليج العربي، فقد تناولت هذا الموضوع فلعل كتابي هذا يكون فاتحة لدراسات مستقبلية تفتح مجالاً أوسع وأشمل في موروثنا الشعبي الخليجي الزاخر»[13].

أخيراً: إن كتاب السيابي (توظيف الأدب الشعبي في النص المسرحي الخليجي) كتاب له قيمته سواء من الجانب التراثي أم من الجانب المسرحي وهو ينبئ عن وعي الكاتب في أهمية الجانبين أما عن ضرورة التنوير على العلاقة بين الموروث وبين التراث وبين المسرح الخليجي، من حيث التوظيف ومن حيث الاستناد إلى التراث في البناء الفني المسرحي في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ■

كاتب ناقد مسرحي

الهوامش:

1. سعيد محمد السيابي، توظيف الأدب الشعبي في النص المسرحي الخليجي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2005 م.
2. المصدر السابق نفسه، ص 13.
3. المصدر السابق نفسه، ص 39.
4. المصدر السابق نفسه، ص 47.
5. المصدر السابق نفسه، ص 104.
6. المصدر السابق نفسه، ص 107.
7. المصدر السابق نفسه، ص 128.
8. المصدر السابق نفسه، ص 201.
9. المصدر السابق نفسه، ص 204.
10. المصدر السابق نفسه، ص 220.
11. المصدر السابق نفسه، ص 226.
12. المصدر السابق نفسه، ص 247.
13. المصدر السابق نفسه، ص 278.

رباعيات روحانية

شعر: الدكتور شهاب غانم

الله خالقُ كلَّ شيءٍ وحدَهُ
وجميع مَنْ في العالمين عبيدُ
ومن العجائب أنْ يؤله بعضُنا
حجراً.. وبعضٌ ماله المعبودُ
ويعومُ في الروث المقدَّس عالمٌ
في التقنيات وفي الجيوش عقيدُ
والبعض يعبد آدمياً مثلَهُ
والبعض منا آلهته قرودُ

الله أول كلمة تأتي على
بالي وتجري فوق رطب لساني
فإذا صحوت ذكرته متبتلاً
وإذا أردت النوم في اطمئنانِ
هو أولٌ قبل الوجودِ وآخرٌ
وكذاك في يومي وفي أزماني
لا شيءَ في الدنيا له من قيمةٍ
من دون ذكر الخالق المنانِ

لو كان شعري كلُّه في حمده
ومديحهِ فرداً لكنتُ الرابحا
ما هذه الدنيا سوى لمحٍ كما
لمحِ السرابِ إذا تبدى لائحا
لا تنخدع فالعمرُ بعضُ سويعةٍ
تأتي إلى دنياكَ فيها سائحا
وتحمّلُ الأوزار فيها جمةً
إن لم تكن فيها تقياً صالحا

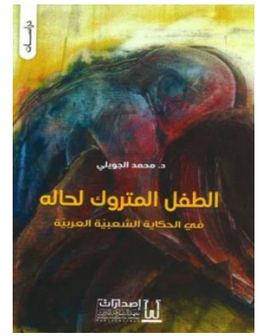

قراءة في كتاب «محمد الجويلي»

«الرَّجُل الذي حَبَل».. تحقيق شهوة المعرفة عبر الخرافة

خالد عمر بن ققة

حياتُنا قائمة على جملة من الحقائق التي تتداخل مع الخرافات، وهذه الأخيرة هي عبارة عن ميراث مشترك تتحكّم فيه الجغرافيا والتاريخ، وما ينتج عنهما من ثقافة في كُلِّها المُرَكّب، كما يذهب إلى ذلك علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا في تفسيراتهم، لهذا وَجَبَ البحث فيها من خلال تناول قضايا التراث. البحث في موضوع الحكايات الخرافية الشعبية - بعيداً عن الخوض المتبادل فيها بين العامّة والخاصّة - يتطلب خلفيَّة معرفيّة، ومرجعيّة منهجيّة، وحريّة علمية، يكون الهدف منها معرفة عمق الخرافات، ومصادرها، وتنوعها، وتأثيرها في مواقفنا - الظاهرة والباطنة - في الحكم على الأشياء.

وجاذبية البحث هنا - كما الحاجة إليه - تأتي من مُتْعة ظاهرة أو مستترة تلهو بها الأنفس دون أن تتخلى عن البُعد العقلي أيضاً، ليس لأن عملية البحث تؤسس عليه فقط، وإنما لكون الخرافات هي جملة من الأحاديث المتداولة بين الناس، بنسب متفاوتة، تُوجِد نوعاً من المؤانسة على ما فيها من غرائبيَّة أحياناً. في بعض الحالات تتحول الحكايات الخرافية إلى ظاهرة ثقافية، قد تُقدّمُ أو تُرْوى، زيادة أو نقصاناً، بصيغ مختلفة في بيئات متقاربة، يظهر فيها التأثير الجَمْعي على موضوعاتها وشخوصها، مع حفاظها في الغالب على الخصوصية المحلية، وهذه الأخيرة هي التي تميز بينها، وتدفع إلى الدراسة المقارنة، على النحو الذي سنراه لاحقاً في هذا العرض.

هناك حكايات خرافية شكّلت مصبّاً للبحث والاهتمام والدراسة، وقبلها كانت منبعاً لعجائبية كونها جاءت مخالفة للمألوف، ولِمَا تعوّد عليه الناس، بل مناقضة للسنن الكونية، ومع ذلك فقد تم تداولها لأنها عبّرت عن حاجات نفسية واجتماعية، كان الهدف منها في مرحلة أولى إنهاء مظالم متراكمة، وفي مرحلة ثانية بدت حالة من الانتقام لتلك المظالم، لم تكن على مستوى الحقائق والوقائع، وإنما كانت رجماً بالغيب لمستقبل آت، وتصوّراً وتخيّلاً يَحْمِلاَن نوعاً من الرجاء أو التغيير المنتظر. تلك الحكايات الخرافيَّة، خاصة الشعبية منها، كما هي في الكتاب الذي بين أيدينا، تحمل العلامات الدالة من حيث القراءة البحثية، التي مكّنتها من أن تصبح نصاً مكتوباً، وقد قضت قبلها حيناً من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً، وحين ظهرت في سياق الصراع الوجودي بين الرجل والمرأة، مالت ميلاً عظيماً نحو ترجيح مقصود لتغيير دور الزوجين الذكر والأنثى، وكانت لهذه الأخيرة أقرب.

حكايات العَقْدْين.. بحثاً

عبر هذه القراءة، والفهم، وإدراك المعنى، وتشكّل المبنى، نتأمل كتاب «الرَّجل الذي حبل.. السلطة، الولادة وتأنيث الوجود من الحكايات الخرافية العربية»[1] للأنثروبولوجي التونسي الدكتور «محمد الجويلي»[2].

في هذا الكتاب تناول الدكتور محمد الجويلي بالدراسة حكايات خرافية شعبية تتبّعها خلال العشرين سنة الماضية من بيئات عربية متعددة، جاءت واضحة ومعلنة ومعبّرة في عشر روايات، ما جعل منها حكاية العَقْديْن بحثاً، وهي حكاية الأزمنة السالفة رواية أيضاً.

طريقة البحث هذه تميّز بها محمد الجويلي، على غيره من باحثين كُثُر في هذا المجال، إضافة إلى إعطاء كتبه وأبحاثه بُعْداً قومياً، وذلك حين صبْغها بطابع عربي، ومنها تلك التي انطلق فيها من محليته التونسية، ولذلك حقّ له ولنا التميّز بوصفه باحثاً عربياً متخصصاً، بل هو موسوعي في هذا المجال.

في الروايات العشر التي جمعها الباحث حول موضوع «الرجل الذي حَبل» من دول عدة عربية، هي: «تونس»[3]، و«المغرب»[4]، و«مصر»[5]، و«فلسطين»[6]، و«السعودية (روايتان)»[7]، و«اليمن»[8]، و«عُمان»[9]، و«الإمارات (روايتان)»[10]، حيث الجمع، في موضوع شائك ومعقد، بين الجدّ والهزل، انطلاقاً من حكاية واحدة بروايات متعدّدة، حيث قام بتحليل هذه الحكايات الخرافية

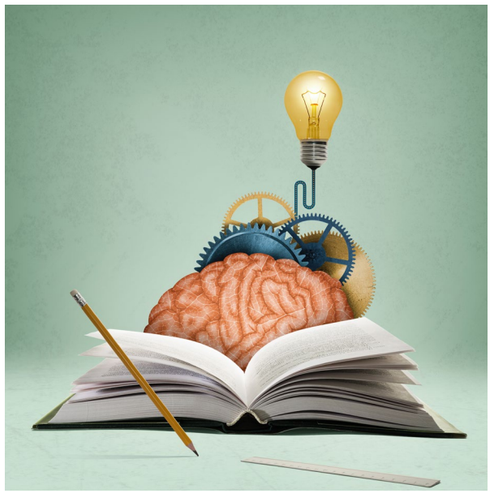

العربية في رواياتها المختلفة، وأضاف إلى ذلك على سبيل المقارنة تحليل حكايتين هزليَّتيْن من جنس أدبي شعبي آخر من «الجزائر»[11] و«ليبيا»[12].

وبالعودة إلى الروايات من خلال الدراسة التي قدمها الجويلي، نجدها تتفق على أنّ رجلاً قد حبل عوضاً عن زوجته وولد بنتاً بسبب أكله في غفلة منه لثمرة تخصّب النساء (تفاحة أو ترنجة أو بصيلات أو بيضة أو سمكة).

وعلى خلفية ذلك يتعرض للتغييرات الفسيولوجية والنفسية التي تواجهها النساء أثناء الحمل، فيتوحَّم ويشتهي المأكولات الطيبة، فتخفيه زوجته عن الناس مخافة الفضيحة، وعندما يحين موعد ولادته يخرج إلى الخلاء ويلد تحت شجرة بنتاً يتركها لحالها فتحملها الطيور إلى أعشاشها وتربيها وتغذيها حتى تصبح فتاة بارعة الجمال، فيفتن بها ابن السلطان (أو الشيخ أو الملك) ويتزوجها.

النشيد الصَّامت

يرى الجويلي: «أن الموضوع الأساسي الذي تطرحه تلك الحكايات الخرافية هو موضوع الحمل والولادة، حتّى وإنْ ورد معكوساً في نبرة ساخرة ضاحكة تقلب منطق الطبيعة رأساً على عقب، ممّا يثير الدهشة والعجب».

غير أنها في عجائبية تطرح مسألة المشاعر التي تمكَّنَت منها، ومكَّنَتْها من إحداث تغيير، حتى لو كان متوهماً أو أملاً ينتظر تحقيقه على مستوى التخيّل، لدرجة بدت فيه كل الروايات المعروضة كأنها حكاية واحدة لم تُحدِث فيها أزمنة التنقل شيئاً من التغيير، مع أنها راجت في أماكن مختلفة، وقدمتها بما يتناسب مع ثقافتها الشفاهية والمكتوبة.

هذا التحليل لا يتناقض مع ما ذهب إليه الكاتب محمد الجويلي، بل ربما يستمدُّ منه صلاحيّة التحليل في رهانيته، حيت التجاوب التلقائي والواعي مع ما ذهب إليه من تأسيس «سوسيو - أنثروبولوجي»، حين قال: «هذه الحكاية كما كلّ حكايات الجدّات والأمّهات الخرافيّة هي إنشائية منبثقة من القلب، نتيجة للوحدانية النهائية، وغنائية تستعيد النشيد الأصلي للأشياء والعالم، نشيداً ظلّ طويلاً صامتاً في مواجهة اضطراب القلب والنفس».

ولا يكتفي الجويلي عبر دراسته لهذه الحكايات الخرافية الشعبية، التي اختصرها هنا في حكاية واحدة، وهي بالفعل كذلك، بل يذهب إلى استحضار ما سمَّاه بالنشيد الصامت، ليدفع به نحو التعبير، النطق، الجهر بما يختلج في نفس المرأة، من خلال إنشائية يستعيد من خلالها - على مستوى الرمز الدراسة - ما يُكِنُّه الأنا الجمعي النسوي لتلك العلاقة التسلطية، التي يتحكّم الرجل في بدايتها ونهايتها.

هنا يحيلنا الكاتب، أو بالأحرى يذهب بنا، إلى عالم التساؤلات الكبرى بما فيها تلك الخاصة بالوجود، وبالعلاقات المشتركة، غير السوية في الغالب بين الرجل والمرأة.

وحين ندخل ذلك العالم - طوْعاً أو كُرْهاً - نتفاعل، إن كان لدينا تجاوباً معرفياً مع أطروحته، حين نراه ونُبْصره يتساءل على لسان المرأة في طرحٍ بلغ أشده على مستوى المساءلة، أوجد به نوعاً من الحوار مع الكون كله، حتى إن الرجل بدَا فيه ضعيفاً، رغم أن بعض المخلوقات الأخرى ظهرت مثله عاجزة عن الإجابة، وكذلك الزمن في دورته بين النور والظلام، كما في قول الجويلي الآتي: «أسأل النجوم لكنها تصمّت.. أسأل الليل والنهار، ولكنهما لا يجيبانني، في قرارة نفسي عندما أتساءل عن سبب ظلم الرجل لي وتنكّره لفضلي الوجودي عليه بحمله وولادته، تأتيني الأحلام والخرافات والضحكات التي لا يمكن لي تفسيرها».

الانتصار للأنوثة

وبوعي كامل، وهدف مقصود، ينتصر الجويلي للمرأة من خلال طرحه لرؤية واضحة تستند على ما جاء في قصة «الرجل الذي حبل»، والسؤال هنا: بماذا حبل؟

الإجابة في الحكايات كلها بأنثى، وهذا على عكس المرأة التي تمكّنت في الواقع والحقيقة من الحبل بالزوجين الذكر والأنثى، وقد بدت هذه الحالة، التي هي بنت المتخيل، خاصة بالمرأة، وأمامها عجز الرجل صاحب السلطة في الحالات كلها.

الانتصار للأنثى من طرف الجويلي، لا يمكن النظر إليه من زاوية تطويع الموروث الشعبي، خاصة في مجال الحكايات والسرد بشكل عام، لما يؤسس له الكاتب من رؤية نقدية تخص التراث الشعبي العربي فحسب، وإنما بما تَشِي به الحكاية الخرافية الشعبية هنا من دلالات، منها: كما ذكر المؤلف «رغبة النسوة اللواتي أبدعنها في تأنيث الوجود والتأكيد على شرف المرأة الأعظم، الذي عبّر عنه الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي: بحملها لروائح الخلق والتكوين».

هكذا إذن، يتّخذ الدكتور محمد الجويلي من الخرافة مدخلاً لتحليل تصور المرأة العربية للسلطة الرجالية في مقابل «سلطتها»، حيث الخلق والولادة والتكاثر، مستعيناً في ذلك من خلال المرجع النظري بآراء من «أرسطو» و«أبو حيان التوحيدي»، ومن قبلهما «محيي الدين بن عربي، كما سبق الذكر.

كتاب الجويلي، يُثير داخلنا شهوة المعرفة كما هي في رؤية أبي حامد الغزالي، وإن كانت هنا تعتمد على الخرافة، وحتى إن بدت موضوعاً جارياً على السخف كما ذكر المؤلف، الذي يرى: «أنّ التأمّل في الموضوع الخرافي بعمق من شأنه أن يفتح العقل، ويشحذ الأذهان لفهم ما يختفي وراء الحكاية من دلالات نفسيّة وأنثروبولوجية على غاية من الأهمّية»، وقد كشف الجويلي لنا هذا هنا، وربما سيساعد ذلك على تحميل العقول بيقين المعرفة الكلية أو الجزئيّة ■

كاتب وصحفي جزائري

الهوامش والمراجع

1 - انظر: الدكتور محمد الجويلي، الرّجل الذي حبل، دار أفريقيا - الشرق، الدار البيضاء، المغرب، مايو 2024م.

2 - الدكتور محمد الجويلي.. مدير للدراسات في أنثروبولوجيا الثقافة العربية في جامعة «منوبة» في تونس، خرّيج جامعة السوربون في باريس، وهو أستاذ زائر في العديد من الجامعات العالميّة، ويعتبر رائداً في العالم العربي للمدرسة الأنثروبولوجية في تحليل الحكايات الخرافية التي تلت «المدرسة الشكلانية» بتأثير من العلّامة الروسي فلاديمير بروب (Propp).. صدر له العديد من الكتب، منها أربعة عن «معهد الشارقة للتراث»، هي: «الأمّ الرَّسولة.. رسالة الأم في الحكاية الشعبية العربية»(2019م)، و«الإنسان على لسان الحيوان: في الاجتماع البشري من خلال الحكاية المثلية»(2021م)، و«الطفل المتروك لحاله في الحكاية الشعبية العربية»(2022م)، و«النبات في الحكاية الشعبية العربية»(2023م).

3 - سالم ونيس، أنثى الطاووس (دوّنها كما وردت على لسان راويتها) ضمن الحكاية الخرافية والشعبية، الرّاوية: علياء الغربي، تونس العاصمة (مونفلوري)، 1974م، (تسجيل 9 دقائق) نقلها من العامية التونسية إلى العربية الفصيحة: محمد الجويلي، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، 2016، ص 216 - 220.

4 - فوزيّة مندب، تفّاح الحَبل (جمع ونقل من العامّية المغربية إلى الفرنسية) ضمن حكايات جدّة (بالفرنسية)، المغرب، 2017م، ص 47 - 50 .. على الرابط:

Faouzia Mondib, Contes de grand- mère, pp. 47-50 Illustration Lilya)

(Zekraoui, Dépôt Légal : 2017MO5358, IsBNM 978-9954-9830-0-3

5 - مجدي الجابري، الرجل اللي حبل وولد من بطن رجله، حكايات شعبية، أعدتها للنشر: صفاء عبد المنعم، ضبط التدوين والصياغة إلى الفصحى الدكتور محمد حسن عبد الحافظ، الهيئة العامة لقصور الثقافة (إقليم القاهرة الكبرى-ثقافة القليوبية)، القاهرة، 2002م.

6 - رشدي الأشهب، (جمع وتدوين) «تفاحة الحبل» في كان يا ما كان: حكايات شعبية من مدينة القدس. رواية محمد خليل رفاعي، القدس، 1981م، دار علوش للطباعة والنشر، بير زيت، 2001م، ص 101 - 104.

7 - تناول محمد الجويلي بالدراسة والبحث روايتين من السعودية، هما:

. لمياء محمد باعشن، (جمع وتحقيق)، «ترنجة» في التّبات والنبات: حكايات شعبية من جدّة، الطبعة الأولى، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، 1416 هجري، ص 124 - 129.

. عبد الكريم الجهيمان، (جمع وتدوين)، «سالفة صالح مع زوجته والترنجة» في أساطير شعبية من قلب الجزيرة العربية، الجزء 4، الرياض، دار أشبال العرب، 1980م، ص 382 - 397.

8 - عبده علي محمد، (جمع وتدوين)، «ترنجة» في حكايات وأساطير يمنيّة، صنعاء، دار الكلمة، الطبعة الثانية، 1985م، ص 139 - 149.

9 - فاطمة بنت قلم بن خميس الهناني (إعداد)، «الصدّة» ضمن كتاب روت لي جدّتي: من السرد الشفاهي بتصرّف (المجموعة الأولى)، الطبعة الأولى، سلطنة عُمان، وزارة التراث والثقافة، 2006م، ص 57 - 64.

10 - تناول الدكتور محمد الجويلي بالدراسة والبحث روايتين من الإمارات، هما:

. عبد العزيز المسلم، «دواء الحمل» في حكايات خرافية، الراوية: فاطمة بنت صقر بن سالم اليوسف النعيمي، ط 3، (دبي، دار كتاب للنشر والتوزيع، 2013)، ص: 87 وما بعدها.

. أحمد راشد ثاني، (جمع وتدوين)، «مكسّر الجوز» في حصاة الصبر، الراوية: كلثم أحمد المطوع، (أبوظبي، دائرة الثقافة والسياحة، 2018م)، ص 235 وما بعدها.

11 - الدكتورة مريم بو زيد، «نِفاَس الرّجل» (جمع).

12 - الدكتور علي برهانة، «يا عين الشبابة ما دِرْتِ في بَابا»، الراوية آمنة إبراهيم

الوباء المعلوماتي... جائحة الوعي

شريف مصطفى محمد
كاتب مصري

تستمر شبكات التواصل الاجتماعي في التوغل في تفاصيل الحياة اليومية للمجتمعات البشرية دون استثناء ولا تمييز. في السنوات الأخيرة تمكّنت وسائل التواصل الاجتماعي من اختراق أكثر من نصف سكان العالم البالغ عددهم 8.01 مليار نسمة طبقاً لتقرير (العالم الرقمي لعام 2023) (REPORT DIGITAL 2023) الذي نشره موقع (we are social)، الذي أشار إلى تضاعف قاعدة مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي ثلاث مرات تقريباً في العقد الماضي، من 1.7 مليار مستخدم في عام 2013 إلى العدد الذي تجاوز 4.76 مليار مستخدم في عام 2023، وتبلغ النسبة الحالية للأشخاص الذين يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي نحو 60% من إجمالي سكان العالم. مع هذه الأرقام نقف عند الأثر الكبير على عقلية البشر في كل مكان في العالم، وتعطينا رؤية متخوّفة من قدرتها على تشكيل وعي زائف، يزيد معه نمو ما يعرف بالوباء المعلوماتي.

الوباء المعلوماتي (infodemic) هو مصطلح يستخدم لوصف الانتشار الواسع والسريع لكميات هائلة من المعلومات، سواء كانت دقيقة أم لا، حول موضوع معين. عادةً ما يكون هذا الموضوع ذا أهمية كبيرة، ويثير قلقاً عاماً، مثل جائحة أو أزمة سياسية أو جدل اجتماعي. الوباء المعلوماتي يمكن أن يؤدي إلى تضليل الجمهور ونشر الشائعات والمعلومات المضللة، ما يجعل من الصعب على الناس العثور على مصادر موثوق بها، أو معلومات دقيقة لتكوين رؤية حقيقية وواقعية.

رأس حربة الوباء المعلوماتي الأخبار الزائفة التي تُنْشَر من أجل توجيه الوعي والرأي العام في اتجاه يتطابق مع أهداف خبيثة للمروّجين لهذه الأخبار الزائفة، والتي يكون الهدف منها في الغالب هو توجيه الرأي العام ناحية توجّهٍ ما، سواء كان هذا التوجه سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً ليخدم أهداف المروّجين لها، ويذكرنا التاريخ بما استخدمته ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية من الدعاية الإعلامية بشكل فعّال لتعزيز أجندتها، واستغلت ذلك لنشر الأيديولوجيا النازية، وخلق صورة مثالية عن النازية والتفوق العرقي، وكذلك تشويه سمعة الأطراف الأخرى، ونزع الإنسانية عن الباقين، واستُخدمت الرسوم الكاريكاتيرية، والأفلام، والإذاعات وحتى الألعاب الرياضية كأدواتٍ لتعزيز الدعاية النازية وتحريض الرأي العام ضد الآخر وتحفيز الروح الوطنية العنصرية. هذا الاستغلال الشامل للإعلام أسهم في تعزيز سيطرة النازيين ودعم جهود الحرب، ونجح جوبلز وزير الدعاية الألماني خلال تلك الفترة في خلق تيار إعلامي قوي مؤثر في الرأي العام، هذا كان قبل مئة عام تقريباً فما بالنا اليوم وذهنية كل فرد من المجتمع مخترقة بوسائل التواصل.

خلال فترة جائحة كورونا انتشرت عبر شبكات التواصل الاجتماعي الكثير من المعلومات الزائفة حول الفيروس وكيفية التعامل معه والحماية من الإصابة فيه، وجزء كبير من هذه المعلومات كانت مجرد معلومات زائفة غير حقيقية، ولا تعتمد على أسس علمية، وكان له الأثر السلبي على صحة الكثيرين ونفسياتهم من رواد شبكات التواصل الاجتماعي. وفي السياق نفسه لا يمكن أن نغفل العديد من نظريات المؤامرة التي نشرتها شبكات التواصل الاجتماعي، مثل: نظرية المليار الذهبي، وتغيير المناخ المتعمد وغيرها من المعلومات الكاذبة والمضللة التي تؤثر بصورة مباشرة في السلم المجتمعي حول العالم. حتى على المستوى الفردي المتابع لشبكات التواصل الاجتماعي كثيراً ما يجد من يلجأ إلى طرح تساؤلات حول بعض القضايا الطبية والشخصية، ويستمع إلى مشاركات المتابعين، ويسير وراء آراء مشاهير السوشيال ميديا الذين يعتمدون على ثقافة الترند والانتشار دون علم، وهذا يؤثر في حياة الفرد الشخصية بصورة مباشرة، وقد يؤدي إلى كوارث تصيب حياته ونفسيته. مع تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي وصلنا إلى مرحلة مرعبة من القدرة على تزييف الحقائق بتزييف الصور والفيديوهات والتسجيلات الصوتية بصورة متقنة يصعب على غير المتخصص إدراكها، وإدراك هذا التزييف وهنا تزداد مكامن خطورة الوباء المعلوماتي الذي قد يصيب السلم المجتمعي في مجتمع ما أو في العالم كله، وليس ببعيد حالات الانتحار التي حدثت خلال الفترة الماضية في بعض المجتمعات التي جاءت إما نتيجة ابتزاز بصور مزيفة وإما نتيجة مشاركة في تحديات خطيرة وإما رغبة في الانتشار وصنع ترند، فيلجأ الفرد إلى ارتكاب أفعال خطيرة قد تؤدي إلى موته وإصابة من يشاركون بها بأضرار جسيمة. والمتتبع الخبير العارف في التواصل الاجتماعي يرى كل يوم ازدياد خطورة انتشار الوباء المعلوماتي وقدرته على إحداث خلل في المنظومة الاجتماعية والأمنية في المجتمعات التي تتعرض للوباء بصورة عميقة ومتواترة.

إن الحضارة الإنسانية تتعرض حالياً لتطور وباء أشد خطورة من جائحة الكورونا التي اجتاحت العالم قبل سنوات فنحن أمام وباء لا توقفه المضادات الحيوية واللقاحات المصنعة داخل المعامل، ولا يحبس داخل أنبوب اختبار يساعدنا على فهمه وإدراك المؤثرات التي تقضي عليه. نتعامل مع وباء فكري وثقافي لا مادي ينتشر في الوعي، وبوتيرة متسارعة في العقل الجمعي لأي مجتمع وما حدث في بعض المجتمعات العربية خلال العشرية الثانية من القرن الحالي من تحولات وتغيرات وما عرف بالربيع العربي، الذي لم يجنِ منه أي مجتمع منهم إلا المزيد من التدهور والتفكك والانزلاق أكثر إلى حافة الخطر. وحالياً تتعرض مجتمعاتنا إلى فيض من الأوبئة المعلوماتية تهدد السلم المجتمعي والاستقرار والسؤال هل سيتوقف الوباء؟ والإجابة الحاسمة (لا).

المواجهة تبدأ أولًا من بناء أجيال تمتلك عقلًا نقدياً واعياً لا تخشى طرح التساؤلات والبحث عن الإجابات لا تحكم عقولها مفاهيم (لا تجادل ولا تناقش) خلال مراحلها العمرية الأولى، فهذا هو التحصين الأولي والحقيقي ضد الوباء ثم التوعية بالوباء المعلوماتي حيث تُعد أمراً بالغ الأهمية في العصر الرقمي الحالي. إن فهم طبيعة هذا الوباء والتأثيرات المترتبة عليه يُمكّن الأفراد والمجتمعات من تطوير استراتيجيات فعالة للتعامل مع المعلومات المضللة والأخبار الكاذبة. يتضمن ذلك التعرف على الطرق التي يمكن من خلالها التحقق من صحة المعلومات، والتمييز بين الحقائق والآراء، وكذلك فهم كيف يمكن للمعلومات المضللة أن تؤثر في قراراتنا وآرائنا.

الوعي بالوباء المعلوماتي يعتمد على التعليم والتثقيف المستمر حول كيفية استخدام وسائل الإعلام بشكل نقدي ومسؤول. يشمل ذلك تعزيز مهارات النقد الإعلامي في المؤسسات التعليمية والمجتمعية، وكذلك تطوير برامج توعية تهدف إلى رفع مستوى الفهم العام لمخاطر الأخبار الكاذبة والمعلومات المضللة.

فضلاً عن ذلك، من المهم تعزيز الشفافية والمساءلة في نشر الأخبار والمعلومات عبر منصات التواصل الاجتماعي والإعلامية الأخرى. وذلك يشمل تطوير وتنفيذ سياسات وأدوات فعالة لكشف المحتوى المضلل ومحاربته.

في نهاية الأمر، يجب على كل فرد تحمّل مسؤولية التحقق من صحة المعلومات التي يتلقاها ويشاركها. هذه المسؤولية تشمل البحث عن مصادر موثوق بها، والتحقق من الحقائق، والتواصل بطريقة مسؤولة. من خلال هذه الجهود المشتركة، يمكننا التصدي للوباء المعلوماتي وتقليل تأثيره في مجتمعاتنا ■

الريّال سيل والحرمه مْغنى

شيخة الجابري

فاجأها المخاض لم تكُن مُهيأة لمثل تلك اللحظة، كانت تروح بعيداً تهربُ عن كل ما كان يمكن أن يستفز الذاكرة أو يأخذها إلى أيام انطوت ومضت في سجل الوقت والذكريات العتيقة، نما إليها أن عليها اللحظة أن تستعيد لقطات ولحظات من سنواتٍ خلت كانت هيَ فيها الفارسة النجلاء، السيدة المُبجلّة الجميلة، الراقية، الشفافة، المتواضعة مالكة الزمام، صاحبة أرق وأعذب الكلام، في بيتها ملكة لا تنافسها وصيفة أو حتى جارة أو صديقة.

كانت «كاملة» وهذا اسمها كاملة في أخلاقها، ومحاسنها، وحضورها وبهائها، منزلها هو البيت الكبير الذي «يتعنّى» إليه الناس، ويستظل بظلاله الوارف كل ضيفٍ يعبر في تلك المنطقة الواقعة بين الساحل والبحر، ميزةٌ جغرافية طبيعية لا تتوافر للعديد من المدن والمناطق في الخليج آنذاك، بيتها «ملفى» الضيف، ومكرم اللاّفي، زوجها رجل له قيمته وهيبته فهو «بو محمد» التاجر الكبير الذي يشار إليه بالكريم، الشجاع، الوافي، والطموح لتحقيق الكثير مما أراده أن يتحقق، يعمل في التجارة ويملك المزارع والضواحي. أبناؤه علمهم على الندّية والتنافس، عمل في كل مهنة لم يأنف من مهنة بعينها حتى ذاع صيته كرجل كادح لا يؤمن بالمستحيلات.

كاملة كانت معه في كل مرحلة سعى فيها إلى تحقيق أحلامه، كانت تختزل الأيام، وتحفظ ماله وحلاله حتى أصبحت لديه ثروة كبيرة، تستعيد في ذاكرتها دوماً وصية أمها الصالحة «صالحة» «الريال سيل والحرمه مْغنى» كان أبو محمد يحمل لزوجته وأبنائه حباً وتقديراً، ويفخر بها وبحكمتها وشجاعتها وفلسفتها حتى في مجالس الرجال، أنجب منها 3 أبناء، وابنتين، كل واحد منهم أصبح له شأن ومكانة، وعملٌ يخصه ونجح فيه فقد صقل والدهم شخصياتهم وعلّمهم الكثير مما لم يتسنَ له في ركضه نحو الحياة والرزق فعوّض حرمانه في تعليم أبنائه، أما البنات فقد ذهبت كل واحدة منهن إلى منزل الزوجية فالنساء في الزمن القديم يعملن في تنشئة الأبناء والاهتمام بالزوج والمنزل كانوا يقولون «شي حريم وشي حرم رم، وشيْ كبيش في البيت يترم رم» بنات أم محمد كنّ كاملات كأمهن كاملة.

ذات مساء انتظرت كاملة أبا محمد ليعود إلى المنزل في موعده لكنه تأخر وليس من عادته أن يتأخر إلاّ إن كان مسافراً في رحلة تجارة بين الدول المجاورة يعود منها بالرزق الوفير، والخير العميم، لكنه لم يخبرها بموعد سفر، ولأنها سيدة المكان ولديها عيونها التي من خلالها ترصد كل شيء، فقد سرى شكٌّ في نفسها بأن ثمة أمراً يحدث من ورائها وهي لا تعلم به، فقد رأت ولمحت واستشعرت تحوّلاً غريباً في سلوك وتصرفات رفيق عمرها منذ شهر مرّ وعبر لكنها لم تحادثه فيه، وفي تلك الليلة استدعت حواسها الخاصة وراحت تبحث عمّا وراء الغائب الذي «حجّته معاه» كما يقولون.

في ذلك المنزل الكبير حيث «الحوش» الشاسع المساحات «اللي تركض فيه الخيل» والغرف التي تملأ أركانه، حيث تم تشييده من الأسمنت والجص وكانت أسقفه من الجندل الذي يجلب من خارج المنطقة واستخدم في بناء جدرانه وأسقفه

جذوع النخيل والليف والخوص، توسطت أم محمد «ليوان» البيت وجلست ترقب عودة زوجها المشكوك في أمره، ولكنه تأخر، لكن طارشاً تبعه جاءها بخبر صاعق فقد أسرَّ إليها أن «بومحمد» في منزل «بوسالم» ويتم الآن عقد قرانه على شقيقته الأرملة التي توفي زوجها منذ عام.

نزل الخبر كالصاعقة على السيدة الجميلة المعطاءة، لم تُصدّق ما قاله الرجل فأرسلت شقيقها ليتيقّن فأكد لها الخبر الذي كسر قلبها، وراحت تستعيد ذكريات الأيام التي مضت مع زوجها، فكان هو وأولادها شغلها الشاغل، لم تلتفت إلى نفسها بقدر ما كانت تصرف وقتها من أجلهم. انتظرت السيدة «كاملة» في ليوان البيت حتى انتصف الليل تنتظر المعرس الجديد، ولما أن أطل بهيبته التي يعرفها الجميع، لم تهتم له، ولكنها ولأنها تدربت على استخدام السلاح البسيط فقد كان في بيتهم «تفق» تسمى «سكتون» خزان «الزانة» فيه قد تمت تعبئته بالرصاص، وهي تعرف كيف تستخدمه فما أن أقبل يلقي تحية المساء حتى بادرته بطلقة في رجله اليمنى، ثم قالت له «وين ما انكسرت ريلك أوقف» واطلع من البيت اللي ما حشمته، «رد البيت اللي ضاوي منه».

دون أن ينبتَ ببنتِ شِفه أو يُبدي أي رد فعلٍ على ما حدث، خرج الزوج من المنزل يرافقه ابنه البكر محمد لتتم معالجته، وبقيت كاملة تنتصر لما بقيَ من كرامتها ولسان حالها يردد «الريال سيل والحرمه مْغني» حتى رحلت عن الدنيا وفي قلبها غصة كبيرة، وبقيَ بو محمد متحسراً على ما فعله بالسيدة التي حفظت بيته وماله وأبناءه، باكياً على ما فات من عمره الذهبي مع سيدة النساء الجميلات الحكيمات التي انقطعت علاقته بها منذ تلك اللحظة التي قالت فيها الرصاصة كلمتها ■

باحثة وأديبة من الإمارات

التغنّي بالمكان معشوقاً

خالد صالح ملكاوي

علاقة إنسان الإمارات بالمكان الجغرافي هي علاقة وجود، إذ ارتبط بالأرض بوصفها مأوى وموطناً ومصدراً لعيشه وقوته، وظلَّ المكان على الدوام شاهداً على حياته وحركته وانفعالاته، وقرطاساً مرئياً سجَّل عليه ثقافته وفكره وفنونه، وخطَّ مخاوفه وآماله وأسراره، وأودعه كل ما يتصل به وما وصل إليه من ماضيه ليورثه إلى المستقبل، فجعله حاضناً لوجوده على مر العصور. وارتبط الشاعر الإماراتي ارتباطاً نوعياً بالمكان الذي ولد فيه وعاش فيه، فشدَّه ليتغنَّى به في أشعاره، ورسمه لوحات تحمل معنى الحياة والاستمرارية والاستقرار، ولوَّنه بالكائنات وبالأشياء التي تضفي عليه أبعاداً خاصة من الدلالات، ومدَّه بالأحداث التي تمنحه الحيوية والمعنى والقيمة. من خلال مفرداته الثريّة والمسكونة بالأسرار؛ كالبحر والمطر والسيول، والواحات والزهور والأشجار والنباتات، وتلك المُشبعة بحبّات العرق وأنفاس العطش؛ كالصحراء وكثبان الرمال والهضاب، والمفردات الشاهدة على انعتاقات أحلامه وتطلعاته؛ كالسماء والشمس والقمر والنجوم.

المكان.. الوطن

لقد شكّل المكان أينما وجد في أرض الإمارات وطن الشاعر. فنرى عيسى بن قطامي المنصوري يحدّد الوطن بمكوناته من أماكن مدنه الرئيسية، فيعدّدها واصفاً:

«بوظبـي» و«دبـي» و«العيـنا»
خيرهـن فـي وطنهـم مطنـي
«الشارقـة» و«عجمـان» عدّينـا
نورهـن مُـن الشـرف يسنـي
دار «ام قيويـن» مـا نسينـا
شيخهـا لـي فاهـم ومعنـي
صـوب «راس الخيمـة» انحينـا
و«الفجيـره» علمهـا رفنـي
بالشـرف والعـزّ رسّينـا
بالجمـال الباهـي الحسنـي

والوطن بأماكنه المختلفة هو المحبوب الذي لا يرقى إلى مكانة حبه عشق، هكذا يعلن علي بن رحمه الشامسي، إذ يقول:

الحـب لـه سبعـه وسبعيـن ليلـه
وثلاث ما يحصـل مثلهن في لوجـود
حب الوطـن والديـن مالـه مثيلـه
وارضٍ عليهـا كنـت عايـش ومولـود
شاغل قلـوب النـاس مـن كـل قبيلـة
واللـي قبلهـم تواريـخ مـعدود
الحـب مـن طبـع النفـوس الأصيله
ولي ما يعـرف الحـب هـذاك مفقـود
صحيـح لي قالـوا بلدنـا جميلـة
فيهـا جمـال الحسـن كـل يوم في زود

مدَوَّنة الوجدان

ويبدو اهتمام الشاعر جليّاً بالأماكن التي عاش فيها وكانت له فيها أجمل ذكرياته وذكراه، وجعل منها مدونته الجمالية والوجدانية والإنسانية. وتسابق الشعراء في ذلك وتفننوا في وصف الأماكن التي ترعرعوا فيها، فها هو سلطان بن وقيش الظاهري يقول في مربى صباه:

بوظبـي والعيـن داري والوطـن
مطـرح لرْاسـي وانا روحـي فـداه
لـه ودادٍ في القلـوب إلْنـا سكـن
يِعَـلْ رب العرش يكبـت مَنْ عـداه

وتتحدث فتاة العرب عن مدينة العين التي أقامت فيها معظم حياتها، فتصف ربيع العين، وموسم القيظ الذي يجمع الحضّار القادمين من المدن، ينعمون بثمار نخيلها وفاكهتها، ومياه أفلاجها التي تنتشر شرائعها بين الواحات، وتضيف شاعرتنا على هذه الصورة الحيوية للعين مشهداً آخر تشكّله حسناوات العين ذوات الصون والعفاف. تقول فتاة العرب:

قـال مذلـول الغوانـي والمغـان
إيـه ياللـي للمعانـي تسمعـون
هاض مـا بالجـاش وانشيت البيـان
ظاهـر العنـوان فـي لفظـه وزون
مـن فهيـمٍ هـزّ مصقـول اليمـان
فـي يمينـه بالتغـزّل والفنـون
شـاف ما لا شـاف غيره في الزمـان
وابتصـر في النـاس من عالـي ودون
ذكّـره مـا راح فـي ذاك الأوان
مرتـع الحيّيـن لـي بـه ينزلـون

والربيـــع يـــزف مخضـــر الجنـــان
موســم في القيــض تنْبَعْ له ضعــون
داريلـــي ظلهـــا مدهـــمٍّ ودان
لي سماهـــا دوم تكسيـــه المـــزون
هـــي نعمـــان لو قالـــوا عمـــان
جنـــة فيهـــا الشرايـــع والغصـــون
هيه مقـر البيـض والحـور الحسـان
صاينـــات العرض من عفـه وصـــون

ويقول الشامسي في ما يهوى قلبه من الأماكن:

مسمـــوح قلبـــي ويـــن يهـــوى
يبـــدع مثـــل ويصـــوغ الأفْنـــان
على مدينـــة زايـــد انـــوى
ويـــن النسيـــم يهـــب ذنّـــان
مســـراح وإلا وقـــت مضـــوى
مـــرواح وإلا وقـــت معطـــان
لمبيـــت فيهـــا كـــم يســـوى
ترتـــاح لـــي مـــن بيـــت تعبـــان
وخـــلاف دار القلـــب جـــدوى
داريهـــا يرتـــاح الإنســـان
يبغـــي محاضـــر رمـــل «ليـــوا»
تشبـــه محاضـــر جبـــل لبنـــان

عرائس الأماكن

ويتوّج محمد بن زنيد مدينة دبي عروساً للخليج، ويربّعها على عرش كل الأماكن، ويبوّؤها المكانة الأسمى في قلبه، ويقول في تعلُّقه بأماكنها:

عـــروس الخليـــج أعني ديَيّ العزيـــزه
بـــلادٍ أفَضّلهـــا على كـــلّ بلـــدانِ
بـــلادٍ ولَـــدت بْهَا وقلبـــي يحبّـــا
كمـــا حُـــبّ والِدةٍ على طفلها حانـــي
أعـــادي أعاديهـــا ومـــن عـــاد ضدّهـــا
واكافِـــح بجهـــدي دونهـــا ثم بِلْسانـــي
ولو فرّقـــت الايّـــام بينـــي وبينهـــا
فـــلا القلـــب ينساهـــا ولا هِيـــه تنسانـــي

ويشاطره هذا التتويج والتعلُّق المتجذّر بدبي محمد بن صقر، ويصف زينة أماكن المدينة وحيويتها فيقول:

يا زايـــر دبـــي شوف دبـــي محْلاهـــا
شوف المطـــار وشوف محْـلا شواطيهـــا
عروس الخليـــج اللّي وَصَفْهـــا تعـــدّاها
تزهـــي بلبـــسٍ كساهـــا الرب عاطيهـــا

وفي مدينة الشارقة، حيث احتلت قسطاً وافراً من حياة علي بن رحمه الشامسي، فأحبها ورسم لها أجمل لوحات، إذ يقول فيها:

الشارقـــه وســـط الإمـــارات جنّـــه
واجـــب عليّـــه ابدع الشعـــر واهْديهـــا
فيهـــا الحدايـــق وفيها الورود وسمنّـــه
وفيهـــا البلابـــل شوقتنـــي أغانيهـــا
محْلا الشجـــر والنخـــل منّـــه ومنّـــه
محْـلا شوارعهـــا ومحـــلا مبانيهـــا

ويقول في موضع آخر:

الشارقـــة فيهـــا وصـــف الغوانـــي
شبـــه العروس اللي زهـــت في خدرهـــا
ألفيتهـــا مـــن يـــوم سنّـــي ثمانـــي
حتى كبـــرْت وشـــاب راسـي فمَّرهـــا

دار السعـــادة والهنـــاء والأمانـــي
دار الثقافـــي لـــي تعلّـــي ذكرهـــا

القريب البعيد

مهما بَعُدَ المكان جغرافياً عن الشاعر، فإنه ظل قريباً منه نفسياً وروحياً، يشدّه إليه ويحفّزه للتغني به في أشعاره، فنجد ناصر بن سالم بن علي العويس يُكْبِر الأماكن التي عاش وتربى فيها، ويقول القصائد في طبيعتها وأشجارها، وقد أبدع الكثير من القصائد عندما كان بعيداً عن وطنه في الهند. وقد قال في بلدته «الحيرة» التي عاش فيها طفولته وشبابه:

يـــا دار عنـــك الودّ مـــا حـــالْ
مثـــل الجبـــل حيلاتـــه ظُنـــونْ
لو ابْتِعـــد فـــي القلـــب وِلـــوال
أنـــا بحبـــك دوم مفتـــون
يـــا دارنـــا يـــا سلـــوة البـــال
بْـــلاك لا نســـقم ولا نكـــون
حَـــيّ بطلاعـــك زيـــن لجبـــال
لـــي بـــه غناديـــرٍ يحوطـــون
فيـــك النخـــل ألـــوان واشكـــال
يسقـــون لـــي فيهـــا يقيظـــون
يا مـــا ربـــي بِـــك طيّـــب الفـــال
لـــي في هـــواه القلـــب مرهـــون
سِيـــد العـــذارى يحلـــو لقـــذال
بو مبـــسمٍ ما حـــط لـــه لـــون
يـــا مـــا ربُـــوا فـــي ظلـــك رْجـــال
ويـــا مـــا بنـــوا لك عِزّ مزيـــون ■

إعلامي مقيم في الإمارات

المصادر والمراجع

1. الأعمال الكاملة والسيرة الذاتية للشاعرة عوشة بنت خليفة السويدي (فتاة العرب)، جمع وتحقيق وتأليف: الدكتورة رفيعة عبيد غباش، الإمارات العربية المتحدة: متحف المرأة، الإصدار الأول، الطبعة الثانية، 2012م.
2. ديوان ابن صقر، للشاعر محمد بن صقر بن جمعة الملقب «بن صنقور»، جمع وتحقيق: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي، بيت الشعر بنادي تراث الإمارات، الطبعة الأولى، 2012م.
3. ديوان بن زنيد، للشاعر محمد بن ثاني بن زنيد، شرح وإعداد: محمد إبراهيم الحديدي وغسان الحسن، أبوظبي: نادي تراث الإمارات، الطبعة الأولى، 2003م.
4. ديوان بن قطامي للشاعر عيسى بن سعيد بن قطامي المنصوري، إعداد وتحقيق: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي: مركز زايد للدراسات والبحوث بنادي تراث الإمارات، 2016م.
5. ديوان ابن وقيش، للشاعر سلطان بن وقيش الظاهري، إعداد وتحقيق: راشد أحمد المزروعي، أبوظبي، بيت الشعر بنادي تراث الإمارات، 2012م.
6. ديوان ناصر بن سالم العويس: حياته وأشعاره، جمع وتحقيق: سلطان العميمي، أبوظبي، أكاديمية الشعر في لجنة إدارة المهرجانات والبرامج التراثية، الطبعة الأولى، 2017م.
7. ديوان نسيم الخليج للشاعر علي بن رحمة بن سالم الشامسي، راشد أحمد المزروعي، أبوظبي، نادي تراث الإمارات، 2010م.

الشاعر والمغني محمد سهيل الكتبي (1931 - 1978)

مريم النقبي

شاعر ومغنٍ إماراتي من أهالي عجمان. ولد عام 1931 وتوفي في عام 1978 . بدأ حياته في كنف والديه حتى توفي أبوه وهو في سن صغيرة، وعندما بلغ الثالثة عشرة من عمره ذهب إلى البحرين لكسب الزرق، وهناك عاش فترة من الزمن، ثم انتقل إلى السعودية للعمل في شركة أرامكو للبترول، وأقام هناك مدة طويلة من الزمن، قبل أن يعود إلى الإمارات ليتزوج ويعود مرة أخرى إلى السعودية. درس سهيل فن عزف آلة العود خلال إقامته في السعودية، حيث التقى بالفنانين المحليين وبدأت تبرز موهبته في ذلك الوقت، وعلى الرغم من مهارته في العزف على العود، فإن «سهيل» كان مبدعاً في تلحين الموسيقى وكتابة القصائد أيضاً، ما جعل العديد من الفنانين يغنون لأعماله.

وفي تلك الفترة أيضاً، كانت لديه هواية أخرى وهي هواية التصوير الفوتوغرافي، حيث بدأ العمل كمصور محترف وكانت حياته دائماً في سفر بين السعودية ولبنان واليونان لتسجيل الأغاني الخاصة به ولفنانين آخرين، حيث كان يمتلك شركة إنتاج فني. وقد عاد محمد سهيل إلى الإمارات ليستقر بها في عام 1968، حيث عمل بعد ذلك في وزارة المواصلات، ومارس هوايته الأولى وهي الغناء، وقام كذلك بفتح شركة إنتاج فني في تلك الفترة. ورغم أن شاعرنا اشتهر أكثر في مجال الغناء فإنه يصنّف كواحد من أهم رواد الشعر الشعبي في الإمارات فهو شاعر فصيح ونبطي، غنَّى قصائده كما لحّن الفنانون كلماته وغنّوها، ومن أبرزهم علي بن روغة الذي كان على علاقة وثيقة به . كما أنه كانت تربطه علاقات وثيقة بعدد كبير من شعراء الإمارات الرواد من أمثال: سعيد بن عتيج الهاملي، وسيف بن عبيد الشرياني، ومحمد بن صقر بن جمعة (بن صنقور)، وخليفة بن مترف رحمهم الله.

نماذج من قصائده «حبيبي زايد بي شوقي» :

حبيـــــبي زاد بـــي شوقـــي ونحيبـــي
ولـوّع مهجتـــي صبـــر الغرامـــا
وانتـــه مرهـــم افـــوادي وطبيبـــي
وشوفـــك يبـــري اعواقـــي السقامـــا
وانا مَ انســـاك واللـــه لـــي حسيبـي
وحبـــك راســـخ ليـــوم القيامـــه
وكل امّـــا جـــرى لـــي مـــن نصيبـي
فـــي لـــوح القـــدر رسمـــه عوامـــا
تعذبنـــي وعذابـــك لـــي تعيبـــي
ولا اهنـــى بشرابـــي والطعامـــا
عذابـــي فـــي الهـــوى أمـره عجيبـــي
نحـــل حالـــي وخلانـــي عظامـــا
واحيانـــا أجـــن واشـــقّ جيبـــي
وهيـــم الليـــل اذا جـــن الظلامـــا
اجلّـــب راحتـــي ودمعـــي صبيبـــي
علـــى الاويـــان فيـــضٍ مـــن غمامـــا

وهذه القصيدة يشاكي فيه المطرب علي بن روغة يقول فيها:

بشتكـــي لك ياعلـــي عوقـــي خطيـــر
واستمـــع منـــي مقالـــي و امعنـــاه
راد شانـــي فيـــك يـــا الأخ الكبيـــر
ثيـــب مـــجروح الهـــوى زايـــد عنـــاه
مبتـــلي فـــي حـــب مزيـــون صغيـــر
شاغلنـــي عـــن صيامـــي والصـــلاه
مـــن فراقـــه اذرف الدمـــع الغزيـــر
وافتكـــر هل كيـــف باحصـــل رضـــاه
بس حكـــم اللـــه في العالـــم يصيـــر
حـــد سعـــيد وحـد متعوب الحيـــاه
والهـــوى يرميـــك فـــي بحـــر غزيـــر
لو سبحـت سنـــين ماتوصـــل قصـــاه
وين محســـن فالـــهوى امسى غريـــر
مـــات في بحر المحبـــه مـــن بـــلاه
وانا معـــذب فـــي حياتـــي وين أسيـــر
وين أولـــي من غرامـــه ومـن هـــواه
ذا مقالـــي بو حـــسن وانـــت البصـــير
فصل وقايـــس ورجـــع لـــي معنـــاه ■

شاعرة وباحثة من الإمارات

الشاعرة الإماراتية المعاصرة الدكتورة موزة المنصوري أعادت تراثها

برؤى جديدة بحسب تجاربها وفلسفاتها

هشام أزكيض

حصلت الأستاذة الأكاديمية في كلية الشارقة للطالبات موزة محمد سعيد بن خادم المنصوري على شهادة دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية وآدابها (أدب ونقد)، في جامعة الشارقة عام 2022، كما حصلت على ماجستير الآداب في اللغة العربية وآدابها، جامعة الشارقة، عام2017م. وتشغل الدكتورة موزة المنصوري رئيس قسم الموارد البشرية والحاسب الآلي في منطقة الشارقة التعليمية، وهي «موجهة لغة عربية في إدارة المناهج والكتب في وزارة التربية والتعليم» أيضاً. ومن أبرز مؤلفاتها: «توظيف التراث الثقافي في الشعر الإماراتي المعاصر، دائرة الثقافة، الشارقة، 2023م»، و«رحلة المقيظ في التراث الثقافي في دولة الإمارات «معهد الشارقة للتراث، 2021م»، و«المكان والزمان عند شعراء الرابطة القلمية، دراسة نقدية، دار الأندلس للطباعة والنشر 2018م». علاوة على العديد من الدراسات والبحوث المنشورة بالمجلات العديدة داخل دولة الإمارات العربية المتحدة وخارجها. ونالت الدكتورة موزة، العديد من الجوائز والشهادات التقديرية، ومن أبرزها: «جائزة الشيخ خليفة للمعلم» عام 2003م. كما نالت «جائزة التفوق العلمي» من جامعة الشارقة عن الدفعة السابعة عشرة في فصل الربيع 2016م - 2017م. وشهادة تقدير جامعة الشارقة للتفوق العلمي في برنامج الدكتوراه 2023م. وحول أعمال الدكتورة الأدبية ومواقفها ورؤاها أجريتُ معها الحوار التالي:

لماذا ينصب اهتمامك حول التراث الثقافي الإماراتي؟

من الصعوبة أن يعيش الإنسان وحيداً منفصلاً عن تراثه وثقافته، لذا كان التراث جزءاً منه وشكل ركيزة مهمة من ركائز النتاج الحضاري والثقافي والمادي لكل شعب من الشعوب، وهو كل ما انتقل إلينا من إبداعات بشرية على مرّ العصور والأزمنة التاريخية المتعاقبة، سواء كان نتاج فكر من علوم وآداب وفنون أو حكم وأمثال وتجارب إنسانية مادية أو غير مادية. وبدأ اهتمامي بالتراث الثقافي الإماراتي بعد أن أنهيت دراسة الماجستير، والتحقت بدبلوم معهد الشارقة للتراث حول إدارة التراث الثقافي، ومنه بدأتُ التعرف على جانب مهم من حياتنا الثقافية والحضارية في الإمارات بشكل أكاديمي وعلمي ومنهجي. صحيح أنني كإماراتية أعيش التراث بكل جوانبه طوال عمري، لكن دراسته كانت جانباً توثيقياً أكثر مع ضرورة البحث والتوثيق لكل نواحي التراث، ونذكر هنا جهود المغفور له - رحمه الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - الذي كان يقول: (اللي ما له ماضي ما له حاضر) ولذا أطلق العديد من مشاريع إحياء التراث في الإمارات، كما ننوه بجهود صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة - حفظه الله - في تشجيع الباحثين والدارسين، وتأسيس الدوائر والمؤسسات المعنية بالحفاظ على التراث وتطويره ونقله للعالم.

والتراث الإماراتي تراث غني موغل في القدم دلت عليه الحفريات والآثار التي وجدت في جميع مناطق الدولة، بما يشير إلى قدم استيطان البشر في منطقتنا، وهو تراث كتب له البقاء والاستمرار ونقله للأجيال القادمة على الرغم من الحداثة والتطور، ولكي أعزز معرفتي وتخصصي أكثر في مجال التراث الثقافي، أدرس حالياً في جامعة الشارقة لنيل شهادة الماجستير في إدارة التراث الثقافي وهو تخصص نادر في الجامعات العربية، الذي فتح لي أبوب البحث العلمي الأكاديمي المتخصص في هذا المجال الذي أحببته وأتمنى أن أخدم فيه بلدي وأهلي من خلال الأبحاث العلمية والمؤلفات والنشر، لننقل رسالة تراثنا للعالم على أنه تراث ينبض بالحياة وهو متجدد ومتطور وكلنا له أيدٍ أمينة تحافظ عليه.

هل تجدين في إبداعات الشعراء الإماراتيين ما يدل على توظيف التراث الثقافي الإماراتي؟

تناول الشاعر المعاصر تجربته الشعرية ناهلاً من تراثه العربي والإنساني والمحلي، ومستثمراً رموزه وإيحاءاته مبرهناً على تواصل الحاضر بالماضي تواصلاً يمكنه من فهم ذاته وسبر مشكلات الحاضر واستشراف المستقبل، لذا كانت القيم التراثية هي الإشعاع المتجدد بما فيها من نتائج وعبر تكشف للشاعر جوهر الحقائق وفلسفتها. وقد تميز الشعر الإماراتي بتمثل الماضي والاحتفاء به مع مسايرة العصر ومعطياته وقضاياه، فللتراث مكانة خاصة عند الشاعر الإماراتي المعاصر الذي عدّه مصدراً من مصادر المعرفة والثقافة والإلهام، لذا وظّفه في تجربته الشعرية برؤى جديدة وصياغة عصرية مختلفة، فتحول التراث لدى الشاعر إلى أداة من أدوات التعبير متجاوزاً مرحلة التعبير بالتراث إلى مرحلة التوظيف فهي علاقة احتواء وإدراك ناضج للمعنى الإنساني، والقيمة الكلية للعنصر التراثي. وتتسم تجارب الشعراء الإماراتيين بتوظيف التراث بمعطياته وعناصره كلها توظيفاً فنياً أسهم في إثراء التجربة الشعرية المعاصرة في دولة الإمارات العربية المتحدة والكشف عن أجواء جمالية جديدة.

إن توظيف التراث الثقافي في تجربة الشاعر الإماراتي المعاصر أظهر دور هذا التراث في توجيه دلالات النص الشعري من خلال المثيرات البصرية التي تفعل الدفقة الشعرية وتغلفها بالطابع الدرامي الذي يلون الحركات النصية ودلالاتها في النص الشعري ويؤدي إلى تنامي حركته الجمالية، كما أوجد توظيف التراث تفاعلاً بين النص التراثي والنص الشعري مما أنتج حوارية بين الماضي والحاضر، بما ألبس قصائد الشعراء نبعاً غنياً ممتزجاً بروح التراث.

بنظرك كيف تم توظيف الحكاية التاريخية في الشعر الإماراتي المعاصر؟

المصدر التاريخي من أهم المصادر التراثية التي استقى منها الشاعر الإماراتي المعاصر، ولم يظهر التوظيف في إطار تاريخي فقط، إنما أظهر في فكر الشاعر وفلسفته ورؤيته للحياة والناس والكون، حيث اطّلع على أحداث الماضي، من خلال

توظيف الحكايات التاريخية في الشعر الإماراتي المعاصر، ولا شك أن استيعاب الشعراء المعاصرين للتراث بأشكاله وصوره ومصادره، وتوظيفه في النص الشعري، أصبح سمة بارزة من سمات الشعر العربي المعاصر، وقد عمل التوظيف على إكساب النص الشعري البُعد التاريخي والحضاري والفني المعاصر، حيث أفاد الشاعر المعاصر من أصوات تلك الحكايات لما لها من أثر في ذهن المتلقي العربي عامة والإماراتي خاصة، وبهذا كان توظيفها أنموذجاً متكامل الأبعاد التاريخية والإنسانية والإبداعية، فضلاً عن كونها نماذج مكّنت الشاعر من الانفلات من حدود الزمن والتجربة الشعرية. وأسهمت ظاهرة توظيف الحكايات التاريخية في تشكيل رؤيا الشاعر اتجاه قضايا عصره، وحددت مواقفه التي تنم عن وعيه بموروثه الإنساني الزاخر بمصادره المنوعة. حيث يعيد الشاعر صياغة الحكاية التاريخية بما يتناسب مع منظوره المعاصر، وتوظيف إنتاجها من زاوية جديدة، حين دخل الشاعر الإماراتي المعاصر في مضامين جديدة، محاولاً التعبير عن صوته الخاص، وفكره المعبر عن رؤاه وفلسفته، ومن هنا ضرب في عمق التاريخ والموروث الحضاري العربي، يستمد منه أقنعة ودلالات تعين على انحرافات شعرية وفنية وفكرية، من خلال توظيف الحكايات التاريخية بأبعادها المحلية والعربية والإنسانية. ويعد التاريخ سجلاً حافلاً بالحوداث والشخصيات والأحداث التاريخية عبر حقب زمنية ممتدة، فلا عجب أن يستثمر الشاعر التاريخ السردي التراثي في مواجهة الواقع المعاصر، ولذلك سعى إلى توظيف الحكايات التاريخية بما يتوافق مع همومه وقضاياه، من أجل ربط تجربته بتجربة إنسانية سابقة، ومنحها دلالات معاصرة.

ماذا تقصدين بشعراء الرابطة القلمية؟ وما الغاية من تأليف هذا الكتاب؟

في واقع الأمر كان هذا الكتاب بحثاً ضمن برنامج الماجستير في اللغة العربية وتمت فيه دراسة أثر الزمان والمكان على شعراء الرابطة القلمية، فقد شكّل الزمان والمكان منذ القدم ركيزة إنسانية، فلا وجود للبشرية إلا في نطاق مكاني وحدود زمانية. وقد بدأ اهتمام الدراسات النقدية الحديثة بدراسة دلالة المكان بوصفه عاملاً فنياً وكياناً جمالياً وذلك بتأثير من المناهج النقدية الغربية وظهور مفهوم شعرية المكان وتفاعل الشاعر مع الحدث ألفة لهذا المكان أو نفوراً منه. وتناول هذا الكتاب دراسة المكان وعلاقته بالزمن عند شعراء الرابطة القلمية الذين هاجروا في الفترة ما بين الأعوام (1920–1931) في الثلث الأول من القرن العشرين، حيث نزحت جماعات من أبناء لبنان وسوريا واستقرت في أمريكا الشمالية، وكوّنوا جماعة شعرية وأدبية سمّيت الرابطة القلمية تتكون من الشعراء (جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبوماضي، ورشيد أيوب، ونسيب عريضة، وندرة حداد) والتي هدفت إلى تعزيز الكتابة باللغة العربية في بلاد المهجر والحفاظ على الانتماء العربي والتعبير عن هموم الشعراء في الغربة.

بعض هؤلاء الشعراء نالوا شهرة واسعة في الوطن العربي وبعضهم لم يسمع به إلا قلة من الناس، ومنهم من قدّم نتاجاً شعرياً واسعاً وبعضهم الآخر كان مقلاً في شعره، لكنهم اجتمعوا بعد تأسيس هذه الرابطة على سمات متشابهة في شعرهم كان أهمها تأثير المكان والزمان على شعرهم، وقد شكّل المكان عندهم بتغيراته وأنماطه هاجساً نفسياً وفلسفياً. ولا نغالي إذا قلنا إن جلّ شعرهم كان مكانياً وزمانياً، حيث مثل الوطن الذي تركوه عنصراً جمالياً وفلسفياً فارتبطت الغربة المكانية بغربة زمانية ونفسية، ما دفعهم إلى البحث عن أماكن خيالية ورموز أسطورية. كما أظهر هذا الكتاب دور المكان والزمان وتأثيرهما في شعر شعراء الرابطة القلمية ودلالتهما الجمالية والفنية في محاولة إضافة معانٍ جديدة للمكان وأنماطه ودلالته في الشعر العربي الحديث.

حدّثينا عن واقع إبداعات الشاعرة الإماراتية المعاصرة؟

أعادت الشاعرة الإماراتية المعاصرة شحن تراثها الثقافي برؤى حديثة بحسب تجاربها وفلسفاتها واتجاهاتها، فتحوّل التراث لديها إلى أداة من أدوات التعبير الشعري عن القضايا المعاصرة، مما يكشف عن إدراك ناضج للمعنى الإنساني والقيمة الكلية للعنصر التراثي، حيث اتسمت تجارب الشاعرات الإماراتيات بالثقافة الواسعة والاطلاع على تراث الإمارات وتاريخها، مع معرفة تاريخية ودينية وثقافية. وقد حفل النتاج الشعري للشاعرات الإماراتيات بظاهرة توظيف التراث بمعطياته وعناصره كلها توظيفاً فنياً مع معرفة بالحوادث والقصص الدينية والأدبية والشعبية، مما ألقى بظلاله على ثقافة الشاعرة المعاصرة، فولّد نتاجاً تفاعلياً مع الماضي وتراثه الثقافي، وأسهم في إثراء التجربة الشعرية المعاصرة في دولة الإمارات العربية المتحدة، وكشف عن أجواء جمالية جديدة، كما شكّل توظيف التراث عند الشاعرة الإماراتية علامة بارزة في التجربة الشعرية الإماراتية المعاصرة، وأظهر قدراً كبيراً من الثقافة والانفتاح على الثقافات الإنسانية دون تمييز.

ما الذي دفعك إلى الاهتمام برحلة المقيظ في التراث الثقافي في دولة الإمارات؟

أكثر ما دفعني إلى تأليف هذا الكتاب كان والدتي - حفظها الله - فقد كانت تحدّثني كثيراً عن رحلات كانوا يقومون بها خلال فصل الصيف إلى مناطق في الساحل الشرقي، حيث يملكون مزارع للنخيل وتصف لي بعض ذكرياتها هناك، وأنا استمتع معها وكأني أرى وأسمع همس أشجار النخيل وصوت رجل اليازرة (تستخدم لاستخراج الماء من البئر) وهو يغني، وبعد أن حصلتُ على دبلوم إدارة التراث الثقافي جمعت ما تحصل لي من معلومات ومقابلات لكبار السن وبدأت في كتابة هذا الكتاب بدعم وتشجيع من معهد الشارقة للتراث.

كما أن رحلة المقيظ بما تحمله من ذكريات ومعانٍ ودلالات أثرت في التراث الثقافي الإماراتي ولم تحظَ بدراسات متخصصة فيها، بل كانت رحلة الغوص أكثر حظاً منها، حتى قال لي أحد الباحثين في مجال التراث وكنا في فعالية توقيع الكتاب في أيام الشارقة التراثية: (كنت أنوي الكتابة حول المقيظ ولكنك سبقتني إليه).

هل روايات كبار السن كافية للإحاطة بطقوس رحلة المقيظ؟

كانت الروايات الشفوية الأساس الأول الذي اعتمدتُ عليه، لكنه حالياً ليس كافياً إلا إذا كان موضوع البحث لم يتطرق له أحد من قبل، لكن لابد من الرجوع إلى مصادر المعلومات المكتوبة والمنشورة العلمية منها والموثقة والرواية الشفاهية التي لها اشتراطات ومعايير يعرفها جميع الباحثين.

بالنسبة إلى كتاب المقيظ وجدت جانباً من المعلومات حول هذه الرحلة، في كتب ومراجع خاصة التاريخية والجغرافية لأننا نتحدث عن مواقع جغرافية كان الناس في الإمارات قديماً يرتحلون إليها هرباً من شدة الحرارة والرطوبة على الساحل، إضافة إلى المعلومات التي كانت تتكشف لي من خلال القصائد الشعرية النبطية والأمثال والأهازيج الشعبية التي كان الناس يتغنون بها قبل فترة المقيظ وخلالها وبعدها، حتى الروابط الاجتماعية التي جمعت بين أهل الساحل وأهل المزارع والجبال في المناطق الشرقية من الدولة.

هل استحضار الأدب والشعر ضروري في رحلات المقيظ؟

عبّرت رحلة المقيظ عن جوانب كثيرة في التراث الثقافي غير المادي في الإمارات، فلم تكن مجرد انتقال من مكان حار رطب إلى أماكن مفتوحة فيها الهواء العليل وظلال الأشجار فقط إنما هي علاقات وتواصل وطقوس تتكرر كل عام، كانت رحلة عبر الصحراء تتهادى فيها قوافل الإبل تحمل معها إرثاً اجتماعياً وثقافياً وحضارياً ثرياً في دولة الإمارات العربية المتحدة، لذا زخرت هذه الرحلات بدلالات عدة جمعت أهل الإمارات من جميع المناطق فكان التواصل والترابط بين أكثر البيئات الجغرافية في الدولة. وفي الكتاب فصل ركّز على المظاهر الثقافية في رحلة المقيظ حيث الأغاني والأهازيج التي يرددها الناس خلال وجودهم تحت ظلال النخيل ويخاطبون القمر بالشعر، وعرفوا الكثير من المعارف التي تعلموها من رحلة المقيظ مثل الاتجاهات لأهل الصحراء وأماكن توفر الماء والطب الشعبي وأسماء الرياح وأنواعها. وخلال الرحلة التي قد تطول أحياناً إلى 6-7 أيام يغني الكري وهو صاحب الإبل بصوت عذب شجي لتتحول الرحلة إلى متعة من خلال الأغاني والحداء يقول (الأول بروك وثارن يوم روحن يتبارن). ويستعرض أهالي مناطق المقيظ فنونهم الشعبية فيستمتع الحضّار باللحن الجميل الذي يغني بها صاحب اليازرة وهو يستخرج الماء، كذلك الأمثال والحكم فيقال (بنحضر دبا وبنشوف مقيظها).

ولعب الشعر دوراً مهماً في رحلة المقيظ، حيث صورها ورسم شخوصها ومراحلها وما كان يدور فيها، فقد حضر الشاعر المقيظ وترنم فيه، ومن الموروث الشعبي:

هـــود يـــا اهـــل البـــاب لمبـــوب
يـوم تـــم الوعـــد جيناكـــم
يـــروا ارشاكـــم علـــى امهـــذب
واسقـــوا العطشـــان مـــن ماكـــم ■

كاتب وقاص مغربي

خروفة أمّ اليحة

فاطمة حمد المزروعي
كاتبة وباحثة من الإمارات

الخرايف لها سحرها وجمالها، الذي بقي على مدار السنين. وقد سجلت عدداً كبيراً منها خرايف أرصدها هنا. سمعتها من عمتي فاطمة بنت ناصر المزروعي، التي عاشت حياتها كلها في الظفرة، في مدينة زايد. وما كانت زياراتها لنا في أبوظبي إلا زيارات قصيرة جداً؛ للقيام بالواجبات الاجتماعية. أما زياراتنا للظفرة فكانت في الإجازات المدرسية. حيث حرصت في منتصف التسعينيات من القرن الماضي على جمع الخرايف، من أهل أبوظبي، حيث أعيش، ولأن اللهجة المحكية هي لهجتي نفسها. ما أحلى تلك الليالي والنهارات التي حكت لنا من الخرايف أجملها، منها: خرّوفتان أم اليحة، وأمّ الدجاجة، وخرايف أخرى كثيرة.

خرّوفة أمّ اليحة:

كان الشيخ أسمر بند فارساً شجاعاً، بل من أشهر الفرسان. عرفه الناس بسبب كثرة أسفاره. خطب الشيخ أسمر بند بنتاً غاوية (جميلة جداً). أعطاها حقباً (وهو الحزام). طلب منها أن تغسل الحقب بالماء، فتشرب من هذا الماء، وتسقي به الزرع؛ حتى تستطيع اللحاق به، وتعرف المكان الذي سافر له. فلقد تزوجها، دون أن يراها. كانت العروس تصحب معها الماشطة العجوز، حتى تعقص شعر العروس (تمشط شعرها وتسرحه) وتزينها. أخذت الماشطة الحقب من العروس، وركبت مكانها. فصارت العجوز مكان العروس، التي جعلتها خادمة لها! لاحقتهم العروس، وهي تنادي على زوجها:

«يا أسمر بند، أنا هنا».

«يا أسمر بند، أنا هنا».

كررت العروس نداءاتها أكثر من مرة، على أمل أن يسمعها زوجها، ويخلصها مما هي فيه. سأل أسمر بند زوجته العجوز عن هذه الأصوات، فادّعت العجوز أنها أصوات الريح والكلاب الضالة. ظلت تلاحقهم، حتى اقتربوا من منازل قبيلة الشيخ. هنا سقطت العروس الشابة وماتت من التعب والإرهاق؛ بسبب الحرارة الشديدة، والجوع والعطش. سقطت ميتة. لم يرها الناس، فنهشتها الحيوانات. أخذت الكلاب يدها إلى العجوز، التي أدركت أنها يد العروس. احتارت ماذا تفعل بها؟ هي لا تريد أي شيء يدل على الزوجة الشابة، التي لاحقتهم. طحنت اليد، ورمتها في زراعة بيت الجيران. ارتاحت؛ لأنها تخلصت من كل شيء. نمت هذه اليد وصارت يحة (بطيخة). لفتت انتباه صاحبة البيت العجوز. راقبت نمو اليحة، وفرحت بها. مرض الشيخ بعدها مرضاً شديداً، وطلبوا له علماء الدين؛ كي يقرؤوا عليه، على عادة أهل البلاد، في رقية المريض، مع إعطائه الأعشاب. كما بحثوا عمن يقصّ على الشيخ أسمر بند القصص والخرايف؛ حتى يتسلى وينسى مرضه، ويفرّج عن همومه حين يسمع هموم غيره، وقد تشفيه. ذكروا له أن جارتهم العجوز معروفة بالقصص والحكايات، فطلبها حتى يسمع منها. حكت له الخرايف التي سمعتها من أهلها، كلما قصت خروفة (شلوا عنه المطارح، واحداً واحداً) أي رفعوا عنه واحداً من المطارح (المطرح: اللحاف). حتى وصلت إلى خروفة (اليحة)، اليحة أي البطيخة، قالت له إن عندها يحة مزروعة في حوش بيتها. كلما اقتربت منها لتقصها، سمعت أصواتاً آه وآه. تأوهات تمنعها من قصّها، حتى تكلمت اليحة وقالت: أنا بنت تزوجني شيخ، وغدرت بي العجوز المعقصة (الماشطة). أخذت زوجي مني، وحكت لها القصة كاملة. أخذت العجوز اليحة داخل بيتها، حفظتها في غرفة داخل البيت، حفظتها وراء سبعة أبواب. وقصت للشيخ حكاية العروس مع المعقصة بكل تفاصيلها. شفي الشيخ وصار بخير، حمد الله على الشفاء. شكر جارته، طلق العجوز الماشطة التي غدرت بزوجته، ثم تزوج البنت «اليحة». عاش معها أجمل أيام حياته ■

هيئة أبوظبي للتراث
Abu Dhabi Heritage Authority

إعلان طباعة كتب

وَضَعت هيئة أبوظبي للتراث خُطّةً لرفد المشهد الثقافي الإماراتي بإصدارات متنوعة تَخُصُّ تراث الإمارات وتاريخها؛ قَصْدَ إغناءِ المكتبة التراثية الإماراتية، وفَتْحِ منافذَ معرفيةٍ جديدةٍ أمام الباحثين، وتدعوهم إلى طباعة كتبهم وتسهيل نشرها، ليشارك بها في المعارض والفعاليات الثقافية. ويُقدِّمُ لمؤلّف الكتاب مكافأةً مالية تتراوح بين (10000 - 15000 درهم إماراتي).

شروط النشر:

- أن يَتّصف موضوع الكتاب بالجِدّة، والموضوعية، وشمول المعالجة، والفائدة المعرفية.
- ألا يكون الكتاب منشوراً سابقاً، أو مُقدَّماً للنشر في جهة أخرى.
- أن تكون لغةُ الكتابِ العربيّةَ الفصيحة المُصحَّحة لغوياً.
- ألا يكون الكتاب مترجَماً.
- أن يلتزم الكتاب بالمنهجية العلمية في التأليف، والأمانة العلمية، والنهْل من المصادر الأصيلة، وتدوين الهوامش أسفلَ كلِّ صفحة.
- أن تُدوَّن المصادر والمراجع في نهاية كل كتاب.
- أن يُرسَل الكتاب بصيغة الوورد، مرفَقاً بملخَّص من نحوِ مئتي كلمة باللغة العربية، وبنبذة مختصرة عن سيرة المؤلِّف العلمية.
- أن يكون عدد كلمات الكتاب بين 30 و70 ألف كلمة.
- تَتَولّى هيئة تحكيم مختصة مراجعةَ الكتاب وتقييمَه وإصدارَ قرار نهائي بشأن طباعته خلال شهرين من تاريخ إرساله. وفي حال الموافقة، يلتزم الكاتبُ بإجراء التعديلات المقترحة.
- مدة العقد خمس سنوات.
- تُرسَل الكتب بصيغتَي Word وPDF إلى الإيميل التالي: torathbook@ehcl.ae

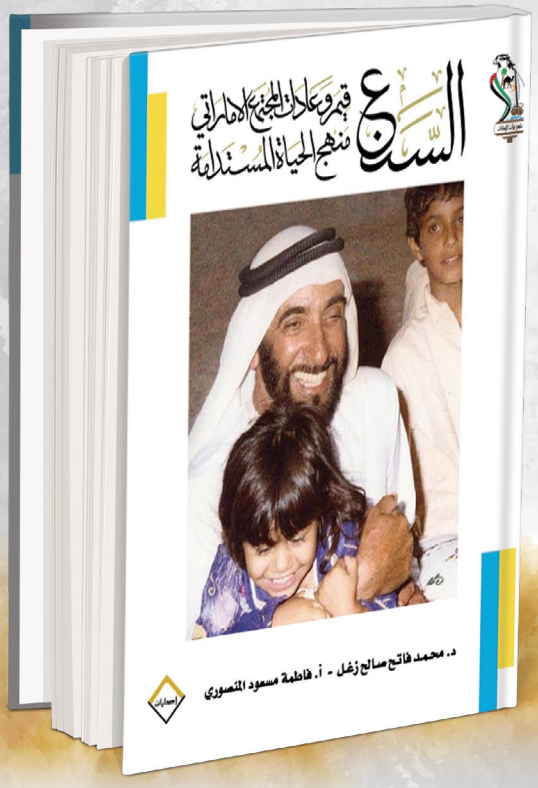

السَّنع
قِيَم وعادات المجتمع الإماراتي
منهج الحياة المُستدامة

كتاب «السَّنع: قِيَم وعادات المجتمع الإماراتي منهج الحياة المستدامة» ينطلق من مقولة المغفور له الشيخ زايد - طيّب الله ثراه - بأنّ «الثروة الحقيقية للأمة هي في رجالها»، وكذلك من مقولة الشيخ محمد بن زايد، رئيس الدولة - حفظه الله: «القِيَم والعادات والأخلاق والتفاني موجودة في كل مواطن وبيت وعائلة». ويُشكِّل هذا الكتابُ مساهمةً رائدة في مقاربة السَّنع الإماراتي بوصفه منهجَ حياةٍ إماراتيّةٍ مستدامة. ويأتي الكتاب في مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة. يتناول الباب الأول بفصلَيْه مفهومَ التراث الشعبي؛ أدباً وألغازاً وأهازيجَ ومأثوراتٍ وفنوناً وعاداتٍ وتقاليدَ ومعتقداتٍ ومعارفَ شعبيةً. كما يقف على التراث بوصفه هويّةً ثقافيةً للأجيال، مُذكِّراً بالموقف الرسمي للدولة ومؤسساتها وموقف الشعب الإماراتي من التراث. ويتطرق الباب الثاني بفصوله الثلاثة إلى أهميّة السَّنع الإماراتي في بناء شخصية الإنسان الإماراتي، وإلى قواعد السنع في الكلام والسلوك؛ فهي جميعاً تَدعو إلى الرجولة وما يرتبط بها من مفاهيم جوهرية كالاحترام والإخلاص وغيرهما، وما لذلك كلِّه من آثار إيجابية على الفرد والأسرة والمجتمع قاطبةً. ويقف عند الشعر الشعبي وفارسه الشيخ زايد، وكذلك عند شعراء الحكمة الإماراتيين. ويُخصَّصُ البابُ الثالث للحديث عن القوة الناعمة الإماراتية بوصفها من منجزات السَّنع - التاريخ والأصالة وآفاق المستقبل، والدعوة إلى التسامح ووثيقة الأخوّة الإنسانيّة وغيرها.